101

~~69~~

1

~~69~~

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

تفسير سورة الكهف وهي مكية

وآياتها مائة وإحدى عشرة آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبعة وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب أثنى الله على نفسه بإنعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي الإسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الذكر لأن إنزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم ولم يجعل له عوجا أي لم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روي عن ابن عباس في قوله قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق قيما أي مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرائعها لينذر بأسا شديدا معناه لينذر الذين كفروا بأسا وهو قوله بعذاب بئيس من لدنه أي من عنده ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا يعني الجنة ماكثين فيه أي مقيمين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم أي بالولد وباتخاذه يعني أن قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فإن قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون بالطريق الموصل إليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به ولا لآبائهم أي ولا لأسلافهم من قبل كبرت أي عظمت كلمة تخرج من أفواههم أي هذه التي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان وكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد إن يقولون أي ما يقولون إلا كذبا قيل حقيقة الكذب أنه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله أنه غير مطابق وهذا القيد باطل لأن الله وصف قولهم بإثبات الولد بكونه كذبا مع أن الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا أن كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق إلى الباطل ورجل كذاب وكذوب إذا كان كثير الكذب قوله عز وجل فلعلك باخع نفسك أي قاتل نفسك على آثارهم أي من بعدهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القرآن أسفا أي حزنا وقيل غيظا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها أي مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والأنهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الأرض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الأرض هو زينتها فإن قلت أي زينة في الحيات

والعقارب

والحجارة والشجر فيما قلت زينتها لكونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته
وقيل انه جميع ما في الارض فانها ثلاثة معادن ونبات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى
ان لا يدخل في هذه الزينة المكلف بل قوله تعالى **لنبلوهم** فمن يبلوهم يجب ان لا يدخل ومعنى لنبلوهم
لنختبرهم **ايهم احسن عملا** اي اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا وازهد فيها **وانا لجاعلون**
ما عليها اي من الزينة **صعيدا جرزا** يعني من الارض لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة
والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء. قوله تعالى
ام حسبت اي اظننت يا محمد **ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا** اي هم
عجب من اياتنا وقيل معناه انهم ليسوا باعجب اياتنا فان ما خلقت من السماوات والارض
وما فيهن من العجائب اعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه
اسماء اصحاب الكهف وقصصهم ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة
وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه اصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة اصحاب
الكهف فقال عز من قائل **اذ اوى الفتية الى الكهف** اي صاروا اليه وجعلوه مأواهم
والفتية جمع فتى وهو الطري من الشباب **فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة** اي رحمة من
خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهي لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء **وهيئ**
لنا اي اصلح لنا **من امرنا رشدا** حتى نكون بسببه راشدين مهتدين وقيل معناه
واجعل امرنا راشدا كله

ذكر قصة اصحاب الكهف

وسبب
خروجهم اليه قال محمد بن اسحاق بن يسار مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت
الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين
بعبادة الله وتوحيده وكان من بعض ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد
الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها
احدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام او يقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف واسمها
افسوس استخفى منه اهل الايمان وهربوا في كل وجه واتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم
بمحالهم وليك الشرط يتتبع اهل الايمان في اماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين
القتل وعبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله تعالى
فلما راى ذلك اهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون
ويقطعون ويجعل ما قطع من اجسامهم على اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت
الفتنة وكثرت فلما راى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا في ايامهم واشتغلوا بالصلاة
والقيام والصوم والتسبيح والدعاء وكانوا من اشراف الروم وهم ثمانية نفر فبكوا
وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السماوات والارض لن ندعو من دونه الها
لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا

عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم ادركهم الشرط فوجدوهم سجودا
يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا
الى الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فاتوني بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة
وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لالهتنا التي تعبد في الارض
وتجعلوا انفسكم اسوة لمن في مدينتكم اختاروا اما ان تذبحوا لالهتنا واما ان اقتلكم فقال
مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه
الها ابدا له الحمد والتكبير من انفسنا خالصا ابدا اياه نعبد واياه نسال النجاة والخير
فاما الطواغيت فلن نعبدها ابدا اصنع بنا ما بدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع
الملك كلامهم امر بنزع لباسهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سافرغ لكم
وانجز لكم ما اوعدتكم من العقوبة وما يمنعني ان اعجل لكم ذلك الا اني اراكم شبابا حديثة
اسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم امر
بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض اموره
فلما راه الفتية خرج بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكرهم فتشاوروا بينهم واتفقوا على
ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا
الى كهف في جبل من المدينة يقال له منجلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى اذا
جاء دقيانوس اتوه فيصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت
ابيه فاخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم
حتى اتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه
فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جانبي انا احب احباء
الله عز وجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة
فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال
ابن اسحاق فليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء وجه الله عز وجل
وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا وكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا
وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين
ثم ياخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر
هل ذكر هو واصحابه بشيء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله ان يلبثوا ثم قدم
دقيانوس المدينة وامر عظماء اهلها ان يذبحوا الى الطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان
تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فاخبرهم
ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا يدعون
الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رؤوسكم

وكلوا وتوكلوا

وتوكلوا على ربكم وفعلوا ورؤوسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس
ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك اذ ضرب الله على اذانهم في الكهف
وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابهم ما اصابهم وهم مؤمنون موقنون وتفقدتهم عشيـ
ر وطلبتهم فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة
لقد ساءني شان هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا ان بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من
امري ما كنت لاجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا الهتي فقالوا عظماء المدينة ما انت بحقيق
ان ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت اجلت لهم اجلا ولو شاءوا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم
لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى ابائهم فاوتي بهم فقال اخبروني
عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا اما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا باموالنا
واهلكوها في اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى سحلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم
وجعل ما يدري ما يصنع بالفتية فالقى الله تعالى في نفسه ان يامر بسد باب الكهف عليهم
واراد الله عز وجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم
ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد
عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه
قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل ارواحهم وفاة نوم
وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات
الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما بيدروس
واسم الاخر روناس ايتمرا ان يكتبا شان الفتية واسماءهم وانسابهم وخبرهم في لوحين من
رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على
هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرا الكتاب
ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وتكون بعده قرون كثيرة وخلفت
الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين
ذوي ذوائب فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب واخرجوا معهم الهتهم التي كانوا يعبدونها
وكان معهم كلب صيد لهم وكان احدهم وزير الملك فقذف الله الايمان في قلوبهم فامنوا واخفى كل
واحد ايمانه وقال في نفسه اخرج من بين اظهر هؤلاء القوم لا يصيبني عقابهم فخرج شاب منهم
حتى اذا انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج اخر فراه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل
امره وجلس اليه من غير ان يظهره على امره ثم خرج اخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم
ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلو
ويفشي كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل
قريب منهم فقال بعضهم لبعض فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف

ومعهم كلب فيع فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله
آثارهم وكهفهم فكتبوا اسماءهم وانسابهم في لوح فلان وفلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم في شهر
كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهؤلاء
شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن فقال محمد بن اسحاق ثم ملك تلك البلاد رجل صالح
يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا
احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح
وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق ويقولون
لا حياة الا حياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل تندوسيس الملك يرسل الى
من يظن فيه خيرا وانهم ايمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا ان يحولوا
الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق بابه عليه ولبس
مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه ليله ونهاره وجعل يتضرع الى الله تعالى ويبكي ويقول رب قد
ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم ان الله الرحمان الرحيم الذي يكره هلكة عباده
اراد ان يظهر الناس على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم
ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح تندوسيس ويتم نعمته عليه وان
يجمع من كان تبدد من المومنين فالقى الله تعالى في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذي فيه الكهف اهل
وكان اسمه اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف ويبني به حظيرة لغنمه
فاستاجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب
فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب فلما فتحا باب الكهف اذن الله
تعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين
مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم فسلم بعضهم على بعض كانما استيقظوا من ساعتهم التي
كانوا يستيقظون لها اذا اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يصلون وكما
كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا الوانهم شيء ينكرونه ولكنهم كهيئتهم حين رقدوا وهم
يرون ان دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم انبئنا بالذي
قال الناس في شأننا عشية امس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم قد رقدوا كبعض ما كانوا
يرقدون وقد خيل اليهم انهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال
بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل
ذلك في انفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم في المدينة وهو يريد ان يوتى بكم اليوم
فتذبحوا للطواغيت او يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا مكسلمينا
انكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة
فتسمع ما يقال لنا بها وما الذي نذكر عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بك احد وابتع

لنا طعاما

لنا طعاما فايتنا به وزدنا على الطعام الذي جيتنا به فقد اصبحنا جياعا فجعل تمليخا كما كان يفعل
ووضع ثيابه واخذ الثياب التي كان يتزين فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت
بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الارض فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف راى حجارة
منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى اتى باب المدينة مستخفيا يصد عن
الطريق متخوفا ان يراه احد من اهلها ولا يشعر ان دقيانوس واهله هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة
سنة فلما اتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فراى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان
اذا كان امر الايمان ظاهرا فيها فلما راها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا ينظر اليها يمينا
وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب اخر فراى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي
كان يعرف وراى ناسا كثيرا محدثين لم يكن راهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه
انه حيران ثم رجع الى الباب الذي اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما
هذه اما عشية امس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها
واليوم ظاهرة لعلي حالم ويرى انه ليس بنائم فاخذ كساه فجعله على راسه ثم دخل المدينة
ويستخفون بها واليوم ظاهرة فجعل يمشي في اسواقها فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى
ابن مريم فزاده ذلك تعجبا وراى انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدر المدينة
ويقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية امس فليس على الارض من يذكر عيسى بن مريم
الا قتل واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة
التي اعرف والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه
المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه مسا او امر اذهب عقلي والله يحق لي
ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شيء فاهلك فدنا الى الذين يبيعون الطعام فاخرج
الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فاخذ الرجل
ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها ثم ناولها رجلا اخر من اصحابه ثم جعلوا يتطارحونها
بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب
كنزا في الارض منذ زمان طويل فلما راهم تمليخا يتحدثون فيه فزع فزعا شديدا وارتعد
وجعل يرعد وظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم
دقيانوس وجعل ناس يجيئونه فيتعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف افضلوا علي فقد
اخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي فيه فقالوا يا فتى من اين انت وما
شانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وارناه
وشاركنا فيه نخفي عليك ما وجدت وانك ان لم تفعل نذهب الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك
فلما سمع قولهم قال الفتى وقعت في كل شيء احذر منه فقالوا يا فتى انك والله لا تستطيع
ان تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يحر اليهم شيئا فلما

راوه لا يتكلم اخذوا كساه فطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة وما رايناه
فيما فقد وما نعرفه وجعل تمليخا ما يدري ما يقول وكان مستيقنا ان اباه واخوته في المدينة وانه
من عظماء العلماء وانهم سياتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالذي ان ينتظر متى ياتيه بعض
اهله فيخلصه من ايديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبرا هلها الذين يدبران
امورها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس والاخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن
تمليخا انما ينطلقون به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون فجعل
منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع راسه الى السماء وقال اللهم اله السماوات واله الارض افرغ
علي صبرا واولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرق ما بيني
وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت وبا ليتهم ياتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا
كنا قد تواثقنا على الايمان بالله وان لا نشرك به ابدا وان لا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى الى
الرجلين الصالحين اريوس واسطيوس راى انه لم يذهب به الى دقيانوس افاق وسكن عنه البكا
واخذ اريوس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقال اين الكنز الذي
وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق ابائي ونقش هذه المدينة
وضربها ولكن والله ما ادري ما شاني وما اقول لكم فقال له احدهما من انت فقال تمليخا اما انا
فكنت ارى اني من اهل هذه المدينة فقيل له فمن ابوك ومن يعرفك بها فاخبرهم باسم ابيه
فلم يجد من يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبينا بالحق فجعل تمليخا لا يدري
ما يقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس
بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا اتظن
انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها له اكثر من ثلثمائة
سنة وانت غلام شاب اتظن انك تافكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ وشمط وحولك سراة
هذه المدينة وولاة امرها وخزاين هذه المدينة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا
دينار واني لاظنني سامر بك فتعذب عذابا شديدا ثم اوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي
وجدته فقال لهم تمليخا اخبروني عما اسالكم عنه فان انتم فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل
لا نكتمك شيئا فقال لهم ما فعل الملك دقيانوس فقالوا ما نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس
ولم يكن الا ملك هلك في الزمان الاول وله دهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال تمليخا
اني اذا لحيران وما هو بمصدقي احد من الناس فيما اقول لقد كنا فتية وان الملك اكرهنا على
عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فاتينا الكهف الذي في جبل ينجلوس
فنمنا فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما واتجسس الاخبار فاذا انا معكم كما ترون
فانطلقوا معي الى الكهف اريكم اصحابي فلما سمع اريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه
اية من ايات الله جعلها الله لكم على يدي هذا فانطلقوا بنا معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس

واسطيوس

واسيبطوس ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف لينظروا اليهم
ولما راوا الفتية اصحاب الكهف ان تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وتشى ابطا عن القدر
الذي كان ياتي فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون
ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس
بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض واوصى بعضهم بعضا
وقالوا انطلقوا بنا نات اخانا تمليخا فانه الان بين يدي الجبار وهو ينتظر متى ناتيه
فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة اذا هم باريوس واصحابه وقوف على باب
الكهف وسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي فلما راوه يبكي بكوا معه ثم سالوه عن خبره
فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا
ليكونوا عبرة للناس وتصديقا بالبعث ويعلمون الناس ان الساعة لا ريب فيها ثم
دخل على اثر تمليخا اريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فوقف على الباب
ودعا جماعة من عظماء المدينة وامر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص
مكتوب فيهما مكسلمينا ومحسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطوس وبيرونس ودنيموس
وبيطونس وقالوس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة ان يفتنهم عن دينهم من
فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا
شانهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤوه عجبوا وحمدوا الله الذي اراهم
. اية تدل على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية
الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه
سجودا وحمدوا الله الذي اراهم . اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضا بالخبر واخبر
بعضهم بعضا واخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس
واصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح تندوسيس ان عجل لعلك تنظر
. اية من . ايات الله جعلها الله على ملكك للناس . اية ولتكون لهم نورا وضياء
وتصديقا بالبعث وذلك ان فتية بعثهم الله تعالى وقد كان توفاهم منذ ثلاثمائة
سنة واكثر فلما اتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال احمدك الله
رب السموات والارض واعبدك واسبح لك تطولت علي ورحمتني ولم تطف
النور الذي جعلته لابائي وللعبد الصالح قسطنطينوس الملك ثم اخبر به
اهل مدينته فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس فتلقاهم اهلها
وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل وراى الفتية تندوسيس فرح
بهم وخر ساجدا على وجهه وقام الملك تندوسيس قدامهم واعتنقهم وبكاهم
جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه قال الفتية لتندوسيس
الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ

ملكك ونعمتك بالله من نشي الانس والجن فبينما الملك قايم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا
فتوفى الله انفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم
في تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه في نومه وقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة
ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله
منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من
عندهم بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان يبنوا على باب الكهف مسجدا
يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يوتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح
فقال له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ ايام
وذكر منزله واقواما لم يعرفهم وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا في الزمان الاول وان اسماءهم
مكتوبة على لوح في خزانته فدعا باللوح فنظر الى اسمائهم فاذا اسمه مكتوب فيه مع اسماء
الاخرين فقال تمليخا هم اصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف
قال تمليخا دعوني حتى ادخل على اصحابي فابشرهم فانهم ان راوكم معي رعبتموهم فدخل
تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وارواحهم واعمى على الملك واصحابه اثرهم فلم يهتدوا
اليهم فذلك قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف اي صاروا اليه واسمه جيروم فقالوا ربنا آتنا اوى
من لدنك رحمة اي هداية في الدين وهيئ لنا اي يسر لنا من امرنا رشدا اي ما نلتمس من
رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس مخرجا من الغار في سلامة قوله تعالى فضربنا على
اذانهم اي القينا عليهم النوم وقيل معناه منعناهم نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم
اذا سمع الصوت ينتبه في الكهف سنين عددا اي انمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على
الكثرة ثم بعثناهم اي من نومهم لنعلم اي علم مشاهدة وذلك ان الله تعالى لم يزل عالما وانما
اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا اي الحزبين اي الطايفتين
احصى لما لبثوا امدا اي احفظ لما لبثوا في كهفهم نياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا في
مدة لبثهم في الكهف نحن نقص عليك نباهم بالحق اي نقرا عليك خبر اصحاب الكهف بالحق
اي بالصدق انهم فتية اي شباب امنوا بربهم وزدناهم هدى اي ايمانا وبصيرة وربطنا
على قلوبهم اي شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا
على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف
اذ قاموا يعني بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فقالوا اي
الفتية ربنا رب السماوات والارض لن ندعوا من دونه الها اي قولوا ذلك لان قومهم كانوا
يعبدون الاصنام لقد قلنا اذا شططا قال ابن عباس يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا
الى غير الله هؤلاء قومنا يعني اهل بلدهم اتخذوا من دونه اي من دون الله الهة يعني
اصناما يعبدونها لولا اي هلا ياتون عليهم بسلطان بين اي في عبادة الاصنام محال فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا اي زعم ان له شريكا وولدا ثم قال بعضهم لبعض واذ اعتزلتموهم

يعني قومهم

يعني قلوبكم **وما يعبدون الا الله** وذلك انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام
والمعنى واذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لا تعتزلون عبادته **فأووا الى الكهف**
اي الجأوا اليه **ينشر لكم** اي يبسط لكم **ربكم من رحمته ويهيئ** اي يسهل **من امركم مرفقا**
اي ما يعودون اليه من يسركم ورفقكم قوله عز وجل **وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم**
ذات اليمين اي جانب اليمين **واذا غربت تقرضهم** اي تتركهم وتعدل عنهم **ذات**
الشمال وهم في فجوة منه اي متسع من الكهف **ذلك من آيات الله** اي من عجائب صنعه
ودلالات قدرته وذلك انما كان في ذلك السمت تغشيه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم
بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالي مستقبل بنات نعش فهم في مقناة ابدا لا تقع الشمس
عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء تؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا
في متسع ينالهم برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون
معنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله **من يهد الله فهو المهتدي**
يعني مثل اصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم **ومن يضلل** اي من يضلله الله ولم يرشده **فلن تجد**
له وليا اي معينا **مرشدا** قوله تعالى **وتحسبهم** خطاب لكل احد **ايقاظا** اي منتبهين
اي اعينهم منفتحة **وهم رقود** اي نيام **ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال** قال ابن عباس
كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون
يوم عاشوراء وقيل كان لهم في السنة تقليبتان **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد**
قال ابن عباس كان كلبا انمر وعنه انه كان فوق القلطي ودون الكردي والقلطي كلب
صيني وقيل كان اصفر وقيل كان شدة صفرته تضرب الى الحمرة وقال ابن عباس كان اسمه
قطمير وقيل ريان وقيل صهبا وقيل ليس في الجنة من الدواب سوى كلب اصحاب الكهف
وحمار بلعم بالوصيد يعني بفناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه
وجعل وجهه عليهما وقيل كان يقلب مع اصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب
اذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه الشمال ورقد عليها
لو اطلعت عليهم يا محمد **لوليت منهم فرارا** ذلك لما البسهم الله من الهيبة حتى
لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم **ولملئت منهم**
رعبا اي خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذي يريد
ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار
وقيل ان الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم
فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب اهل الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فننظر
اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا فبعث معاوية اناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم

ملكك ونعيذك بالله من فتنة الانس والجن فبينما الملك قايم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا
فتوفى الله انفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم
في تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه في نومه وقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة
ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير وان لنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله
منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من
عندهم بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان يبنوا على باب الكهف مسجدا
يصلي فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يوتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح
فقال له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امسا ومنذ ايام
وذكر منزله واقواما لم يعرفهم وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا في الزمان الاول وان اسماءهم
مكتوبة على لوح في خزانته فدعا باللوح فنظر الى اسمائهم فاذا اسمه مكتوب فذكر اسماء
الاخرين فقال تمليخا هم اصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف
قال تمليخا دعوني حتى ادخل على اصحابي فابشرهم فانهم ان راوكم معي رعبتموهم فدخل
تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وارواحهم واعمى على الملك واصحابه اثرهم فلم يهتدوا
اوى اليهم فذلك قوله تعالى **اذ الفتية الى الكهف** اي صاروا اليه واسمه جيروم **فقالوا ربنا آتنا**
من لدنك رحمة اي هداية في الدين **وهيئ لنا** اي يسر لنا **من امرنا رشدا** اي ما نلتمس من
رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس مخرجا من الغار في سلامة قوله تعالى **فضربنا على**
آذانهم اي القينا عليهم النوم وقيل معناه منعناهم نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النايم
اذا سمع الصوت ينتبه **في الكهف سنين عددا** اي انمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على
الكثرة **ثم بعثناهم** اي من نومهم **لنعلم** اي علم مشاهدة وذلك ان الله تعالى لم يزل عالما وانما
اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا **اي الحزبين** اي الطايفتين
احصى لما لبثوا امدا اي احفظ لما لبثوا في كهفهم نياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا في
مدة لبثهم في الكهف **نحن نقص عليك نباهم بالحق** اي نقرا عليك خبر اصحاب الكهف بالحق
اي بالصدق **انهم فتية** اي شباب **آمنوا بربهم وزدناهم هدى** اي ايمانا وبصيرة **وربطنا**
على قلوبهم اي شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا
على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف
اذ قاموا يعني بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام **فقالوا** اي
الفتية **ربنا رب السماوات والارض لن ندعو من دونه الها** اي قولوا ذلك لان قومهم كانوا
يعبدون الاصنام **لقد قلنا اذا شططا** قال ابن عباس يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا
الى غير الله **هؤلاء قومنا** يعني اهل بلدهم **اتخذوا من دونه** اي من دون الله **آلهة** يعني
اصناما يعبدونها **لولا** اي هلا **ياتون عليهم بسلطان بين** اي في عبادة الاصنام محال **فمن اظلم**
ممن افترى على الله كذبا اي زعم ان له شريكا وولدا ثم قال بعضهم **واذ اعتزلتموهم**

يعني قومهم

أي قلنا وحدنا من غير يقين ولم يقل في السبعة وتخصيص الشيء في الوصف يدل على أن الحال
في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وأن يكون قول المسلمين
مخالفا لقول النصارى في كونه رجما بالغيب ولهذا ثم اتبعه بقوله تعالى قل ربي أعلم بعدتهم
ما يعلمهم إلا قليل أي هذا هو الحق لأنه العالم بتفاصيل كائنات العالم والحوادث والكائنات
فيه في الماضي والمستقبل لا يحصل إلا بالله تعالى أو من أخبره الله بذلك قال ابن عباس أنا من
أولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وينيونس وسارينوس
وكفشططيونس وسادنوس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير فلا تمار فيهم أي لا تجادلهم
في عدتهم وشأنهم إلا مراء ظاهرا أي بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد
عليه ولا تستفت فيهم أي في أصحاب الكهف منهم أي من أهل الكتاب أحدا أي لا ترجع إلى قول
أحد منهم بعد أن أخبرناك قصتهم قوله عز وجل ولا تقولن لشيء . أي لأجل شيء إني فاعل ذلك غدا
إلا أن يشاء الله أي إذا عزمت على فعل شيء غدا فقل إن شاء الله ولا تقل بغير استثناء
وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي
القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي أياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة
في سورة بني إسرائيل واذكر ربك إذا نسيت قال ابن عباس معناه إذا نسيت الاستثناء
ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان بعد سنة وجوزه الحسن
ما دام في المجلس وجوز بعضهم إذا قرب الزمان فإن بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون
الكلام متصلا بالاستثناء وقيل في معنى الآية واذكر ربك إذا غضبت قال وهب مكتوب في
التوراة والإنجيل يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب وقيل الآية في الصلاة
يدل عليه ما روي أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة
فليصلها إذا ذكرها أقم الصلاة لذكري متفق عليه زاد مسلم أو نام عنها فكفارتها أن
يصليها إذا ذكرها وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا أي يثبتني
على طريق هو أقرب إليه وأرشد وقيل إن الله أمره أن يذكره إذا نسي شيئا ويسأله أن
يذكره أو يهديه لما هو خير له من تذكر ما نسي وقيل إن القوم سألوه عن قصة أصحاب
الكهف على وجه العناد أمره الله تعالى أن يخبرهم أن سيؤتيه الله تعالى من الحجج على
صحة نبوته صلى الله عليه وسلم ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل من حيث
آتاه علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل
هذا أمر أن يقول مع قول إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان
قول إن شاء الله فتوبته أن يقول عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا قوله تعالى
ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قيل هذا إخبار عن قول أهل
الكتاب ولو كان خبرا عن الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه

ولكن الله رد قولهم بقوله قل الله اعلم بما لبثوا في الكهف ان تنازعوا والاصح انه اخبار من الله
تعالى عن قدر لبثهم في الكهف بقوله قل الله اعلم بما لبثوا ان تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف
اي هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف
الى يومنا هو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة سنين وازدادوا التسع سنين
فرد الله عليهم ذلك وقال الله اعلم بما لبثوا يعني بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه
الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل نزول قوله ولبثوا في كهفهم
ثلاث مائة فقالوا اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير
لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا قيل قالت نصارى نجران اما الثلاثمائة
فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب
ثلاثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلاثمائة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية
في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون الثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع سنين
قمرية له غيب السماوات والارض يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوال العالم وانه العالم وانه العالم
وحده بالغيب فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف ابصر به واسمع معناه ما ابصر الله بكل موجود
واسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر لا يخفى
عليه خافية ما لهم اي ما لاهل السماوات والارض من دونه من ولي اي ناصر
ولا يشرك في حكمه احدا قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه احدا وقيل في قضائه قوله عز
وجل واتل اي واقرأ يا محمد ما اوحي اليك من كتاب ربك يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل بما
فيه لا مبدل لكلماته اي لا مغير للقرآن ولا يقدر احد على التطرق اليه بتغيير او تبديل
فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ في الحقيقة ليس
تبديلا لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون
تبديلا وقيل معناه لا مغير لما وعد الله بكلماته لاهل معصيته ولن تجد من دونه اي من دون الله
ان لم تتبع القرآن ملتحدا اي ملجأ او حرزا تعدل اليه قوله عز وجل واصبر نفسك الآية نزلت في
عيينة بن حصن الفزاري اتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان
وعليه شملة صوف وقد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي صلى
الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما
يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك واجعل لنا مجلسا فانزل الله تعالى واصبر نفسك اي
احبس نفسك يا محمد مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعني طرفي النهار يريدون
وجهه اي يريدون الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت في اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل
فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا الى ضرع يصلون
صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في

امتي من

١

امتثى من اموت ان اصبر معه ولا تعد عيناك عنهم اي الى غيرهم تريد زينة الحيوة الدنيا اي تطلب
مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة اهل الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي جعلنا قلبه
غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل امية بن خلف واتبع هواه اي في طلب الشهوات
وكان امره فرطا ضايعا ضيع امره وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق
وقل الحق من ربكم اي قل يا محمد لهولاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق
والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الي من ذلك شي فمن شاء فليومن ومن شاء
فليكفر لفظ على طريق الوعيد والتهديد كقوله اعملوا ما شيتم وقيل معنى الاية
وقل الحق من ربكم اي لست بطارد المومنين لهولاء فان شيتم فامنوا وان شيتم فاكفروا
فان كفرتم فقد اعد لكم نارا وان امنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس
في معنى الاية من شاء الله له الايمان امن ومن شاء له الكفر كفر انا اعتدنا اي هيانا
من العتاد وهي العدة للظالمين اي للكافرين نارا احاط بهم سرادقها السرادق
الحجرة التي تطيف بالفسطاط عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار اربعين سنة اخرجه الترمذي قال ابن
عباس هو حايط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة
وقيل هو دخان يحيط بالكفار وان يستغيثوا اي من شدة العطش يغاثوا بماء كالمهل
قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت
فروة وجهه منه اخرجه الترمذي قال رشدين احد رواة الحديث قد تكلم فيه من
قبل حفظه يعني ان جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الصديد والرصاص
والصفر المذاب يشوي الوجوه اي ينضج الوجوه من حره بيس الشراب اي ذلك الذي
يغاثون به وساءت اي النار مرتفقا قال ابن عباس منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق
المتكا. وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا
متكا قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن
عملا اي لا نترك اعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم باعمالهم الصالحة قيل ان قوله انا لا نضيع
اجر من احسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك لهم
جنات عدن اي دار اقامة سميت عدنا لخلود المومنين فيها تجري من تحتها الانهار
وذلك لان افضل المساكن ما كان يجري فيه الماء يحلون فيها من اساور من ذهب قيل
يحلى كل انسان ثلاثة اساور من ذهب لهذه الاية وسوار من فضة لقوله وحلوا
اساور من فضة وسوار من لولو لقوله ولولوا ولباسهم فيها حرير ويلبسون ثيابا
خضرا من سندس هو الديباج الرقيق واستبرق هو الديباج الصفيق الغليظ

وقيل السندس المنسوج بالذهب متكئين فيها على الارائك وهو هيئة المتنعمين والملوك
يعني اي في الجنة على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجال والله واعلم باسماء الاشياء
قال نعم الثواب اي نعم الجزاء وحسنت اي الجنة مرتفقا اي مقعدا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت
مرتفقا مقابلة ما تقدم من قوله وساءت مرتفقا قوله عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين قيل
نزلت في رجلين من اهل المدينة من بني مخزوم وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد
ياليل وكان مومنا واخوه الاسود بن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن
حصن واصحابه وسلمان واصحابه وشبههما برجلين من بني اسرائيل اخوين احدهما مومن
واسمه يهودا في قول ابن عباس وقيل تمليخا والاخر كافر واسمه قرطوس وهما اللذان وصفهما
الله في سورة الصافات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكان
لهما ثمانية الاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فاقتسماها
فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار
واني اشتريت منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار
فقال صاحبه اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتريت منك دارا في الجنة بالف دينار
فتصدق بالف دينار ثم تزوج صاحبه امراة وانفق عليها الف دينار فقال هذا اني خطبت
اليك امراة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف
دينار فقال هذا اللهم اني اشتريت منك خدما ومتاعا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم
اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبي لعل ينالني منه معروف فجلس على طريقه
ثم مر في خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شانك
قال اصابتني حاجة بعدك وقد اتيتك لتعينني بخير قال ما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا
واخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك
شيئا وطرده فقضي عليهما فتوفيا فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما
جنتين اي بستانين من اعناب وحففناهما اي اطفناهما من جوانبهما بنخل وجعلنا
بينهما زرعا اي جعلنا بين النخيل والاعناب الزرع وقيل بينهما اي بين الجنتين يعني لم يكن
بين الجنتين خراب بل في زرع كلتا الجنتين اتت اي اعطت واحدة من الجنتين
اكلها اي ثمرها تاما ولم تظلم منه اي ولم تنقص منه شيئا وفجرنا خلالهما اي
شققنا وسطهما نهرا وكان له ثمر اي لصاحب البستان ثمر قرئ بالفتح جمع ثمرة
وقرئ بالضم وهي الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف الذهب والفضة وغيرهما
فقال يعني صاحب البستان لصاحبه يعني المومن وهو يحاوره اي يخاطبه انا اكثر
منك مالا واعز نفرا اي عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ودخل جنته يعني الكافر
اخذ بيد اخيه المومن يطوف به فيها ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اي بكفره قال

١٢ الطن

ما أظن أن تبيد أي تهلك هذه يعني جنته أبدا وذلك أنه أعجبه حسنها وغرته
زهرتها فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث فقال وما أظن الساعة قائمة أي كائنة
ولئن رددت إلى ربي وهو منكر للبعث على ما يزعم من أن الساعة آتية فإن قلت
كيف قال ولئن رددت إلى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت إلى ربي
على ما تزعم أن الساعة آتية لأجدن خيرا منها منقلبا أي يعطيني هنالك خيرا
منها لأنه لم يعطني الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها قال له صاحبه يعني
المؤمن وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب أي خلق أصلك من تراب
لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقا له ثم من نطفة ثم سواك رجلا يعني عدلك
وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا
ولولا أي هلا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله والمعنى هلا قلت عند دخولها
والنظر إلى ما رزقك منها ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير يحصل فيها إنما حصل
بمشيئة الله تعالى وفضله وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها لا قوة
إلا بالله أي قلت لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها
هو بمعونة الله وتأييده ولا يقدر على حفظ مالي وهلاك شيء عنه إلا الله
روي عن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى من ماله شيئا يعجبه أو دخل حائطا
يعجبه من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله ثم قال أيضا إن ترن
أنا أقل منك مالا وولدا أي لا تفتخر لك تكبرت علي وتعظمت فعسى ربي أن
يفعل الله أن يؤتين أي يعطيني في الآخرة خيرا من جنتك ويرسل عليها أي على جنتك
حسبانا قال ابن عباس نارا وقيل مرامي من السماء وهي الصواعق فتهلكها فتصبح
صعيدا زلقا أي أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الأقدام وقيل رملا هائجا
أو يصبح ماؤها غورا أي غائرا ذاهبا لا تناله الأيدي ولا الدلاء فلن تستطيع له طلبا
يعني إن طلبته لم تجده وأحيط بثمره أي أحاط العذاب بثمر جنته وذلك أن الله تعالى
أرسل عليها نارا فأهلكتها وغار ماؤها فأصبح يعني صاحبها الكافر يقلب كفيه أي
يصفق كفيه كفا على كف ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا على ما أنفق فيها المعنى فأصبح
يندم على ما أنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها أي ساقطة سقوفها وقيل إن
كرومها المعرشة سقطت من عروشها على الأرض ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا
يعني أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن
مشركا ولم تكن له فئة أي جماعة ينصرونه من دون الله أي يمنعونه من عذاب الله
وما كان منتصرا أي ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل وقيل معناه لا يقدر على
رد ما ذهب منه قوله تعالى هنالك الولاية لله قرئ بكسر الواو ويعني السلطان ب

القيامة لله الحق وقرئ بفتحهما من الموالات والنصرة انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا
يعبدون في الدنيا هو خير ثوابا اي افضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره يثيب وخير عقبا
يعني عاقبة طاعته خير من طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة قوله عز وجل واضرب لهم اي
يا محمد اضرب لقومك مثل الحيوة الدنيا كماء انزلنه من السماء يعني المطر فاختلط به
نبات الارض فاخرج من كل لون وزهرة فاصبح اي عن قريب هشيما قال ابن عباس يابسا
تذروه الرياح قال ابن عباس تنسفه وقيل تنشره وتنسفه وكان الله على كل شيء مقتدرا
اي قادرا قوله تعلى المال والبنون يعني التي يفتخر بها عيينة واصحابه الاغنياء زينة الحياة
الدنيا يعني ليست من زينة الاخرة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه المال والبنون حرث
الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد جمعهما الله لاقوام والباقيات الصالحات هي قول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت
عليه الشمس عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا
من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله
قال التكبير والتسبيح والتهليل والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول
الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابن المسيب
ان الباقيات الصالحات هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله اخرجه مالك في الموطا موقوفا عليه وعن ابن عباس ان الباقيات
الصالحات هي الصلوات الخمس وعنه انها الاعمال الصالحة خير عند ربك ثوابا اي جزاء وخير
املا اي ما يؤمله الانسان قوله تعلى ويوم نسير الجبال اي نذهب بها بان نجعل هباء منثورا
كما يسير السحاب وترى الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها شيء ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما
في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرا وحشرناهم يعني جميعا الى موقف الحساب
فلم نغادر منهم احدا اي لم نترك منهم احدا وعرضوا على ربك صفا اي صفا صفا فوجا
فوجا لانهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم يقال لهم لقد جئتمونا كما
خلقناكم اول مرة يعني احياء وقيل كل امة حفاة عراة غرلا بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا
يعني القيامة يقوله لمنكري البعث وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا كما
بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلق يكسى يوم القيامة ابراهيم
عليه السلام الا وانه سيجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابي

فيقول

فيقول الله تعالى ارني ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية
فاقول سحقا سحقا قوله غرلا اي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من جلدة الذكر وهو موضع الختان
وقوله سحقا اي بعدا قال بعض العلماء ان المراد بقوله اصحابي اهل الردة الذين ارتدوا من العرب
ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم
الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية لكل امرئ منهم يومئذ
شأن يغنيه قوله عز وجل **ووضع الكتاب** يعني كتاب اعمال العباد توضع في ايدي الناس
في ايمانهم وشمائلهم وقيل يوضع بين يدي الله تعالى **فترى المجرمين مشفقين مما فيه** اي خائفين
من الاعمال السيئة **ويقولون** يعني اذا راوها **يا ويلتنا** اي يا هلاكنا وكل من وقع في هلكة
دعا بالويل **مال هذا الكتاب لا يغادر** اي لا يترك **صغيرة ولا كبيرة** اي من ذنوبنا
الا احصاها اي عدها وكتبها واثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم
والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمسيس والقبلة والكبيرة
الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب
فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وهذا بعود حتى
نضجوا خبزتهم وان محقرات الذنوب الموبقات لكبيرة الكبير. الصغير التابعة وقوله الموبقات
اي المهلكات **ووجدوا ما عملوا حاضرا** اي مكتوبا مثبتا في كتابهم **ولا يظلم ربك احدا**
اي لا ينقص ثواب احد عمل خيرا ولا يواخذ احدا بجرم لم يعمله عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان
فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه
وآخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث لان الحسن لم يسمع من
ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى قوله تعالى **واذ قلنا** اي اذكر يا محمد
اذ قلنا **للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن** قال ابن عباس
كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن
ولم يكن من الملائكة فهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس ووجه كونه من الملائكة
لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا
قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملائكة تسمى جنا وبعضده اللغة لان الجن
ماخوذ من الاجتنان وهو الستر وعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن وليس
كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله استثناه والاستثناء يفيد
ما لولاه لدخل ويجب دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه من

الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس غير الملائكة وقوله افتتخذونه
وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وانما اثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم فان قيل اجيب
عن هذا الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله تعالى واذ قال
ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما وقيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير ولعن وطرد وقوله تعالى ففسق
عن امر ربه يعني خرج عن طاعة ربه افتتخذونه يعني يا بني آدم افتتخذون ابليس
وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو يعني اعداء روى مجاهد عن الشعبي قال اني
لقاعد يوما اذ اقبل حمال فقال اخبرني هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم
ثم ذكرت قوله عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دوني فعلمت انه لا يكون ذرية الا من
زوجة فقلت نعم وقيل يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره
فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس
وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفان ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق
يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه
ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المراة
ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس لا يجدون لها اصلا وداسم وهو
الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع او يحسن موضعه
واذا اكل ولم يسم اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم
فرايت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم روى ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس
الماء اخرجه الترمذي م عن عثمان بن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان
قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان
يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك
فاذهبه الله عني م عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجيء احدهم
فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يجيء احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه
وبين امراته فيقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه وقوله بئس للظالمين بدلا يعني
بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته قوله تعالى ما اشهدتهم اي ما
احضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة خلق السماوات والارض ولا خلق
انفسهم والمعنى ما اشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها واشاورهم فيها وما كنت
متخذ المضلين يعني الشياطين الذين يضلون الناس عضدا يعني انصارا واعوانا

قوله عز وجل

قوله عز وجل ويوم يقول يعني يقول الله يوم القيامة نادوا شركاءي يعني الاصنام الذين
زعمتم يعني انهم شركاءي فدعوهم اي فاستغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم
ولم ينصروهم وجعلنا بينهم يعني بين الاصنام وعابديها وقيل اهل الهدى واهل الضلال موبقا
مهلكا وقال ابن عباس هو واد في النار وقيل نهر يسيل نارا على حافتيه حيات وعقارب مثل البغال
الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق واصله الهلاك ورأى المجرمون النار اي المشركون
فظنوا اي ايقنوا انهم مواقعوها اي داخلوها وواقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا
اي معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها قوله تعالى ولقد
صرفنا اي بينا في هذا القرآن للناس من كل مثل اي ليتذكروا ويتعظوا وكان الانسان اكثر
شيء جدلا اي خصومة بالباطل قال ابن عباس اراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن وقيل
اراد به الكفار وقيل الاية على العموم وهو الاصح وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال الا تصليان
فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيئا ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه يقول وكان الانسان اكثر
شيء جدلا قوله عز وجل وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى يعني القرآن والاسلام
والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستغفروا ربهم والمعنى انه
لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم يقدموا
على الايمان والاستغفار الا ان تاتيهم سنة الاولين يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم
يومنوا وهو عذاب الاستئصال او ياتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس عيانا من المقابلة وقيل
فجاءة قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالثواب على الطاعة ومنذرين
بالعقاب لمن عصى ويجادل الذين كفروا بالباطل اي هو قولهم ابعث الله بشرا رسولا
وقولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك ليدحضوا اي ليبطلوا به الحق ويزيلوه
واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا فيه اضمار يعني القرآن وما انذروا به وهو القرآن
استهزاء قوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر اي وعظ بايات ربه فاعرض عنها اي تولى
عنها وتركها ولم يومن بها ونسي ما قدمت يداه اي ما عمل من المعاصي من قبل انا جعلنا
على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه يعني يريد ان لا يفقهوه وفي آذانهم وقرا
اي ثقلا وصمما وان تدعهم يا محمد الى الهدى اي الدين الحق فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا
في اقوام علم الله منهم انهم لا يومنون وربك الغفور اي البليغ المغفرة ذو الرحمة اي
الموصوف بالرحمة لو يواخذهم اي يعاقب الكفار بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب
اي في الدنيا بل لهم موعد يعني البعث والحساب لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجأ
وتلك القرى اي اهل قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم اهلكناهم لما ظلموا

اي كبيرا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي اجلا لاهلاكهم قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه
لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين الايات اتفق العلماء على ان موسى المذكور في هذه الاية موسى
ابن عمران بن سبط لاوي بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار
انه موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول
اصح بدليل ان الله تعالى لم يذكر في كتابه موسى الا اراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم
يوجب الانصراف اليه ولو اراد شخصا اخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما
وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة واما فتاه
فالصحيح انه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد
وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل فتاه يعني عبده والصحيح الاول بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وعن سعيد بن جبير قال قلت لابن
عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل فقال ابن
عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ
لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب
فكيف لي به فقال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ
حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة وضعا
رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه الحوت فسقط في البحر فاتخذ
سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق
فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى
اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال
ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله به فقال له فتاه ارايت اذ اوينا الى
الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر
عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على
آثارهما قصصا قال رجعا يقصان آثارهما حتى اتيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى ثوبا
فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى قال موسى بني
اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا
موسى اني على علم من الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من الله علمكه الله لا اعلمه
فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال له الخضر فان اتبعتني فلا
تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت
سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ نول

ما والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول
عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فقال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر
في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص من هذا البحر
ثم خرجا من السفينة فبينما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان
فاخذ براسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس
لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى
قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى
اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض قال مائل فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم
يطعمونا ولم يضيفونا لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك — لو شئت صح
بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى
لوددت انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس
يقرا وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرا واما الغلام
فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين وفي رواية عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قام موسى فذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ثم
ولى فادركه رجل فقال يا رسول الله هل في الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله
عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى قيل بلى قال يا رب اين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا
ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد الحوت زاد
في روايته وفي اصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حيي فاصاب
الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر رجعنا الى التفسير قوله
لا ابرح اي لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين قيل اراد بحر فارس والروم مما يلي
المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية او امضي حقبا يعني او اسير دهرا طويلا والحقب
ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة عشر
صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة
لا تصيب شيئا الا حيي فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت
ودخلت في البحر فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما اي بين البحرين نسيا اي تركا
حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما اضاف النسيان اليهما
لانهما تزوداه للسفر فهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما اي نسيا كيفية الاستدلال

بفقد الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب فاتخذ اي الحوت سبيله في البحر
سربا اي مسلكا روى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انجاب
الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم تلتئم ودخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو
بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا في البحر الا يبس حتى صار صخرة وفي رواية انهما
لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ
سبيله في البحر سربا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق فلما استيقظ
موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كان من الغد وهو قوله تعالى فلما جاوزا يعني
ذلك الموضع وهو مجمع البحرين قال يعني موسى لفتاه آتنا غداءنا اي طعامنا الغداء لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا اي تعبا وشدة وذلك انه القي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة
ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه قال يعني يوشع أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة وهي صخرة كانت
بالموضع الموعود قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت اي تركته وفقدته وذلك
ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى ليخبره فنسي ان يخبره فمكثا يومهما الى
ان صليا الظهر من الغد ثم قال وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اي وما انساني ان
اذكر امر الحوت الا الشيطان وقيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوسواس الشيطان
التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد العلم لان ذلك لا يقع الا من قبل الله تعالى واتخذ
سبيله في البحر عجبا قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقف الحوت في البحر فاتخذ فيه مسلكا
وروي في الخبر كان للحوت سربا ولموسى عجبا وقيل اي شيء اعجب من حوت يوكل منه دهرا وفتاه
ثم صار حيا بعد ما اكل بعضه قوله عز وجل قال يعني موسى ذلك ما كنا نبغي اي نطلب
فارتدا على آثارهما قصصا اي رجعا يقصان الذي جاءا منه ويتبعانه فوجدا عبدا من
عبادنا قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاء في التواريخ انه الخضر واسمه ايليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل هو من بني اسرائيل
وقيل من ابناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب سمي به لذلك عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر خضرا لانه
جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز خضراء الفروة قطعة من نبات مجتمعة يابسة وقيل
سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله روينا ان موسى راى الخضر مسجى بثوب فسلم
عليه فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا
ومعنى مسجى بثوب اي مغطى بثوب وقوله واني بارضك السلام معناه من اين لهذه الارض التي انت
بها السلام وروي انه لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر فذلك قوله فوجدا
عبدا من عبادنا آتيناه رحمة اي نعمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما اي علم الباطن
الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم فان قلت هذه الاية تدل على ان

الخضر

الخضر كان اعلى شانا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتادب معه فلذلك
لا يخلوا ان يكون الخضر من بني اسرائيل او من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من امة
موسى ولا يجوز ان يكون احد الامة افضل من نبيها او اعلم منه وان كان من غير بني اسرائيل
فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانكم قال له موسى هل
اتبعك معناه جئتك لاصحبك على ان تعلمن مما علمت رشدا اي صوابا وقيل علما
ترشدني به وفي بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وبني اسرائيل قال له موسى
ان الله امرني بهذا فجئتك قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال له ذلك
لانه علم انه يرى امورا منكرة ولا يجوز للانبياء صبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي علما قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا انما
استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر ولا اعصي لك امرا اي ولا اخالفك فيما تامرني به قال
فان اتبعتني اي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا
فقال فلا تسالني عن شيء اي مما اعلمه مما تنكره ولا تعترض عليه حتى احدث لك
منه ذكرا معناه حتى ابتدئ بذكره فابين لك شانه قوله تعالى فانطلقا اي يمشيان
على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال اهل
السفينة هؤلاء لصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكني
ارى وجوه الانبياء عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت
بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اي بغير عوض ولا عطاء
فلما لججوا في البحر اخذ الخضر فاسا فخرق لوحا من الواح السفينة فذلك قوله تعالى
حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال يعني موسى له اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت
شيئا امرا اي اتيت شيئا عظيما منكرا وروي ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها
الماء وروي ان موسى لما راى ذلك اخذ ثوبه فحشى به الخرق قال له العالم وهو الخضر
الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال يعني موسى لا تؤاخذني بما نسيت قال ابن
عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه نسي شيئا اخر وقيل معناه بما تركت
من عهدك والنسيان الترك وقال ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
كانت الاولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقني اي لا تغشني
من امري عسرا والمعنى لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة
وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي امري فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله وفي
القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بالغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما
ظريفا وضيء الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا
انه اخذ براسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه واشار

بأصابعه الثلاثة الإبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروي أنه رضخ رأسه بحجر وقيل
إنه ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل
كان اسمه حيسورا ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتلت نفسا زاكية بغير نفس إلا وهو صبي
لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسورا وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ
المتاع ويلجأ إلى أبويه وقيل كان غلاما يعمل الفساد ويتأذى منه أبواه وعن أبي بن كعب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا
ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا **قال** يعني موسى **أقتلت نفسا زاكية** أي لم تذنب
قط وقرئ زكية وهي التي أذنبت ثم تابت **بغير نفس** أي ما قتلت نفسا حتى يجب عليها القتل
لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا وقيل النكر أعظم من الإمر لأنه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة
السفينة خوف الهلاك وقيل الإمر أعظم لأن فيه تغريق جمع كثير ومعناه لقد جئت شيئا
أنكر من الأول لأن ذلك كان خوفا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه **قال** يعني الخضر
ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا فإن زاد في هذه قوله لك لأنه نقض العهد مرتين
وقيل إن هذه اللفظة توكيد التوبيخ فعند هذا **قال موسى إن سألتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني** أي فارقني ولا تصاحبني **قد بلغت من لدني عذرا** قال ابن عباس أي قد أعذرت
فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة
من حيث إنه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة وعن أبي بن كعب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان إذا ذكر أحدا من الأنبياء
بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة وهو بمعنى الحياء
والإشفاق من الذم واللوم يقال أذممه ذمامة يعني لحقته ملامة ويشبهه له قول الخضر
هذا فراق بيني وبينك قوله تعالى **فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية** قال ابن عباس يعني
أنطاكية وقيل الأيلة وهي أبعد الأرض من السماء وقيل هي بلدة بالأندلس **استطعما
أهلها فأبوا أن يضيفوهما** قال أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أتيا
أهل قرية لئاما فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروي أنهما
طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا
لنسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة أنه قال شر القرى التي لا تضيف الضيف **فوجدا فيها
جدارا يريد أن ينقض** أي يسقط وهذا من مجاز الكلام لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه
قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر
كما استعير للجدار الإرادة **فأقامه** أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم فقام الخضر بيده فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه **قال** يعني

موسى لو شئت لتخذت عليه اجرا يعني على اصلاح الجدار جعلا والمعنى قد علمت
انا جياع وان اهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك اجرا قال يعني الخضر هذا
فراق بيني وبينك يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك اخذ الاجرة
هو المفرق بيننا سانبئك بتاويل اي ساخبرك بتفسير ما لم تستطع عليه صبرا
وقيل ان موسى اخذ بثوب الخضر وقال اخبرني بمعنى ما عملت قبل ان تفارقني فقال الخضر
اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة
يعملون في البحر يواجرون ويكسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيئا
لا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة
اشد من حال المسكين لان الله تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة
فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم وقيل
خلفهم وكان رجوعهم في طريق عليه ولم يعلموا به ياخذ كل سفينة غصبا اي كل سفينة
صالحة فخرقها وعيبتها حتى لا ياخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الازدي وكان
كافرا وقيل كان اسمه هود بن بدد وروي ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شان
الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال اردت انها اذا مرت به ان يدعها لعيبها
فاذا جاوزوه اصلحوها وانتفعوا بها فقوله عز وجل واما الغلام فكان ابواه مومنين
فخشينا اي خفنا والخشية خوف يخشوه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه
وقيل معناه فعلمنا ان يرهقهما اي يغشيهما وقيل يكلفهما طغيانا وكفرا وقيل معناه
ان يحملهما حبه على ان يتبعاه على دينه فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه الابدال
رفع الشيء ووضع اخر مكانه زكاة اي صلاحا وتقوى وقيل هي مقابلة قوله اقتلت نفسا
زكية فقال الخضر اردنا ان يرزقهما الله خيرا منه زكاة واقرب رحما اي ويكون المبدل منه
اقرب عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل ابدلهما جارية فتزوجها نبي
من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل
ابدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو
بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله تعالى للمومن فيما يكره
خير له من قضائه فيما يحب واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل كان اسمهما
اصرم وصريم وكان تحته كنز لهما روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان الكنز ذهبا وفضة اخرجه الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم قال ابن
عباس كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن
بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن ايقن بالحساب كيف
يغفل عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد ر

بحر

نحي
وصروم

رسول الله وفي الجانب الاخر لا اله الا الله انا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن
خلقته للخير واجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز اذا اطلق
اريد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عنه فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما
وكان ابوهما صالحا قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقياء وقال ابن عباس حفظا بصلاح
ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء قال محمد بن المنكدر ان الله تعالى يحفظ
بصلاح الاب ولده وولد ولده وعترته والدويرات حوله وما يزالون في حفظ الله
ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذكر ولدي فازيد في صلاتي فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما اي يعقلا ويدركا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمانية عشر سنة فان
قلت كيف قال في الاولى فاردت وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك وما وجه
كل واحد من هذه الالفاظ قلت انه لما ذكر العيب اضافه لنفسه على سبيل الادب
مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على
انه من العلماء العظام في علم الباطن وعلوم الحكمة فانه لا يقدم على مثل هذا الفعل
الا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح ابيهما اضافه
الى الله تعالى لان حفظ الابناء وصلاح احوالهم لرعاية حق الاباء ليس ذلك الا الى الله تعالى
فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى ويستخرجا كنزهما يعني اذا بلغا وعقلا وقويا رحمة من
ربك اي نعمة من ربك وما فعلته عن امري اي باختياري ورايي بل فعلته بامر الله
والهامه اياي واستدل بقوله وما فعلته عن امري ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحي
وذلك للانبياء والصحيح انه ولي الله وليس بنبي فان اجيب عن قوله وما فعلته عن
امري انه الهام من الله تعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء لان نقض اموال الناس واراقة
دمائهم وتغيير احوالهم لا يكون ذلك الا بالهام وامر الله تعالى وقيل معناه انما فعلت هذه الا
شيا لغرض ان تظهر رحمة الله لان هذه باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى
لدفع الضرر الاعلى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي لم تطق ان تصبر عليه روي
ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به
واطلب العلم لتعمل به واختلف العلماء في ان الخضر حي لم يمت فقيل انه حي
وهو قول الاكثرين من العلماء ومتفق عليه عند مشايخ الصوفية واهل الصلاح والمعرفة
وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير اكثر من
ان تحصى قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة
معهم في ذلك هذا اخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة في الموسم
وكان السبب في حياة الخضر فيما حكي انه شرب من ماء عين الحياة وذلك ان ذا القرنين
دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل ع بعض منه

وشرب منها

ونشرب منها وصلى شكرا لله تعالى واخطأها ذو القرنين الطريق فرجع وذهب اخرون الى انه ميت
لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء
ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض وكان
الخضر حيا لكن لا يعيش بعده قوله عز وجل **ويسئلونك عن ذي القرنين** قيل اسمه مرزبان
ابن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وقيل اسمه الاسكندر
ابن فيلقوس كذا الصحيح الرومي وكان من ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام فخر
الدين الرازي في تفسيره عن ابي ريحان البيروني المنجم في كتابه المسمى بالاثار الباقية
عن القرون الخالية انه من حمير واسمه ابو بكر بن سمي بن عمر بن افريقش الحميري وهو الذي
افتخر احد شعراء حمير حيث يقول شعر

قد كان ذو القرنين عمرو مسلما • ملكا علا في الارض غير معند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي • اسباب ملك من كريم مرشد
فراى مآب الشمس عند غروبها • في عين ذي خلب وثاط حرمد

قوله فراى ماب الشمس اي ذهاب الشمس وقوله في عين ذي خلب اي حمئة والثاط
الحماة والحرمد الطين الاسود وقيل سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس
مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه
راى في المنام انه اخذ بقرني الشمس وقيل انه كان له ذؤابتان حسنتان وقيل كان له قرنان
تواريهما العمامة ويروى عن علي انه امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات
فاحياه الله ثم بعثه فامرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله
واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا لقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب
الله لا يكون الا مع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سئل علي عن ذي القرنين
اكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه
وروي ان عمر سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى
تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذي عليه الاكثرون انه كان ملكا عادلا صالحا وانه بلغ
اقصى المشرق والمغرب والشمال وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات
ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان له طوائف ثم مضى الى ملوك المغرب وقهرهم وامضى
حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم
دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب
الابواب وبنى السد ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك
الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور
ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان الفا وثلاثين سنة وملك هذا الملك

نخ السروني

البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب ان يكون ملكه مطلعا على وجه الارض
بذلك قوله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا اي خبرا اتضمن
حاله قوله انا مكنا له في الارض اي وطأنا له والتمكين تمهيد الاسباب قال علي سخر
له السحاب يحمل عليه ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء
وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها وآتيناه من كل شيء يحتاج اليه الخلق
وكل ما تستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء سببا اي علما يتسبب به الى
كل ما يريده ويسير به في اقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث اراد وقيل قربنا له اقطار الارض
فاتبع سببا اي سلك طريقا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة
اي حارة وفي قراءة حامية اي ذات حماة وهي الطينة السوداء وسأل معاوية كعبا
كيف في التوراة تغرب الشمس واين تغرب قال نجد في التوراة انها تغرب في ماء وطين
وقيل يجوز ان يكون في معنى في عين حمئة اي عندها عين حمئة او في راى العين وذلك انه
بلغ موضعا في المغرب لم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في ظلمة
كما ان راكب البحر يرى الشمس كأنها تغرب في البحر ووجد عندها قوما اي عند العين
امة قال ابن جريج مدينة لها اثنى عشر الف باب يقال لها ناسوسرو واسمها بالسريانية
جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود الذين امنوا بصالح لولا ضجيج اهلها لسمع
الناس وجبة الشمس حين تجب اي تغيب قلنا يا ذا القرنين يستدل بهذا من
يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه
الالهام وقيل يحتمل ان يكون منه الخطاب على لسان غيره اما ان تعذب يعني تقتل
من لم يدخل في الاسلام واما ان تتخذ فيهم حسنا يعني تعفو وتصفح وقيل
تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله تعالى بين الامرين قال اما من ظلم اي كفر فسوف نعذبه
اي نقتله ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه عذابا نكرا اي منكرا يعني بالنار لانها
انكر من القتل واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى اي جزاء اعماله الصالحة
وسنقول له من امرنا يسرا اي لين القول ونعامله باليسر من امرنا ثم اتبع سببا
اي سلك طريقا ومنازل حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا قيل انهم في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من
جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا في اسراب لهم
تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل
كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفعت الشمس عنهم خرجوا فرعوا
كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى
وقيل انهم قوم من نسل مؤمني قوم هود واسمهم [illegible] جابلق واسمها

نخ جابرس ايضا

بالسريانية

بالسريانية مرقيسا وهم مجاورون يأجوج ومأجوج قوله قوله تعالى كذلك اي كما بلغ مغرب
الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه انه حكم في القوم الذين هم عند مطلعها كما حكم في القوم الذين هم عند مغربها وهو الاصح وقد احطنا
بما لديه خبرا اي علما اي علما بما عنده ومعه من الجنود والعدد والالات الحرب وقيل معناه وقد علمنا
حين مكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به والقيام بامره قوله عز وجل
ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وهما هنا جبلين في ناحية الشمال في منقطع ارض
الترك حكي ان الواثق بعث بعض من يثق به من اتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب
من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشد وبه
بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ووجد من دونهما قوما يعني امام السدين
قيل هم الترك لا يكادون يفقهون قولا قال ابن عباس لا يفقهون كلام احد
ولا يفهم الناس كلامهم قالوا يا ذا القرنين فان قلت كيف اثبت لهم القول
وهم لا يفقهون قلت كلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل
معناه لا يكادون يفقهون الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس ان يأجوج
ومأجوج اصلهما من اجيج النار وهو ضوءها ونورها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم
وهم اولاد يافث بن نوح عليه السلام والترك منهم طايفة منهم خرجت تغير فضرب
ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال اهل قال ان
التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم
وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج
ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة اجزاء وولد ادم كلهم جزء روى حذيفة مرفوعا
ان يأجوج امة ومأجوج امة وكل امة اربعة الاف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر
له الف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد ادم يسيرون الى خراب الدنيا
ثم قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طوله عشرون
ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة
وهؤلاء لا تقوى لهم الجبال ولا الشجر وصنف منهم يفترش احدهم اذنه ويلتحف
بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمهم
بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وعن
علي رضي الله عنه قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال
كعب هم نادرة في ولد ادم وذلك ان ادم احتلم ذات يوم وامتزجت
نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج وهم يتصلون بنا
من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من
الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله اني باعثك الى امم مختلفة

السنتهم منهم امتان بينهما هول الارض احدهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى
عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى
في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وامم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال
ذو القرنين باي قوة اكابدهم وباي جمع اكاثرهم وباي لسان اناطقهم قال الله تعالى سأطوقك
وابسط لسانك واشد عضدك فلا يهولنك شيء والبسك ثوب الهيبة فلا
يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك فالنور يهديك من امامك
والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى اتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه
الا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله وعبادته فمنهم من
امن ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت
اجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما فانطلق يقودهم
والظلمة تسوقهم حتى اتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى اتى منسك ففعل
فيهم كفعله فيما قبلهما ثم عمد الى الامم التي في وسط الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك
مما يلي المشرق قالت له امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا
مثل اشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش كالسباع وياكلون الحيات والعقارب
وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك انهم يشغلون الارض
ويظهرون عليها ويفسدون فيها **فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم**
سدا قال ما مكني فيه ربي خير اي ما قواني فيه ربي خير من جعلكم (ذو القرنين) **فأعينوني بقوة**
يعني كالأجراء المال بل اعينوني بقوتكم **اجعل بينكم وبينهم ردما** اي سدا قالوا وما تلك
القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والالة قالوا فما تلك الالة قال **اتوني زبر**
الحديد اي اعطوني زبر الحديد اي قطع الحديد فاتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد
والحديد على الحطب **حتى اذا ساوى بين الصدفين** اي بين طرفي الجبل **قال انفخوا** يعني
في النار **حتى اذا جعله نارا** اي صار نارا **قال اتوني افرغ** اي اصبب **عليه قطرا**
اي نحاسا مذابا فجعلت النار تاكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد فيه
قيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه
مائتا ذراع وطوله فرسخ **واعلم** ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة
الكبيرة اذا انفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن
الا بالقرب فكانه تعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين حتى تمكنوا
من العمل فيه **فما اسطاعوا ان يظهروه** اي يعلوا عليه لعلوه وملاسته **وما استطاعوا**
له نقبا اي من اسفله لشدته وصلابته **قال** يعني ذو القرنين **هذا** اي السد **رحمة من ربي**
اي نعمة من ربي **فاذا جاء وعد ربي** قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم **جعله**

> اي جعلا من اموالنا
> اي خرجا وقيل يعطون البناء

دكا اي ارضا ملساء وقيل مع كونها مستويا مع الارض وكان وعد ربي حقا عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج
مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله عقد تسعين هذا من موضوعات الحساب وهو ان
يجعل راس السبابة في وسط الابهام من باطنها كشبه الحلقة لكن لا يتبين الا خلل يسير
وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه
قال ارجعوا فستخرقونه غدا قال فيعيده الله كاشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم
واراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا ان شاء الله
واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس
فيستقون المياه ويفر الناس منهم وفي رواية فيتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم الى
السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السماء قسوة
وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيهلكون قال فوالذي نفسي بيده ان دواب
الارض لتسمن وتسكر من لحومهم اخرجه الترمذي وقوله قسوة وعلوا اي غلظة وفظاظة
وتكبرا والنغف دود يخرج من انوف الابل والغنم قوله تسكر يقال سكرت الشاة تسكر
سكرا حتى امتلا ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ اجسادها لحما وتسمن وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج
ياجوج وماجوج قوله عز وجل وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قيل هذا عند فتح
السد يقول تركنا ياجوج وماجوج يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم
ببعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط
انسيهم بجنيهم حيارى ونفخ في الصور فيه دليل على ان ياجوج وماجوج من علامات قرب
الساعة فجمعناهم جمعا اي في صعيد واحد وعرضنا اي ابرزنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا اي حتى شاهدوها عيانا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري اي في غشاء وستر
عن ذكري اي عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها وكانوا
لا يستطيعون سمعا اي سمع القبول والايمان لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون ان
يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له قوله تعالى افحسب اي افظن
الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء يعني اربابا يريدون عيسى بن مريم
والملائكة بل هم لهم اعداء ويتبرؤون منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين اطاعوهم
من دون الله والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري اولياء واني لا اغضب لنفسي
ولا اعاقبهم وقيل معناه افظنوا انهم ينفعهم ان يتخذوا من دوني اولياء انا اعتدنا
اي هيانا جهنم للكافرين نزلا اي منزلا قال ابن عباس هي مثواهم وقيل معدة لهم
عندنا كالنزل للضيف قوله عز وجل قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا يعني الذين

اتبعوا انفسهم في عمل يرجون فيه فضلا ونيلا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود
والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع وقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه اهل حروراء يعني الخوارج الذين ضل سعيهم اي بطل عملهم واجتهادهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون اي يظنون انهم يحسنون صنعا اي عملا وصنعا بقال تعلى اولئك الذين
كفروا بآيات ربهم ولقائه يعني انهم جحدوا دلائل الله وقدرته وكفروا بالبعث والثواب
والعقاب وذلك انهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء
فحبطت اعمالهم اي بطلت فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما
يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز مقدار الطاعات ومقدار السيئات
قال ابو سعيد الخدري يأتي اناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال
تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه
نزدري بهم فليس لهم عندنا حظ ولا وزن (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة
وقال اقرءوا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك اشارة الى ما ذكر من حبوط
اعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعلى جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي
هزوا اي سخرية واستهزاء قوله تعلى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا (خ) عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم
الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمان ومنه تنفجر
انهار الجنة قال كعب ليس في الجنات جنة اعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وافضلها واوسطها وارفعها
قيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار والتي تنبت
ضروبا من النبات وقيل الفردوس بالرومية وقيل بلسان الحبشة منقول الى العربية نزلا هو
ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت
لهم في علم الله قبل ان يخلقوا خالدين فيها لا يبغون اي لا يطلبون عنها حولا اي تحويلا
الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما يتحول الرجل من دار لم توافقه
الى دار اخرى قوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال ابن عباس
رضي الله عنهما قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعلى هذه
الآية وقيل لما نزل وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود اوتينا التوراة فيها علم كل شيء فانزل
الله تعلى قل لو كان البحر مدادا يعني مدده وهو ما يستمد الكاتب فيكتب به واصله من الزيادة
وقال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب فيه الكلام يكتبون لنفد البحر

اي يفنى مادة

أي لفني ماؤه قبل أن تنفد كلمات ربي أي علمه وحكمه ولو جئنا بمثله مددا المعنى
ولو كان الخلق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات الله ولو جئنا بمثل ماء البحر
في كثرته مددا أو زيادة قوله عز وجل قل إنما أنا بشر مثلكم قال ابن عباس علم الله رسوله
صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقر فيقول أنا آدمي مثلكم إلا أني
خصصت بالوحي وأكرمني الله به وهو قوله يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد لا شريك
له في ملكه فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخاف المصير إليه وقيل يؤمل رؤية ربه فليعمل
عملا صالحا أي من حصل له رجاء لقاء الله والمصير إليه فليستعمل نفسه بالعمل الصالح
ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد
به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان أحدهما
أن يراد به الله سبحانه وتعالى والثاني أن يكون بريئا من جهات الشرك فيعقبها وعن
جندب بن عبد الله البجلي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي صح سمع
يرائي الله به قوله من سمع سمع الله به أي من عمل عملا مراءاة للناس يشتهر بذلك
شهره الله يوم القيامة وقيل معنى سمع الله به أي أسمعه المكروه م عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تبارك وتعالى
يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه ولغير
مسلم فأنا منه بريء هو والذي عمله عن سعيد بن أبي فضالة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك
في عمل عمله لله فليطلب ثوابه منه فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وقال النبي صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء م عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من آخر

تفسير سورة مريم عليها السلام وهي مكية وهي

ثمان وتسعون آية وسبعمائة وثمانون كلمة وثلاثة آلاف وثمان مائة حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل كهيعص قال
ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم للقرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم
أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من رحيم والعين
من عليم وعظيم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم
عالم ببريته صادق في وعده ذكر أي هذا الذي نتلو عليك ذكر رحمت ربك عبده زكرياء
قيل معناه ذكر ربك عبده زكرياء برحمته إذ نادى ربه أي دعا في المحراب نداء خفيا
أي دعاء سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في إخفاء دعائه لأن الجهر

والاسرار عند الله سيان وكان الاخفاء اولى لانه ابعد عن الرياء وادخل في الاخلاص وقيل
اخفاه ليلا لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه بدليل قوله
تعالى قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف ورق يعني اني من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس
واشتعل الراس اي ابيض الشعر شيبا اي شمطا ولم اكن بدعائك رب شقيا اي عودتني
الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان امنت ولم اشق بترك الايمان
واني خفت الموالي من ورائي يعني من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة
وقيل جميع الورثة وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد فهب لي من لدنك وليا اي اعطني من
عندك ولدا مرضيا يرثني ويرث من آل يعقوب اي ولدا وارثا وقيل اراد يرثني مالي ويرث من
آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد الحبورة لان زكرياء
كان راس الاحبار والاولى ان يحمل على الميراث غير المال لان الانبياء لا يورثون المال وانما ورثوا العلم
ويبعد من زكرياء وهو نبي من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع
بنو عمه دين الله تعالى ويغيروا احكامه وذلك لما شاهده من بني اسرائيل من تبديل الدين وقتل
الانبياء فسال ربه ولدا صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن
عباس واجعله رب رضيا اي برا تقيا مرضيا قوله تعالى يا زكرياء فيه المعنى فاستجاب الله له
دعاءه فقال يا زكرياء انا نبشرك بغلام اي بولد ذكر اسمه يحيى لم نجعل له من قبل
سميا اي لم يسم احد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم
يهم بمعصية قط قال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا فهذا وقيل لم يرد الله بذلك اجتماع
الفضائل كلها ليحيى وانما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه قال رب
انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا اي وامراتي عاقر وقد بلغت
من الكبر عتيا اي يبسا يريد بذلك نحول الجسم ورقة العظم ونحول الجلد قال كذلك قال
ربك هو علي هين اي يسير وقد خلقتك من قبل اي من قبل يحيى ولم تك شيئا قال
رب اجعل لي آية اي دلالة على حمل امراتي قال آيتك اي علامتك الا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا اي صحيحا سليما من غير باس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول
اصح قيل انه لم يقدر فيها على تكليمه مع الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه قوله عز وجل
فخرج على قومه من المحراب اي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس ينتظرونه من
وراء المحراب اي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب
فيدخلون فيصلون اذ خرج عليهم زكرياء متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اي
فاومى واشار اليهم وقيل كتب لهم في الارض ان سبحوا اي صلوا لله بكرة وعشيا
والمعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امراته منع
من الكلام فخرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة قوله تعالى يا يحيى فيه اضمار معناه ووهبنا

له يحيى

له يحيى وقلنا له يا يحيى **خذ الكتاب** اي التوراة **بقوة** اي بجد واجتهاد **وآتيناه الحكم**
قال ابن عباس يعني النبوة **صبيا** وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى احكم عقله واوحى
اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلت
لان اصل النبوة مبني على خرق العادة اذا كان كذلك فلا يمتنع صيرورة الصبي نبيا وقيل اراد
بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل ان يبلغ
فهو ممن اوتي الحكم صبيا **وحنانا من لدنا** اي ورحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا اي ترحم علي **وزكاة** قال ابن عباس
يعني الزكاة الطاعة والاخلاص وقيل العمل الصالح والمعنى وآتيناه رحمة من عندنا
وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم ويعملوا صالحا في اخلاص **وكان تقيا** اي مسلما
مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة قط ولا هم بها **وبرا بوالديه** اي بارا
لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله
تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا **ولم يكن جبارا** الجبار المتكبر وقيل
الذي يقتل ويضرب على الغضب وقيل الذي لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم
بنفسه اعظم من ان يلزمه قضاء لاحد **عصيا** وهو ابلغ من العاصي والمراد وصف يحيى
بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المومنين **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حيا** قيل امان له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم ويوم
يموت امان له من عذاب القبر ويوم يبعث حيا اي من عذاب القيامة وقيل اوحش ما يكون
الخلق في ثلاث مواطن يوم ولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت
لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى محشرا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى في هذه
المواطن فخصه بالسلامة فيها قوله عز وجل **واذكر في الكتاب** اي في القرآن **مريم اذ انتبذت**
اي تنحت واعتزلت **من اهلها** اي قومها **مكانا شرقيا** اي مكانا في الدار مما يلي الشرق وكان
ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقة تفلي رأسها وقيل ان مريم كانت تقعد في
الطهرة من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة **فاتخذت**
اي جعلت بينها **من دونهم حجابا** قال ابن عباس سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم
كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى
المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد تجردت عرض لها جبريل في صورة شاب
امرد وضيء الوجه سوي الخلق فذلك قوله تعالى **فارسلنا اليها روحنا** يعني جبريل
فتمثل لها بشرا سويا اي سوي الخلق لم ينقص من صورة الآدمية شيئا وانما مثل لها
في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت
عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد بالروح روح عيسى جاء في صورة بشر فحملت

به والقول الاول اصح فلما رات مريم جبريل يقصد نحوها بادرته من بعيد قالت اني اعوذ
بالرحمان منك ان كنت تقيا اي مومنا مطيعا ان تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها
وورعها فان قلت انما يتعوذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول
القائل ان كنت مومنا فلا تظلمني فينبغي ان يكون ايمانك مانع لك من الظلم كذلك هنا ينبغي ان تكون
تقواك مانعا لك من الفجور قال لها جبريل انما انا رسول ربك لاهب لك اسند الفعل اليه
وان كانت الهبة من الله لانه ارسل به غلاما زكيا اي ولدا صالحا طاهرا من الذنوب قالت
مريم انى يكون لي اي من اين يكون لي غلام ولم يمسسني بشر اي لم يقربني زوج ولم اك بغيا
اي فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح او سفاح ولم يكن هنا واحد منهما قال جبريل كذلك
قال ربك اي هكذا قال ربك هو علي هين اي خلق الولد بلا اب ولنجعله آية للناس اي
علامة للناس ودلالة على قدرتنا ورحمة منا اي نعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم
وكان امرا مقضيا اي محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل فحملته قيل ان جبريل
رفع درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فمها وقيل نفخ من بعيد
فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى فانتبذت اي فلما حملته تنحت بالحمل والذي في بطنها به مكانا قصيا
اي بعيدا من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها ان يعيروها
يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة حين زالت
الشمس من يومها وقيل كان مدة حملها تسعة اشهر كحمل سائر النساء وقيل كان مدة حملها ثمانية
اشهر وذلك آية اخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش
وقيل ستة اشهر وهي بنت عشر سنين وقيل بنت ثلاث عشرة وقيل ست عشرة وكانت قد
حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم
لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي بجبل صهيون وكانت مريم ويوسف
يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم احد من اهل زمانهما اشد عبادة واجتهادا منهما واول من
عرف بحمل مريم يوسف فبقي متحيرا في امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم
تغب عنه واذا اراد ان يبرئها راى الذي ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه وقع في
نفسي من امرك شيء وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرايت ان اتكلم به اشفي صدري فقالت
قل قولا جميلا قال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث
وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والم تعلم
ان الله انبت الشجرة بالقدرة من غير غيث او تقول ان الله تعالى لا يقدر على ان ينبت الشجرة
حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله
يقدر على ما يشاء فيقول له كن فيكون فقالت له مريم الم تعلم ان الله خلق آدم وامراته من غير
ذكر ولا انثى فعند ذلك زال ما في نفسه من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد

يستعاذ

وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة واحدة حين ح

لاستيلاء الضعف

لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وبما في ولادتها وحيث الله اليها ان اخرجي من ارض قومك
ففعلت قوله وما انتبذت به مكانا قصيا قوله عز وجل فاجاءها المخاض اي الجاها وجاء بها
وجع الولادة الى جذع النخلة وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها
سعف والتجأت لتشفق وتستمسك بها من شدة الطلق ووضع الولادة قالت يا ليتني مت
قبل هذا اي تمنت الموت استحياء من الناس وخوف الفضيحة وكنت نسيا منسيا اي شيئا
متروكا حقيرا لا يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت انها لم تخلق
فناداها من تحتها على ان مريم كانت على الاكمة وجبريل وراءها والاكمة تحتها وقيل ناداها من
سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه ناداها الا تحزني قد جعل ربك تحتك
سريا اي نهرا قال ابن عباس رضه ان جبريل وقيل عيسى ضرب برجله في الارض فظهرت عين ماء عذب
وجرى وقيل هناك نهرا يابسا اجرى الله فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فاورقت
واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك اي يامرك ان امرتيه ان يجري جرى وان امرتيه بالامساك امسك
وقيل معنى سريا اي عيسى وكان عظيما من الرجال رفيعا وهزي اي حركي اليك بجذع النخلة
تساقط عليك رطبا جنيا قيل الجني الذي بلغ الغاية وجاء اوان اجتنائه قال الربيع بن
خيثم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل فكلي واشربي اي يا مريم
كلي من الرطب واشربي من النهر وقري عينا اي طيبي نفسا وقيل قري عينك بولدك
يقال اقر الله عينك اي صادف ما يرضيك وقيل عينك من النظر الى غيره فاما ترين من
البشر احدا معناه فسالك عن ولدك فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا قيل
كان في بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي
وقيل ان الله تعالى امرها ان تقول هذا القوم نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام
لامرين احدهما ان يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون اقوى لحجتها في ازالة التهمة
عنها وفيه دلالة على تفويض الكلام الى الافضل اولى والثاني كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان
السكوت عن السفيه واجب فلن اكلم اليوم انسيا يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس
قوله تعالى فاتت به قومها تحمله قيل انها لما ولدت عيسى حملته في الحال الى قومها وقيل
ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من
نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه
فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي وكانوا اهل بيت صالحين قالوا يا مريم لقد جئت شيئا
فريا اي عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع يا اخت اي يا شبيهة هارون
قيل كان رجلا صالحا في بني اسرائيل شبهت به في عفتها وصلاحها وليس المراد منه الاخوة
في النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هارون م عن
المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سالوني فقالوا انكم تقرؤون يا اخت هارون وموسى
قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته عن ذلك فقال انهم
كانوا يسمون بانبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كانت مريم اخا هارون لابيها وكان من امثل

رجل من بني اسرائيل وقيل انما عنى بهارون اخو موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا
اخا تميم وقيل كان هارون فاسقا في بني اسرائيل عظيم الفسق فشبهوها به **ما كان ابوك امرأ**
سوء قال ابن عباس زانيا **وما كانت امك بغيا** يعني فمن اين لك هذا الولد
فاشارت اليه اي اشارت مريم الى عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت
اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما اشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخر بنا
ثم **قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا** قيل اراد بالمهد حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان
يعني هو قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم وقيل لما اشارت اليه ترك الرضاع
واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه **قال اني عبد الله** قال وهب اتاها زكرياء عند مناظرتها اليهود
فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما
وقيل بل يوم ولد اني عبد الله اقر على نفسه بالعبودية لله تعالى اول ما تكلم به لئلا يتخذ
الها فان قلت ان الذي اشتدت اليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن امه وان
عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبودية نفسه لله تعالى قلت كانه
جعل ازالة التهمة عن امه فلهذا اول ما تكلم باعتراف على نفسه بالعبودية وفي ذلك
تحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنى
والتكلم بازالة التهمة عن امه لا يفيد ازالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك اولى
اتاني الكتاب وجعلني نبيا قيل معناه سيجعلني نبيا ويؤتيني الكتاب وهذا اخبار
عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا
وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه اوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال
الكمل وعن الحسن انه قال الهم التوراة وهو في بطن امه **وجعلني مباركا اين ما كنت** اي
نفاعا حيث ما توجهت وقيل معلما للخير ادعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا
على من يتبعني **واوصاني بالصلاة والزكاة** اي امرني بهما وكلفني فعلهما فان قلت
كيف يؤمر بالصلاة والزكاة في حال الطفولية وقد قال عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث
الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله اوصاني بالصلاة لا يدل على انه تعالى اوصاه
بادائهما في الحال بل المراد اوصاه بادائهما في الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله
تعالى صيره حين انفصل عن امه بالغا عاقلا وهذا القول اظهر لقوله في سياق الاية **ما دمت**
حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه عليه في جميع حياته حين كان في الارض وحين
رفع الى السماء وحين ينزل الى الارض بعد رفعه **وبرا بوالدتي** اي جعلني برا بوالدتي **ولم**
يجعلني جبارا شقيا اي عصيا لربه متكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع وروي انه
قال قلبي لين وانا صغير في نفسي وقال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا هذه
الاية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب **والسلام علي يوم ولدت** اي السلامة عند الولادة
من طعن الشيطان **ويوم اموت** اي عند الموت من الشرك **ويوم ابعث حيا** اي من
اهوال القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم بعد حتى

بلغ المسوق

بلغ المرأة التي تبلغ فيها الاحتلام ذلك عيسى ابن مريم اي الذي قال إني عبد الله هو عيسى بن مريم
قول الحق اي هذا الكلام هو قول الحق اي اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني ذلك
عيسى بن مريم كلمة الحق والحق هو الله الذي فيه يمترون اي يشكون ويختلفون فقائل يقول انه ثالث
ثلاثة وقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن
اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ما كان لله أن يتخذ من ولد اي ما كان من صفته اتخاذ
الولد ولا ينبغي له ذلك سبحانه إذا قضى أمرا اي اذا اراد ان يحدث امرا فإنما يقول له
كن فيكون اي لا يتعذر عليه ايجاده على الوجه الذي اراده وإن الله ربي وربكم فاعبدوه
يعني اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعني ولان الله امرني ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه هذا
صراط مستقيم اي هذا الذي اخبرتكم به ان الله امرني به هو صراط مستقيم يؤدي الى
الجنة فاختلف الأحزاب من بينهم يعني النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في
امر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
يعني يوم القيامة أسمع بهم وأبصر اي ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع
والبصر اخبر انهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد
اي سيسمعون ما يسوءهم ويصدع قلوبهم يوم يأتوننا اي يوم القيامة لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين قيل اراد باليوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطأ بين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل
معناه لكن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين قوله تعالى وأنذرهم يوم
الحسرة يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلا احسن
العمل والمحسن هلا ازداد من الاحسان يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد
وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذي قوله الا يكون نزع اي النزع عن الشيء الكف
عنه وقال اكثر المفسرين يعني يوم الحسرة حين يذبح الموت وعن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي
مناد يا اهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت
وكلهم قد رآه ثم ينادي مناد يا اهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقول
نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي مناديا فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود
بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت ثم قرأ وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم
لا يؤمنون واشار بيده الى الدنيا زاد الترمذي فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان
احدا مات حزنا لمات اهل النار قوله كهيئة كبش أملح الأملح المختلط بالبياض والسواد .... وقوله
فيشرئبون يقال اشرأب الى الشيء اذا اطلع ينظر اليه ومد اليه نفسه نحوه قوله فيذبح بين الجنة
والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش او غيره فعلى هذا يتأول الحديث
على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يرجى له حياة ولا وجود وكذلك حال

اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال ولا انتقال وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيء بالموت حتى
يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت فيزداد اهل
اهل الجنة فرحا الى فرحهم واهل النار حزنا الى حزنهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار
احد الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة اخرجه البخاري قوله تعالى اذ
قضي الامر اي فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت وهم في غفلة
عما يراد بهم في الاخرة وهم لا يومنون اي لا يصدقون انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت
سكان الارض جميعا ويبقى الرب سبحانه وتعالى وحده فيرثهم والينا يرجعون فيجزيهم باعمالهم
قوله عز وجل واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا اي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه
صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق انبياءه ورسله
وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر يعمل بها فهو صديق ولما في رتبة الصديق من رتبة
النبي انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبي العالي في الرتبة بارسال الله اياه
واي رتبة اعلى من رتبة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده اذ قال لابيه يعني
ازر وهو يعبد الاصنام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع صوتا ولا يبصر شيئا ولا يغني
عنك اي يكفيك شيئا وصف الاصنام بثلاثة اشياء كل واحد منها قادح في الالوهية
وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له غاية الانعام وله اوصاف
الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا اياه يا ابت اني قد جاءني من العلم بالله والمعرفة
ما لم ياتك فاتبعني اي على ديني انجيك من ان تضل اهدك صراطا سويا اي مستقيما
يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك ان الشيطان
كان اي هو للرحمن عصيا اي عاصيا يا ابت اني اخاف اي اعلم وقيل هو على ظاهره الاية
لانه يجوز ان يومن فيكون من اهل الجنة او يصر على الكفر فيكون من اهل النار فحمل الخوف على
ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا
باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كل كلمة يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه
عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه اولا على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره
باتباعه في الايمان ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام
بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي بقوله ان يمسك اي يصيبك عذاب من الرحمن
اي ان اقمت على الكفر فتكون للشيطان وليا اي قرينا في النار وقيل تابعا له في النار وانما
فعل ابراهيم عليه السلام هذا مع ابيه لامور احدها لشدة تعلق قلبه بصلاح ابيه واداء
حق الابوة والرفق به وثانيها ان النبي الهادي الى الحق لابد ان يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل
منه كلامه وثالثها ان النصح لكل احد فالاب اولى قال يعني اباه مجيبا له اراغب انت

الى

عن الهتي

عن آلهتي يا إبراهيم أي تاركها أنت وتارك عبادتها لئن لم تنته أي تسكت
وترجع عن عيبك آلهتنا وشتمك إياها لأرجمنك قال ابن عباس لأضربنك وقيل لأقتلنك
بالحجارة وقيل لأشتمنك ولأبعدنك بالقول واهجرني أي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني
سالما لا يصيبك مني معرة مليا أي دهرا طويلا قال يعني إبراهيم سلام عليك أي سلمت
مني لا أصيبك بمكروه وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة
وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه سأستغفر لك ربي وذلك أنه لما
أعياه أمره ووعده أن يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له معناه
سأسأل ربي لك توبة تنال بها المغفرة إنه كان بي حفيا أي برا لطيفا والحفي الذي
يستجيب لي إذا دعوته لأنه عودني الإجابة لدعائي واعتزلكم وما تدعون من دون الله
أي أفارقكم وأفارق ما تعبدون من دون الله وذلك أنه فارقهم وهاجر من كوثى إلى
الأرض المقدسة وأدعو ربي أي أعبد ربي الذي خلقني وأنعم علي عسى ألا أكون بدعاء
ربي شقيا أي أرجو أن لا أشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام
وفيه من التواضع له مع التعريض بشقاوتهم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
أي ذهب مهاجرا وهبنا له أي بعد الهجرة إسحاق ويعقوب أي آنسنا وحشته من فراقهم
بأولاد كرام على الله وكلا جعلنا نبيا أي أنعمنا عليهما بالنبوة ووهبنا لهم من رحمتنا
أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم من المال والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا
من سعة الرزق وكثرة الأولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يعني ثناء حسنا رفيعا
في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الأديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم قوله عز
وجل واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا قرئ بكسر اللام أخلص العبادة والطاعة
لله عز وجل ولم يراء وقرئ بالفتح أي مختارا اختاره الله تعالى واستخلصه واصطفاه
وكان رسولا نبيا هذان وصفان مختلفان وكل رسول نبي ولا ينعكس وناديناه من
جانب الطور الأيمن أي من ناحية يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين ويقال إن اسمه
الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي يا موسى إني أنا الله رب العالمين
وقربناه قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب إسماعه كلامه وقيل رفعه
على الحجب حتى سمع صريف الأقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته وشرفناه بالمناجاة
وهو قوله تعالى نجيا أي مناجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا وذلك
أن موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي فأجاب الله دعوته وأرسل
إلى هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون أكبر من موسى قوله تعالى واذكر في الكتاب
إسماعيل هو إسماعيل بن إبراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم إنه كان صادق
الوعد يعني أنه قيل لم يعد شيئا إلا وفى به وقيل إنه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى
يرجع فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع إليه وقيل إنه وعد نفسه

الصبر على التبع فوفى به فوصفه الله تعلى بهذا الوصف والخلق الحسن الذي يقي سبيل الشفيع
عن الرجل بعد ميعادا الى اي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل
الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة اخرى **وكان**
رسولا اي الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسماعيل بوادي مكة حين
خلفها ابراهيم وهو جرهم بن يقطن وهو قحطان بن عامر بن شالخ وقحطان ابو قبائل اليمن
نبيئا اي مخبرا عن الله تعلى **وكان يامر اهله** اي قومه وقيل جميع امته **بالصلاة والزكاة**
قال ابن عباس يريد التي افترضها الله عليهم وهي الحنيفية التي فرضت علينا وقيل كان
يبدا باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم **وكان عند ربه مرضيا**
اي قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوءته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله
هو الفائز في كل طاعته باعلى الدرجات قوله تعلى **واذكر في الكتاب ادريس** هو جد ابي نوح
واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا واول من خط بالقلم واول
من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل
الكفار واول من نظر في علم الحساب **انه كان صديقا نبيئا** وذلك ان الله تعلى شرفه بالنبوءة
وانزل عليه ثلاثين صحيفة **ورفعناه مكانا عليا** قيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل
انه رفع الى السماء وهو اصح ويدل عليه ما روى انس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه راى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب
رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في حاجة
فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن تحملها مسيرة خمسمائة عام
في يوم واحد اللهم خفف عنها من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس
وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففت عني حر الشمس فما الذي قضيت فيه فقال ان عبدي ادريس
سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه
خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان ادريس يساله فكان مما يساله ان قال اني اخبرت انك اكرم
الملائكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي عنده ليؤخر اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال
الملك لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها وانا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطالع
الشمس ثم اتى الملك وقال اني اليك حاجة صديق لي من بني ادم تشفع بي اليك لتؤخر ملك
اجله فقال ملك الموت ليس ذلك ولكن ان احببت اعلمته اجله فيقوم لنفسه قال نعم
فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذاك قال لا اجده يموت
الا عند مطلع الشمس قال اني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فانك لا تجده الا وقد مات
فوالله ما بقي من اجل ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا قال وهب كان يرفع لادريس
كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع اهل الارض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه
ملك الموت واستاذن ربه في زيارته فاذن له فاتاه في صورة بني ادم وكان ادريس

يصوم

يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى ان ياكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال
فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استاذنت
ربي ان اصحبك فقال لي اليك حاجة فقال ما هي قال تقبض روحي فاوحى الله اليه ان اقبض
روحه فقبض روحه ورده الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك
قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمته فاكون اشد استعدادا له ثم قال له ادريس ان لي اليك
حاجة اخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء انظر اليها والى الجنة والى النار فاذن الله له
فرفعه فلما قرب من النار قال ان لي اليك حاجة قال وما تريد قال تسال مالكا يفتح ابوابها
فاردها ففعل ثم قال كما اريتني النار فارني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح
ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مكانك فتعلق بشجرة وقال
ما اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك ما لك لا تخرج قال ان الله تعالى
قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم
منها بمخرجين فلست اخرج فاوحى الله الى الملك باذني دخل وبأمري يخرج فهو حي هناك فذلك
قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السماء ام ميت فقال قوم
هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا اربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض وهما الخضر والياس
واثنان في السماء وهما عيسى وادريس قوله عز وجل اولئك الذين انعم الله عليهم
من النبيين اولئك اشارة الى المذكورين في هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة وغير ذلك
مما تقدم وصفه من ذرية ادم يعني ادريس ونوحا وممن حملنا مع نوح اي ممن حملنا
مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم
يعني اسماعيل واسحاق ويعقوب واسرائيل اي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم
موسى وهارون وزكرياء ويحيى وعيسى فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا
الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنسب ثم قال تعالى وممن هدينا واجتبينا
اي هؤلاء ممن ارشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام اذا تتلى
جمع ساجد — عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا
وحذرا والمراد من الايات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد بالايات
ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد وفيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند
سماع القرءان فصل سجدة مريم من عزائم سجود القرءان فيسن للقارئ
والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة قيل يستحب لمن يقرأ اية سجدة ان يدعو
بما يناسب تلك السجدة فان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك
قال — والخاشعين لك وان قرا سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين
لك الباكين عند تلاوة اياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين
عن امرك قوله تعالى فخلف من بعدهم اي من بعد النبيين المذكورين خلف

أي قوم سوء قيل أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقيل هم في هذه الأمة أضاعوا
الصلوة أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل أخروها عن وقتها وهو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي
العصر ولا العصر حتى يأتي غروب الشمس واتبعوا الشهوات أي آثروا شهوات أنفسهم
على الله وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وقيل هو قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم
على بعض في الأسواق والأزقة فسوف يلقون غيا قال ابن عباس الغي واد في جهنم وإن
أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزاني المصر عليه وللشارب المدمن عليه ولآكل الربا
الذي لا ينزع عنه ولأهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث
طعمه يسيل قيحا ودما وقيل واد في جهنم أبعدها قعرا وأشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم
كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتسعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا
وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية إلا من تاب وآمن وعمل
صالحا يعني إلا من تاب من التقصير في الصلاة والمعاصي وآمن أي من اليهود وعمل صالحا بطاعة الله
فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا أي لا ينقصون ثوابا ثم وصف الجنة فقال
تعالى جنات عدن أي بساتين إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فإنها لا تدوم
التي وعد الرحمن عباده بالغيب أي لم يروها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها إنه كان
وعده مأتيا أي آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيا أي يأتيه أولياؤه وأهل
طاعته لا يسمعون فيها لغوا أي باطلا وفحشا وفضولا من الكلام إلا سلاما أي بل يسمعون
فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن معنى السلامة والمعنى أن أهل الجنة
لا يسمعون فيها اللغو أما يؤثم إنما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض
وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى تعرف البكرة والعشي بل هم في نور أبدا
ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل إنهم يعرفون
وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بإرخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق
من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذي يؤتى به بالبكرة
والعشي فوصف الله الجنة بذلك تلك الجنة التي نورث من عبادنا أي نعطي وننزل
وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا من كان تقيا أي المتقين
من عباده قوله عز وجل وما نتنزل إلا بأمر ربك خ عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما
نتنزل إلا بأمر ربك الآية قال كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل
عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله قومه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فقال
أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله حتى شق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك فقال له جبريل
إني كنت إليك أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست فأنزل
الله تعالى وما نتنزل إلا بأمر ربك وأنزل والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى

وقوله تعالى

وقوله تعالى له ما بين ايدينا وما خلفنا اي له علم ما بين ايدينا وما خلفنا وقيل الحق لذلك
بقوله له ما بين ايدينا اي الامور لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين ايدينا
من الاجر والثواب والعقاب وما خلفنا اي ما مضى من الدنيا وما بين ذلك اي من هذا الوقت
الى قيام الساعة وقيل ما بين ذلك هو ما بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وقيل ما بين ايدينا
ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وما كان ربك نسيا يعني
وما نسيك ربك وما تركك رب السموات والارض وما بينهما اي من يكون كذلك
لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد ان يدبر احوالها كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله
لانه حاصل بين السماوات والارض فكان لله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته اي اصبر على
امره ونهيه هل تعلم له سميا قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا يسمى الله غيره
قوله تعالى ويقول الانسان اي جنس الانسان والمراد به الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو
ابي بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث ائذا ما مت لسوف اخرج حيا قاله استهزاء
وتكذيبا للبعث قال الله تعالى اولا يذكر الانسان يعني منكر البعث اي يتذكر ويتفكر انا
خلقناه من قبل ولم يك شيئا والمعنى اولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل
به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا
الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ثم اقسم
بنفسه فقال تعالى فوربك وفيه تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم لنحشرنهم
اي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث والشياطين وذلك انه يحشر
كل كافر مع شيطانه في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قال ابن عباس جماعات وقيل
جاثين على الركب لضيق المكان وقيل لان البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل
فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله وترى كل امة جاثية قلت وصفوا
بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المطالب والمناقلات وذلك لما فيه من القلق لما
يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على
ركبهم جثوا ثم لننزعن اي لنخرجن من كل شيعة اي من كل امة واهل دين من الكفار
ايهم اشد على الرحمن عتيا قال ابن عباس يعني جراءة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم
ورئيسهم في الشر والمعنى انه يقدم في ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو اكبر جرما واشد
كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الكفار
الاكبر فالاكبر فمن كان اشد تمردا في كفره خص بعذاب اعظم واشد لان عذاب الضال المضل
يجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة
العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا ولا يقال اولى الا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية انهم احق بدخول النار
قوله عز وجل وان منكم الا واردها اي وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر اي والله
ما منكم من احد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى
الورود هاهنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون

معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله تعالى
المتقين منها ويدل عليه ما روي ان نافع بن الازرق روى عن ابن عباس في الورود فقال ابن عباس
هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فقرا ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم انتم لها واردون ادخلها هولا ام لا ثم قال يا نافع انا وانت سنردها وانا ارجو ان الله
ان يخرجني وما ارى الله ان يخرجك منها بتكذيبك ثم فائدة دخول المومنين النار يغوله من عيب
خوفها واضروا عذاب المغبة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يحزنهم
الفزع الاكبر فان قلت كيف يندفع عن المومنين حر النار وعذابها قلت
يحتمل ان الله يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان
المومنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم عليه السلام وكما ان الملايكة الموكلين بها لا يجدون
المها فان قلت اذا لم يكن على المومنين عذاب بها فاي فايدة دخولهم النار قلت فيه وجوه
احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه والثاني ان فيه مزيد غم على اهل النار
حيث يرون المومنين يتخلصون منها وهم باقون فيها والثالث انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب
على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول
وقالوا لا يدخل النار مومن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون
لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والروية لا الدخول كما قال تعالى
ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الاية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها
روي عن ابن مسعود انه قال وان منكم الا واردها يعني يوم القيامة والكناية راجعة اليها والقول
الاول اصح وعليه اهل السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان يدل
قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي الشرك وهم المومنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من
المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم
اخرجاه في الصحيحين اراد بالقسم وان منكم الا واردها عن ام مبشر الانصارية انها سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله احد من اصحاب الشجرة
الذين بايعوا تحتها قلت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
وقال خالد بن معدان يقول اهل الجنة الم يعدنا ربنا ان نرد النار قال بلى ولكنكم مررتم بها
وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمومن جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي وقيل الحمى
وروي عن مجاهد في قوله وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر
الحمى كير من جهنم وهي حظ المومن من النار وعن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم لازما قضاه الله تعالى عليكم واوجبه ثم ننجي الذين
اتقوا اي الشرك ونذر الظالمين فيها جثيا اي جميعا وقيل جاثين على الركب فان قال
المعتزلة في الاية دليل على صحة مذهبنا في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار ووجه الدليل
ان الله بين ان الكل يردون النار ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون

اي وهو هنا ودخولها قوله تعالى كان على ربك حتما مقضيا اي كان ورود جهنم لازما

نفيه

تقيا فيبقى في النار ابدا او أجيب عنه بان المنفي هو الذي ينفي الشرك بقوله لا اله
الا الله ويشهد لصحة ذلك ان من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه منفي من الشرك ومن
صدق عليه انه منفي من الشرك صح انه منفي لان المنفي جزء من انتفى عن الشرك ومن صدق عليه
المركب صدق عليه المفرد فيثبت ان صاحب الكبيرة منفي واذا ثبت ذلك وجب ان يخرج من النار
لعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الاية التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدلائل
على فساد قولهم هذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت احاديث في اخراج
الموحدين من النار خ عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج
من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله
وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير
وفي رواية من ايمان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل
نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول
الله قال فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك
يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم
من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم الله
فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم
فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم
فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل اللهم
سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا
نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس
باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا اراد الله رحمة من اراد من
اهل النار امر الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم باثار السجود
وحرم الله على النار ان تاكل اثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب
عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد
ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو اخر اهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار
فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول
هل عسيت ان افعل ذلك بك ان تسالني غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي ما يشاء
الله من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل على الجنة راى بهجتها سكت
ما شاء الله ان يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله اليس قد
اعطيت العهود والمواثيق على ان لا تسالني غير الذي كنت سالت فيقول يا رب لا اكون
اشقى خلقك فيقول فما عسيت ان اعطيت ذلك ان لا تسال غيره فيقول لا وعزتك لا اسال
غير ذلك فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها
وراى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله ان يسكت فيقول
يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما اغدرك اليس قد

اعطيت العهود والمواثيق ان لا تسأل غير الذي اعطيت فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك
فيضحك الله سبحانه وتعالى منه ثم ياذن له في دخول الجنة ثم يقول له تمن فيتمنى حتى اذا
انقطع امنيته قال الله تعالى تمن من كذا وكذا اقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني
قال الله تعالى لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد الخدري لابي هريرة رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لك ذلك وعشرة امثاله قال ابو هريرة رضي
الله عنه لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال ابو
سعيد يقول لك ذلك وعشرة امثاله وفي رواية البخاري قال فياتيهم الله في غير الصورة التي
يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا اتانا
عرفناه فياتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه
قلت اما ما يتعلق بمعنى الحديث والكلام على الرؤية فسياتي في سورة ن والقيامة
ونتكلم هنا على شيء من غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت له شوك نخ ومعقف
معقوف هو من اجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال اوبقته الذنوب
اي اهلكته وقوله المخردل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب
الصراط حتى يقع في النار وقوله امتحشوا اي احترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلد وتبدي
العظم قوله كما تنبت الحبة من حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهي البزورات جميعها
وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء وما يلقيه على شاطيه قوله قشبني ريحها
اي اذاني والقشب اسم بكل اتن قال سمني ريحها قوله واحرقني ذكاؤها اي اشتعالها
ولهيبها قوله من زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة وعن ابن مسعود رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة
دخول الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فياتيها
فيخيل اليه انها ملاى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملاى فيقول الله له اذهب فادخل
الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها او ان لك مثل عشرة امثال الدنيا فيقول اتسخر بي
وانت الملك قال فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وكان
يقال ذلك ادنى اهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه اي اضراسه وانيابه وقيل
هي اخر الاسنان عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب
ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون
على ابواب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة
السيل الحمم الذي مثل الحمم الفحم والغثاء ما حمله السيل ودلت الاية الاولى على
ان الكفار خلود في النار ودلت الاية الثانية والاحاديث ان الله اخرج منها المتقين
وجميع الموحدين من ترك فيها الكافرين وهم المشركون قوله تعالى **واذا تتلى عليهم آياتنا**
بينات اي دلائل واضحات **قال الذين كفروا** يعني النضر بن الحارث ومن دونه من فجار قريش
للذين آمنوا يعني فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي
عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون

رؤوسهم ويلبسون الحسن ثيابهم اي الفريقين خير مقاما اي منزلا ومسكنا وهو
موضع الاقامة واحسن نديا اي مجلسا واجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم احسن اثاثا اي متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا ولباسا ورءيا اي منظرا
من الرؤية قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه
في طغيانه ويمهله في كفره حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب اي الاسر والقتل
في الدنيا واما الساعة يعني القيامة فيدخلون النار فسيعلمون عند ذلك
من هو شر مكانا اي منزلا واضعف جندا اي اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون اهم
خير وهم في النار ام المومنون وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين
خير مقاما واحسن نديا قوله عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي ايمانا
وايقانا على يقينهم والباقيات الصالحات اي الاذكار والاعمال الصالحة التي
تبقى لصاحبها خير عند ربك ثوابا وخير مردا اي عاقبة ومرجعا قوله عز وجل
افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا ق عن خباب بن الارث قال كنت
في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين فاتيته اتقاضاه وفي
رواية فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر
بمحمد فقلت لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك فقال واني لميت ثم مبعوث
قلت بلى قال دعني حتى اموت وابعث وساوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت
افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله فردا [illegible]
ثم رد الله عليهم بقوله اطلع الغيب قال ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ وقيل اعلم
علم الغيب حتى يعلم اهو في الجنة ام لا ام اتخذ عند الرحمن عهدا يعني قال لا اله
الا الله وقيل يعني عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد عليه انه يدخل الجنة كلا رد عليه
لم يفعل ذلك سنكتب ما يقول اي سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به في الاخرة
وقيل نامر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول ونمد له من العذاب مدا اي نزيده عذابا
فوق عذابه وقيل نطيل مدة عذابه ونرثه ما يقول معناه اي ما عنده من المال والولد
باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل نزيل ما عنده من مال وولد فلا يعود دار ارثه الى من
خلفه واذا سلبنا ذلك بقي فردا فذلك قوله تعالى ويأتينا يعني يوم القيامة فردا
بلا مال ولا ولد فلا ينفعه ان يتمتع في الاخرة بمال وولد قوله تعالى واتخذوا من دون الله
الهة يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام الهة يعبدونها ليكونوا لهم عزا
اي منعة يعني يكونوا شفعاء يمنعونهم من العذاب كلا اي ليس الامر كما زعموا
سيكفرون بعبادتهم يعني يجحدون الاصنام والالهة التي كانوا يعبدونها عبادة
المشركين ويتبرءون منهم ويكونون عليهم ضدا اي اعوانا عليهم يكذبونهم
ويلعنونهم وقيل اعداء لهم وكانوا اولياءهم في الدنيا قوله عز وجل الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين اي سلطناهم عليهم تؤزهم ازا اي تزعجهم ازعاجا

من الطاعات الى المعصية والمعنى تحثهم وتزعجهم على المعاصي تحريكا شديدا وفي الاية
دليل على ان الله تعالى مريد لجميع الكائنات فلا تعجل عليهم اي لا تعجل بطلب عقوبتهم انما
نعد لهم عدا يعني الليالي والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسون
بها في الدنيا الى الاجل الذي اجل لعذابهم قوله عز وجل يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا اي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجمع الله فيه من اتقى الله بطاعته الى جنته
جماعات قال ابن عباس ركبانا قال ابو هريرة على الابل وقال علي بن ابي طالب ما يحشرون
والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب وجنائبها سروجها يواقيت وان هموا
بها سارت وان هموا بها طارت ونسوق المجرمين اي الكافرين الى جهنم وردا اي مشاة
عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد
الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق
الى الماء وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة على ثلاث طرق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة
على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم
حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا قوله تقيل
معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة ثلاثة اصناف صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم قيل يا رسول
الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم
على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذي قوله تعالى
لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني لا اله الا الله وقيل لا يشفع
الشافعون الا للمومنين وقيل لا يشفع الا من شهد ان لا اله الا الله اي لا يشفع الا للمومن
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله
من العرب لقد جئتم شيئا ادا قال ابن عباس منكرا وقيل لقد قلتم قولا عظيما يكاد
السموات يتفطرن منه اي من الانفطار وهو التشقق وتنشق الارض اي تخسف
بهم وتخر الجبال هدا اي تسقط وتنطبق عليهم ان دعوا اي من اجل ان جعلوا
للرحمن ولدا فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض
وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجمادات قلت فيه وجهان
احدهما ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود
هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة الثاني ان
يكون استعظاما للكلمة وتهويلا وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لقواعده
واركانه قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا
الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا لله ولدا
ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا

اي ما يليق به اتخاذ الولد انما يجوز الولد لاغراض تصح ولا يوصف بها لان الولد
لابد ان يكون شبيها للوالد ولا شبيه له تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض
لا تصح في الله تعالى من سروره به والاستعانة وذكر الجميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله
تعالى ان كل من في السماوات والارض الا ءاتي الرحمن عبدا اي الا اتيه يوم القيامة
عبدا اي ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم
ءاتيه يوم القيامة فردا اي وحيدا ليس معه من احوال الدنيا شيء. قوله عز وجل
ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي محبة قيل يحبهم الله
ويحببهم الى عباده المؤمنين في عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا احب الله سبحانه وتعالى العبد نادى جبريل ان الله يحب
فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادي في اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا احب عبدا دعا جبريل
فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله
يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض
ابغض عبدا دعا جبريل فيقول اني ابغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل
ثم ينادي في اهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه فيبغضه اهل السماء
ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم بن حيان ما اقبل عبد بقلبه الى الله
عز وجل الا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه محبتهم ومودتهم وقال
كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله ينزلها
على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القرءان سيجعل لهم الرحمن ودا
قوله تعالى فانما يسرناه اي سهلنا القرءان بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين
يعني المؤمنين وتنذر به قوما لدا اي شدادا في الخصومة وقيل
عميا عن الحق وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل
وكم اهلكنا قبلهم من قرن ختم الله هذه السورة بموعظة بليغة لانهم لانهم
اذا علموا وايقنوا ان لابد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء
العاقبة في الاخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي اقرب ثم اكد ذلك فقال تعالى
هل تحس منهم اي هل ترى وقيل هل تجد منهم اي من القرون من احد او تسمع لهم
ركزا اي صوتا خفيفا قال الحسن بادوا وهلكوا فلم يبق منهم عين ولا اثر
والله اعلم تفسير سورة طه وهي مكية وهي مائة
واربع وقيل خمس وثلاثون ءاية والف وثلاثمائة واحدى واربعون كلمة
وخمسة الاف ومائتان واثنان واربعون حرفا عن ابن عباس رضي الله عنهما

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر
الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القرآن وخواتيم
السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة والنافلة الزا
الزايد. بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
طه قيل قسم اقسم الله بطوله وهو اسمه وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى والطاء
افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يا رجل والمراد به النبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان قيل هو بالسريانية وقيل بالنبطية فعلى هذا
يكون قد وافقت لغة العرب في هذه اللغة في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة
عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طإ الارض بقدميك يريد به في التهجد
وذلك لما انزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهد في العبادة حتى كان
يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله تعالى هذه الاية
وامره ان يخفف على نفسه فقال طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون
اجتهاده في العبادة قالوا ما انزل عليك يا محمد الا لشقايك فنزلت ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى اي لتتعنى وتتعب الا تذكرة لمن يخشى اي لكن انزلناه عظة
لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها تنزيلا ممن خلق الارض
والسموات العلى اي من الله الذي خلق الارض والسموات العلى الرفيعة التي لا يقدر على
خلقهما في عظمهما وعلوهما غير الله تعالى الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام عليه
في سورة الاعراف اي مستوي له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
يعني الهواء وما تحت الثرى يعني انه مالك لجميع ما في الاربعة اقسام والثرى
هو التراب الندي وقيل معناه ما وراء الثرى من شيء. وقال ابن عباس ان الارضين
على ظهر النون والنون على بحر وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة
خضراء اخضرت السماء منها وهي الصخرة التي ذكر الله في سورة لقمان والصخرة على قرن
ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل
الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست قوله
تعالى وان تجهر بالقول اي تعلن بالقول فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس السر
ما تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبه من بعد ولا تعلم انك ستحدث
به نفسك لانك تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت به اليوم
وما تسر به غدا وعنه ان السر ما اسر به ابن ادم في نفسه واخفى ما اخفى عليه مما هو
فاعله قبل ان يعلمه وقيل السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسره
في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس والخفى الوسوسة وقيل
السر ان تعلم ان الله يعلم اسرار عباده واخفى سره من عباده فلا يعلم احد

البقرة

سره وقيل

سره وقيل مقصود الاية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت او باطنة والتي يجب في
الطاعات ظاهرة كانت او باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي ان يحمل السر والاخفى على ما
فيه ثواب او عقاب فالسر الذي هو يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفى
هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى فاثبت الاحسن والذي فضلت اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على
معاني التقديس والتمجيد والتسبيح والتعظيم والربوبية والافعال التي هي
النهاية في الحسن قوله عز وجل وهل اتيك حديث موسى اي وقد اتاك لما تقدم
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه السلام لما ياتي به
في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال
عند الله الفوز والمقام المحمود اذ راى نارا وذلك ان موسى استاذن شعيبا في الرجوع
من مدين الى مصر ليزور والدته واخته فاذن له فخرج باهله وماله وكانت
ايام الشتاء فاخذ على الطريق مخافة ملوك الشام وامراته حامل في شهرها لا ندري
اليلا ام نهارا فسار في البرية وهو غير عارف بطرقها فالجاه المسير الى جانب
الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد
الله من كرامته واخذ امراته الطلق فاخذ زناده وجعل يقدح فلا يوري فابصر نارا
من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا اني انست
نارا اي ابصرت نارا لعلي اتيكم منها بقبس اي شعلة من نار في طرف عود او اجد
على النار هدى اي اجد عند النار من يدلني على الطريق فلما اتاها اي اتى النار
راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها اطافت بها نارا بيضاء تتقد كاضوا ما
يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة يغير ضوء النار وقيل كانت
الشجرة سمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت شجرة العناب روي ذلك عن
ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن الذي راه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ
النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا قال ابن عباس هو نور الرب تبارك
وتعالى وقيل هي النار بعينها وهي احدى حجب الله تعالى يدل عليه ما روي عن
ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه الترمذي قيل ان موسى اخذ
شيئا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا منها نات منه واذا
ناى دنت فوقف متحيرا فسمع تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة نودي
يا موسى اني انا ربك قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا
وما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ارى مكانك فاين انت فقال انا

فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى
فايقن به وقيل انه سمع بكل اجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا وقوله فاخلع
نعليك كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا في اخلع نعليك قال كانتا
من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وانما امر بخلعهما صيانة للوادي المقدس
امر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة فتناله بركتها لانها قدست
مرتين فخلعهما موسى ورمى بهما من وراء الوادي انك بالواد المقدس اي المطهر
طوى اسم الوادي الذي حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل الطوي في استدارته
وانا اخترتك اي اصطفيتك برسالتي وكلامي فاستمع لما يوحى فيه نهاية الهيبة
والجلالة كانه قال له لقد جاءك امر عظيم فتاهب له انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني ولا تعبد غيري واقم الصلاة لذكري اي لتذكرني فيها وقيل لذكري
خاصة ولا تشوبه بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترى بها
ولا تقصد بها غرضا اخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها وعن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا
ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلى قتادة اقم الصلاة لذكري وفي رواية اذا رقد
احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول اقم
الصلاة لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال اكثر المفسرين معناه
اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك على عادة
العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء يقول كتمت سرك في نفسي اي اخفيته
غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف
لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى
في اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء اجله
واشتغل بالمعاصي الى ان يقرب ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب
المعاصي بتعريفه وقت الموت واذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف
والوجل فيترك المعاصي او يتوب منها في كل وقت خوف معاجلة الاجل وقوله
لتجزى كل نفس بما تسعى اي تعمل من خير وشر فلا يصدنك عنها من لا يومن
بها اي فلا يصدنك عن الايمان بالساعة والتصديق بها من لا يومن بها واتبع هواه
اي مراده وخالف امر الله فتردى اي فتهلك قوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى
سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصى حتى اذا قلبها حية علم
انها معجزة عظيمة قال هي عصاي قيل كان لها شعبتان وفي اسفلها سنان ولها
محجن واسمها نبعة اتوكؤا عليها اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا اعييت وعند

واسمها

الوثبة

الوثبة واهش بها على غنمي اي اخبط بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فتأكله
الغنم ولي فيها مآرب اخرى اي حاجات ومنافع اخرى واراد بالمآرب ما
يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل فيها الزاد ويشد بها الحبل ويستقي الماء
من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروي عن
ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان
يضرب بها الارض فيخرج له ما ياكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب
الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصنت غصن تلك الشجرة واورقت واثمرت
واذا اراد الاستقاء من البئر ادلاها فاستطالت على طول البئر وصارت شعبتاها
كالدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالشمع اي واذا ظهر له عدو كانت
تحارب وتناضل عنه قال الله تعالى القها يا موسى اي انبذها واطرحها قال وهب ظن
موسى انه يقول ارفضها فالقاها اي طرحها على وجه الارض ثم حانت منه نظرة فاذا
هي حية صفراء من اعظم ما يكون من الحيات تسعى اي تمشي بسرعة على بطنها وقال
في موضع اخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر
ثعبان وهو اكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير
والذكر والانثى والجان عبارة عن ابتداء حالها وانها كانت حية على قدر العصا
ثم كانت تتورم وتنتفخ وهو عبارة عن انتهاء حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان
وسرعة الجان قال محمد بن اسحاق نظر موسى فاذا العصا حية من اعظم ما يكون من الحيات
وصارت شعبتاها شدقيها والمحجن عنقا وعرفا تهتز وعيناها تتقدان
كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة
بانيابها ويسمع لانيابها صريف عظيم فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم
ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى اقبل اي ارجع حيث كنت فرجع وهو
شديد الخوف قال خذها اي بيمينك ولا تخف قيل كان خوفه لما عرف ما لقي ادم
من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمانينته نفسه وذهاب الخوف ان
ادخل يده في فمها واخذ بلحيتها سنعيدها سيرتها الاولى اي الى هيئتها فنردها
عصى كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة من صوف قد خللها بخلال فلما قال الله
تعالى له خذها لف كم المدرعة على يده فامره ان يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم
انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك ارايت لو اذن الله بما تحاذره اكانت
المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت فكشفها عن يده
ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي
كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون اراد الله ان يري موسى ما اعطاه من الاية
التي لا يقدر عليها المخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون قوله تعالى واضمم
يدك الى جناحك اي الى بطنك وقيل تحت عضدك تخرج بيضاء اي نيرة مشرقة من غير سوء

أي من غير عيب والسوء ههنا يعني البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء
بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر آية أخرى دلالة أخرى على صدقك سوى العصا
لنريك من آياتنا الكبرى قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آية قوله عز وجل اذهب
إلى فرعون إنه طغى أي جاوز الحد في العصيان والتمرد وإنما خص فرعون بالذكر مع أن
موسى كان مبعوثا إلى الكل لأنه ادعى الألوهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره أولى وقال
وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالاتي فإنك بعيني
وسمعي وإن معك يدي وبصري وإني ألبستك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة
في أمري بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي
وأقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن
هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا
لينا لا يغتر بلباس الدنيا فإن ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمي قال فسكت
موسى فجاءه ملك فقال أجب ربك قال يعني موسى رب اشرح لي صدري أي وسعه للحق
قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا
لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق صدره لما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل
الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدا لا يقدر على مضرته إلا بإذن الله تعالى وإذا
علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ويسر لي أمري أي سهل علي
ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون واحلل عقدة من لساني وذلك أن موسى
عليه السلام كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال
فرعون لامرأته آسية إن هذا عدوي وأراد أن يقتله فقالت إنه صبي صغير لا
عقل له وقيل إن موسى لما فطمته ردته إلى فرعون فنشأ في حجره وحجر امرأته يربيانه
واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب إذ رفعه فضرب به
رأس فرعون فغضب فرعون فتطير به حتى هم بقتله فقالت آسية أيها الملك إنه
صغير لا يعقل جربه إن شئت فجاءت بطستين في أحدهما جمر وفي الآخر جوهر
فوضعتهما بين يدي موسى فأراد موسى أن يضع يده على الذهب فنزل الملك فأخذ
يده فوضعها على الجمرة فأخذ جمرة فوضعها في فيه فأحرقت لسانه وصار به عقدة
يفقهوا قولي أي احلل العقدة كي يفقهوا كلامي واجعل لي وزيرا من أهلي أي معينا
وظهيرا والوزير من يوازرك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال
هارون أخي اشدد به أزري أي أقوى به ظهري وأشركه في أمري أي في أمر النبوة
وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا أي نحمدك ونثني عليك بما
أوليتنا من جميل نعمك إنك كنت بنا بصيرا خبيرا عليما قال الله تعالى قد أوتيت
سؤلك يا موسى أي أعطيت جميع ما سألته ولقد مننا عليك مرة أخرى أي قبل هذه
المرة ثم بين تلك المنة بقوله إذ أوحينا إلى أمك وحي إلهام ما يوحى أي ما يلهم ثم

بسرح لا

فسن ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال ان اقذفيه في التابوت اي الهمناها ان
اجعليه في التابوت فاقذفيه في اليم يعني نهر النيل فليلقه اليم بالساحل يعني
ساحل البحر ياخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه
قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وشقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه
نهر كبير في دار فرعون فبينما هو فرعون جالس على البركة مع امراته اسية اذا تابوت
يجيء به الماء فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبي من
احسن الناس وجها فلما راه فرعون احبه محبة لم يتمالك عقله فذلك قوله تعالى
والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه قيل ما راه احد الا احبه
لملاحة كانت في عيني موسى ولتصنع على عيني لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك
ومراقبك كما يرعى الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه اذ تمشي
اختك واسمها مريم متعرفة خبره فتقول هل ادلكم على من يكفله اي على امراة
ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة فلما قالت لهم اخته
ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى فرجعناك الى امك كي تقر
عينها اي بلقائك ورؤيتك ولا تحزن اي وليذهب عنها الحزن وقتلت نفسا قال
ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنى عشر سنة فنجيناك
من الغم اي من القتل وكربه وفتناك فتونا قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل
ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة وخلصه الله منها اولها ان
امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت
ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله
الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خائفا فلبثت اي فمكثت
سنين في اهل مدين يعني بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى
قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمان وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى الغنم
مهر زوجته صفورا ابنت شعيب وثمان عشرة سنة اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له
ثم جئت على قدر يا موسى اي جئت على القدر الذي قدرت ان تجيء فيه قيل على راس
اربعين سنة وهو القدر الذي يوحى الى الانبياء فيه واصطنعتك لنفسي
اي اخترتك واصطفيتك بوحيي ورسالتي لتتصرف على ارادتي ومحبتي وذلك
ان قيامه باداء الرسالة تصرف على ارادة الله تعالى ومحبته وقيل اخترتك لامري
وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني الذي اقمت عليهم الحجة
وخاطبتهم اذهب انت واخوك باياتي اي بدلائلي وقال ابن عباس الايات
التسع التي بعث بها موسى ولا تنيا اي لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا في ذكري
اي لا تقصرا في ذكري بالاحسان اليكما والامتنان والانعام عليكما من ذكر النعمة شكرها

اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا اي دارياه وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفاه
في قولكما وقيل كنياه وقولا يا ابا العباس وقيل ابا الوليد وقيل اراد بالقول اللين هل لك
ان تزكى الاية وقيل امرهما باللطافة لماله من حق تربية موسى وقيل عده على قبول الايمان
بشباب لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى
حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه وكان لا يقطع امرا
دون هامان وكان غائبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى قال اردت ان اقبل منه فقال
له هامان كنت ارى ان لك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تكون
تعبد فغلبه على رايه وكان هارون بمصر فامر الله موسى ان ياتي هارون واوحى
الله الى هارون وهو بمصر ان يتلقى موسى فتلقاه من مرحلة واخبره بالوحي اليه
وقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى اي يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قوله لعله
يتذكر او يخشى وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذهبا على
رجاء منكما وطمعا وقضاء الله وراء امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة
كقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
ءاياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون هل له يتذكر متذكر او يخشى خاش اذا راى
بري ولطفي بمن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد
تذكر فرعون وخشي حين لا ينفعه الخشية والتذكرة وذلك حين الجمه الغرق
وقرا رجل عند يحيى بن معاذ الرازي فقولا له قولا لينا الاية فبكى وقال الاهي هذا
رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله قالا يعني موسى وهارون
ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة او ان
يطغى اي يجاوز الحد في الاساءة قال لا تخافا انني معكما اسمع قال ابن عباس اسمع
دعاءكما فاجيبه وارى اي ما يراد بكما فامنع فلست اغفل عنكما فلا تهتما فاتياه
فقولا انا رسولا ربك اي ارسلنا اليك ربك فارسل معنا بني اسراءيل اي خل
عنهم واطلقهم عن اعمالك ولا تعذبهم اي لا تتعبهم في العمل وكان فرعون يتعبهم
في الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغيره لك قد جئناك
بآية من ربك قال فرعون وما هي فاخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس
وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان من ربك على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة والسلام
على من اتبع الهدى ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه يسلم من العذاب من اسلم
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اي انما يعذب الله من كذب بما جئنا به
واعرض عنه قال يعني فرعون فمن ربكما يا موسى اي من الهكما الذي ارسلكما قال
ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون
به وقيل اعطى كل شيء خلقه وهداه وقيل اعطى كل شيء صورته لخلق اليد

للبطش

للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى
منافعه من المطعم والمشرب والنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المراة والبعير الناقة
والفرس الرمكة وهي الحجرة والحمار الاتان ثم هدى اي الهمه كيفية اتيان الذكر الانثى **فما بال**
القرون الاولى اي فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها
كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفه مصارع الامم
الخالية فتحير فقال فرعون ما بال القرون الاولى **قال** يعني موسى **علمها عند ربي**
اي اعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه
لا يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه **في كتاب** يعني في اللوح
المحفوظ **لا يضل ربي** اي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء **ولا ينسى** اي فيتذكر وقيل
لا ينسى ما كان من امرهم حتى يجازيهم باعمالهم **الذي جعل لكم الارض مهادا** اي فراشا
وقيل مهدها لكم **وسلك لكم فيها سبلا** اي ادخل في الارض طرقا وسهلها لكم
لتسلكوها **وانزل من السماء ماء** يعني المطر تم الاخبار عن موسى فقال تعالى **فاخرجنا**
به ازواجا اي اصنافا **من نبات شتى** اي مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها
ما للناس ومنها ما للدواب **كلوا وارعوا انعامكم** اي اخرجنا اصناف النبات للانتفاع
بالاكل والرعي **ان في ذلك** الذي ذكرت **لآيات لاولي النهى** اي لذوي العقول قيل هم
الذين ينتهون عما حرم الله عليهم **منها خلقناكم** اي من الارض خلقنا اباكم آدم وقيل
ان الملك ينطلق فياخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلقان من
التراب ومن النطفة **وفيها نعيدكم** اي عند الموت **ومنها نخرجكم تارة اخرى**
اي يوم القيامة للبعث والحساب قوله تعالى **ولقد اريناه** يعني فرعون **آياتنا كلها**
يعني الآيات التسع التي اعطيناها موسى **فكذب وابى** يعني فرعون وزعم انه سحر
وابى ان يسلم **قال** يعني فرعون **اجئتنا لتخرجنا من ارضنا** يعني مصر **بسحرك يا موسى**
اي تريد ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها **فلناتينك بسحر**
مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا اي اضرب اجلا وميقاتا **لا نخلفه** اي لا نجاوزه
نحن ولا انت مكانا سوى اي مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا يستوي
مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان **قال** يعني موسى **موعدكم**
يوم الزينة قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل هو
يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء **وان يحشر الناس ضحى** اي وقت
الضحوة نهارا جهارا ليكون ابلغ من الزينة **فتولى فرعون فجمع** يعني فرعون
كيده اي مكره وحيله وسحره **ثم اتى** الى الميعاد **قال لهم موسى** يعني للسحرة الذين
جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا

اربعمائة وقيل كانوا اثنا عشر الفا ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم اي فيهلككم
ويستاصلكم بعذاب وقد خاب من افترى اي خسر من ادعى مع الله آخر وقيل معناه خسر
من كذب على الله قوله عز وجل فتنازعوا امرهم بينهم اي تناظروا وتشاوروا يعني
السحرة في امر موسى سرا من فرعون فقالوا ان غلبنا موسى تبعناه وقيل لما قال لهم
لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر واسروا النجوى اي المناجاة
قالوا اي قال بعضهم لبعض سرا ان هذان يعني موسى وهارون لساحران يريدان ان يخرجاكم
من ارضكم يعني مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قال ابن عباس يعني بسراة قومكم
واشرافكم وقيل معناه بصرف وجوه الناس عنكم وقيل اراد بطريقتكم المثلى وهي بنو
اسرائيل يعني يريد ان يذهبا بهم لانفسهم وقيل معناه يذهبا بسنتكم ودينكم الذي انتم
عليه فاجمعوا كيدكم اي لا تدعوا شيئا من كيدكم الا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم
على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختلف امركم ثم ايتوا صفا اي جميعا مصطفين ليكون اشد
لهيبتكم وقيل معناه ثم ايتوا المكان الموعود وقد افلح اليوم من استعلى اي فاز من غلب
قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي اي عصاك واما ان نكون اول من القى اي عصاه
قال يعني موسى بل القوا انتم اولا فاذا حبالهم فيه اضمار اي فالقوا فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قيل انهم لما القوا الحبال والعصي اخذوا
اعين الناس فرأى موسى كان الارض امتلات حيات وكانت قد اخذت ميلا في ميل من
كل جانب ورأوا انها تسعى فاوجس اي اضمر وقيل وجد في نفسه خيفة موسى
قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس
عليهم الامر فيشكوا في امره فلا يتبعوه قلنا لا تخف اي قال الله تعالى لموسى لا تخف
انك انت الاعلى اي الغالب عليهم ولك الغلبة والظفر والق ما في يمينك اي عصاك
والمعنى لا تخف بكثرة حبالهم وعصيهم فان في يدك شيئا اعظم منها تلقف اي تلتقم
وتبتلع ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر اي حيلة ساحر ولا يفلح الساحر حيث
اتى اي من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا
برب هارون وموسى قال صاحب الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا
حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رءوسهم للشكر والسجود فما اعظم الفرق
بين الالقاءين وقيل انهم لم يرفعوا رءوسهم حتى راوا الجنة والنار وقيل لما سجدوا
اراهم الله تعالى منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال يعني فرعون آمنتم له قبل
ان آذن لكم انه لكبيركم اي لرئيسكم وعظيمكم يعني اسحركم واعلاكم في صناعة
السحر ومعلمكم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اقطع
اليد اليمنى والرجل اليسرى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل

ولتعلمن

ولتعلمن أينا أشد عذابا أي على إيمانكم به أنا أو رب موسى على ترك الإيمان به وأبقى
أي أدوم قالوا يعني السحرة لن نؤثرك أي لن نختارك على ما جاءنا من البينات
يعني الدلالات الواضحات قيل تعني اليد والعصا وقيل كان استدلالهم أنهم قالوا
لو كان هذا سحرا فأين حبالنا وعصينا وقيل إنهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار ورأوا
منازلهم فيها فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما
أنت قاض أي فاصنع ما أنت صانع إنما تقضي هذه الحياة الدنيا أي أمرك
وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
وما أكرهتنا عليه من السحر فإن قلت كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين غير
مكرهين قلت كان فرعون أكرههم في حال صغرهم على تعلم السحر وقيل كان السحرة
لفرعون اثنين وسبعين اثنين من القبط وسبعين من بني إسرائيل وكان فرعون أكره الذين
من بني إسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم
موسى نائما وعصاه تحرسه فقال لفرعون هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل
سحره فأبى عليهم وأكرههم على أن يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر
والله خير وأبقى أي خير منك ثوابا وأبقى عقابا وقيل هو خير منكم ثوابا إن أطيع وأبقى
عذابا منكم إن عصي وهذا جواب لقوله تعالى ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى
إنه من يأت ربه مجرما قيل هذا ابتداء كلام من الله وقيل هو من تمام قول السحرة معناه
من يأت مات على الشرك فإن له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة ينتفع
بها ومن يأته مؤمنا أي مات على الإيمان قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات
العلى أي الرفيعة العالية ثم فسر الدرجات فقال تعالى جنات عدن تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى أي تطهر من الذنوب وقيل أعطى زكاة
نفسه وقال لا إله إلا الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الدرجات العلى يراهم من تحتهم كما ترون النجم
الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم أخرجه الترمذي قوله وأنعما يقال
أحسن وأنعما أي أفضل وزاد في الإحسان وانتهى النعمة منهم وزاد وتناهيا إلى
غايته قوله تعالى ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي أي سر بهم ليلا من أرض مصر
فاضرب لهم طريقا أي اجعل لهم طريقا في البحر أي بالضرب بالعصا يبسا أي يابسا
ليس فيه ماء ولا طين وذلك أن الله تعالى أيبس لهم الطريق في البحر لا تخاف دركا
ولا تخشى قيل معناه لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك في البحر
أمامك فأتبعهم فرعون أي فلحقهم بجنوده فغشيهم من اليم أي أصابهم

لكيلا يذهب اهله

كانت

والنعم

ما غشيهم وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لا يعلم كنهه الا الله تعالى بغرق
فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه واضل فرعون قومه وما هدى اي وما ارشدهم
وهو تكذيب لفرعون في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد قوله عز وجل يابني اسرائيل
قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى لما
ذكرهم الله النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى من المناجاة بجانب الطور
وكتب التوراة في الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم
ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه
وارزاقه كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه قال ابن عباس لا تظلموا وقيل
لا تكفروا النعمة وتكونوا طاغين وقيل لا تنفقوا ولا تتقووا بنعمتي على معاصي
وقيل لا تدخروا فيحل عليكم اي يجب غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي
هلك وسقط في النار واني لغفار لمن تاب قال ابن عباس تاب من الشرك وآمن
اي وحد الله وصدقه وعمل صالحا اي ادى الفرائض ثم اهتدى قال ابن عباس علم
ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا
وقيل اقام على السنة قوله تعالى وما اعجلك اي وما حملك على العجلة عن قومك
يا موسى وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه الى الطور
لياخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين
وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه
قال هم اولاء على اثري اي هم بالقرب مني يأتون على اثري من بعدي فان قلت
لم يطابق الجواب السؤال فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب وقال هم
اولاء على اثري قلت كان لموسى يحتاج الى العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر
عليه فاعتذر بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم عقبه بجواب السؤال فقال وعجلت
اليك رب لترضى اي لتزداد رضى قال فانا قد فتنا قومك اي ابتلينا الذين
خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا غير اثني عشر الفا من بعدك اي
من بعد انطلاقك الى الجبل واضلهم السامري اي دعاهم وصرفهم الى الضلالة وهو عبادة
العجل اضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المحدثات تضاف الى
متسببها في الكلام وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فيجمع لك قوله هنا قيل كان
السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان
جار الموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان وقع الى مصر وكان من قوم يعبدون
البقر فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا اي حزينا جزعا قال ياقوم الم يعدكم ربكم وعدا

حسنا

حسنا أي صدقا أنه يعطيكم التوراة أفطال عليكم العهد أي مدة مفارقتي إياكم
أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي يعني ما وعدتموه من الإقامة على دينه
إلى أن يرجع قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا أي ونحن نملك أمرنا وقيل ما خفنا رشدنا وذلك
أن المرء إذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم أي حملنا
مع أنفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والأوزار الأثقال سميت أوزارا لكثرتها
وثقلها وقيل الأوزار الآثام أي حملنا آثاما وذلك أن بني إسرائيل استعاروا حليا من القبط
ولم يردوها وبقيت معهم إلى حين خروجهم من مصر وقيل إن الله تعالى لما أغرق فرعون
نبذ البحر حليهم فأخذها بنو إسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم
فقذفناها أي ألقيناها قيل إن السامري قال لهم احفروا حفيرة وألقوها فيها حتى
يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل إن هارون أمرهم بذلك ففعلوه فكذلك ألقى السامري
أي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس أوقد هارون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل
وقيل إن هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال أصنع ما ينفع ولا يضر
فادع لي فقال هارون اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه فألقى السامري ما كان معه
من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا فكان كذلك بدعوة هارون فذلك قوله
تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار اختلفوا هل كان الجسد حيا أم لا على قولين
أحدهما لا لأنه لا يجوز إظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صور صورة العجل
وجعل فيها منافذ ومخارق بحيث إذا دخل فيها الريح صوتت كصوت العجل
الثاني أنه صار حيا وخار كما يخور العجل فقالوا هذا إلهكم وإله موسى يعني قال ذلك
السامري ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه وأحبوه حبا شديدا لم يحبوا
شيئا قط مثله فنسي قيل هو إخبار عن قول السامري أي أن موسى نسي إلهه وتركه
هاهنا وذهب يطلبه وقيل إن موسى إنما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فأخطأ
الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى كأنه أخبر عن السامري أنه نسي الاستدلال على
حدوث الأجسام وأنه الإله لا يحل في شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال
به فقال أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا أي أن العجل لا يرد لهم جوابا إذا دعوه ولا يكلمهم
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فهذا توبيخ لمن عبده وأن من لا يملك ضرا من ترك عبادته ولا
ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بني إسرائيل قوله عز وجل
ولقد قال لهم هارون من قبل أي من قبل رجوع موسى يا قوم إنما فتنتم به أي ابتليتم
بالعجل وإن ربكم الرحمن فاتبعوني أي على ديني في عبادة الله وأطيعوا أمري أي في
ترك عبادة العجل اعلم أن هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن
الوجوه لأنه زجرهم أولا عن الباطل بقوله إنما فتنتم به أي ابتليتم بالعجل ثم دعاهم إلى

معي فقد الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوءة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرايع
بقوله واطيعوا امري فقدم هو الترتيب الجيد لانه لابد من ازالة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات
ثم معرفة الله تعالى فانها هي الاصل ثم النبوءة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمان فخص هذا الموضع
بهذا الاسم لانه ينبههم على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لان الله هو الرحمن الرحيم فقابلوا
هذا القول بالاصرار والجحود قالوا لن نبرح اي لن نزال عليه اي على عبادة العجل عاكفين
اي مقيمين حتى يرجع الينا موسى لانهم قالوا لن تقبل حجتك ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم
هارون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا
يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هارون اخذ
شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله وقال له يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا اي
اشركوا الا تتبعني اي تتبع امري ووصيتي وهلا قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم اشركوا
وقيل معناه ما منعك من اللحوق بي واخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما اتوه
افعصيت امري اي خالفت امري قال يبنؤم لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي
وكان قد اخذ ذؤابتيه اني خشيت اي لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا
ان تقول اي فتقول فرقت بين بني اسرايل او خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا
يتقاتلون فتقول فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب قولي اي لم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني
في قومي واصلح وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامري ثم قال فما خطبك اي ما امرك وما
شانك وما الذي حملك على ما صنعت يا سامري قال يعني السامري بصرت بما لم يبصروا
به فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من تراب اثر حافر فرس جبريل فنبذتها اي
فقذفتها في العجل فخار فان قلت كيف عرف السامري جبريل وراه من بين سائر
الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدته في السنة التي كانت
يقتل فيها البنون فوضعته في كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله جبريل اليه يربيه لما
قضى الله على يديه من الفتنة والوجه الثاني انه لما اتى جبريل الى موسى ليذهب
به الى الطور رءاه السامري من بين سائر الناس فلما رءاه قال ان لهذا شانا فقبض
القبضة من اثر تربة موكبه فلما ساله موسى قال قبضت من اثر الرسول اليك يوم
جاء للميعاد وقيل رءاه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد
الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله وكذلك سولت لي نفسي اي زينت لي
نفسي وقيل هو من السؤال والمعنى انه لم يدعني الى ما فعلت غيري واتبعت فيه هواي
قال فاذهب يعني قال موسى للسامري اذهب فان لك في الحياة اي ما دمت حيا ان تقول لا مساس
اي لا تخالط احدا ولا يخالطك احد فعوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اوحش منها ولا اعظم
وذلك ان موسى امر بني اسرايل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته

وقيل بعثه

وسابغته ومواجهته وقال ابن عباس لا مساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية
مع الوحش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد وقيل كان اذا مس احدا او مسه احد
حُمّا جميعا فتحاماه الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك
وان لك اي يا سامري موعدا اي لعذابك في الآخرة لن تخلفه قرئ بكسر اللام ومعناه لن
تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه وقرئ بالفتح اي لن تخلف به ولن يخلفك الله بل
يكافيك على فعلك وانظر الى الهك اي الذي تزعم انه الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي
دمت عليه مقيما تعبده لنحرقنه اي بالنار ثم لننسفنه اي لنذرينه في اليم اي في البحر
نسفا روي ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه بالنار ثم ذراه في البحر
وقيل معناه لنحرقنه اي لنبردنه فعلى هذا التاويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن
اي يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت
بحيث يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطل ما ذهب اليه السامري رجع
الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل انما الهكم الله اي المستحق للعبادة
والتعظيم الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اي وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من يعبده
ومن لا يعبده قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء اي من اخبار ما قد سبق يعني
الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور وقد آتيناك من لدنا ذكرا وهو القرآن من
اعرض عنه اي عن القرآن ولم يومن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيامة وزرا اي
حملا ثقيلا من الاثم خالدين فيه اي مقيمين في عذاب الوزر وساء لهم يوم القيامة مقيمين
حملا اي بيس ما حملوا على انفسهم من الاثم يوم ينفخ في الصور قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى
به الناس للحشر والمراد بقوله النفخة النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا اي نحشر المشركين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا
وقيل عطاشا يتخافتون بينهم اي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية ان لبثتم
اي مكثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار
اربعين سنة وذلك ان العذاب يرفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم
لهول ما عاينوا وقال الله تعالى نحن اعلم بما يقولون اي يتشاورون بينهم اذ يقول
امثلهم طريقة اي اوفاهم عقلا واعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما قصر ذلك في
اعينهم في جنب ما استقبلهم من اهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما
دهمهم قوله عز وجل ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال
ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال
يوم القيامة فانزل الله عز وجل هذه الآية والنسف هو القلع اي يقلعها من اصولها
ويجعلها هباء منثورا فيذرها قاعا صفصفا اي ارضا ملساء لا نبات فيها لا ترى

فيها عوجا ولا امتا يعني لا انخفاضا ولا ارتفاعا اي لا ترى واديه ولا رابيه يومئذ
يتبعون الداعي اي صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف القيامة وهو اسرافيل
وذلك انه يضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام
البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمان لا عوج
له اي لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا
وخشعت الاصوات للرحمان اي سكنت وذلت وخضعت والمراد بها اصحاب
الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا وهو الصوت
الخفي قال ابن عباس وهو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل المراد بالهمس صوت
وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل يومئذ لا تنفع الشفاعة اي لاحد
من الناس الا من اذن له الرحمان اي الا من اذن له ان يشفع ورضي له قولا قال ابن
عباس يعني قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المومن وقيل ان درجة
الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن اذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي اي
يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له
له الرحمان وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ان يشفع ثم قال يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل الكناية ترجع الى ما اي هو يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين ايديهم وما خلفهم
علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اي ولا يحيطون بالله علما وعنت الوجوه
اي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله دون غيره وذكر الوجوه
واراد بها المكلفين لان عنت من صفات الادميين وصفات الوجوه وانما خص الوجوه
بالذكر لان الخضوع لها يتبين وفيها يظهر للحي القيوم تقدم تفسيره وقد خاب من حمل
ظلما قال ابن عباس خسر من اشرك بالله ومن يعمل من الصالحات وهو مومن
فلا يخاف ظلما ولا هضما قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سيئاته ولا ينقص
من حسناته وقيل لا يوخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها قوله تعالى وكذلك
انزلناه اي كما بيناه في هذه السورة او هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلنا
القران كله كذلك قوله قرانا عربيا اي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه
وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا وفصلنا
القول فيه بذكر الوعيد وفي خلال الوعيد ببيان الفرايض والمحارم لان الوعيد بهما
يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضي بيان الاحكام فلذلك قوله تعالى لعلهم يتقون اي
يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات او يحدث لهم ذكرا اي انزلنا القران

لاجل ان

لاجل ان يصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي ويحدث لهم الذكر اي لعلهم في فعل
الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يحدث لهم الذكر اي عبرة وعظة فيعتبروا
ويتعظوا بذكر عقاب الله للامم السالفة قوله عز وجل فتعالى الله الملك الحق
اي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقول المشركون والجاحدون وقيل فيه
تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك
الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به
منه ولا تعجل بالقرآن اي اراد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انزل عليه جبريل
بالقرآن يبادره فيقرا معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات
والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال ولا تعجل بالقرآن اي لا تعجل بقراءته من
قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقرا
اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه وقل رب زدني علما فيه التواضع لله
والشكر معه والمعنى زدني علما الى ما علمت فان لك في كل شيء علما وحكمة
قيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وقيل كان
ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال اللهم زدني ايمانا ويقينا قوله تعالى ولقد عهدنا
الى آدم اي امرناه واوصينا اليه ان لا ياكل من الشجرة من قبل اي من قبل هؤلاء الذين
نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم في قوله لعلهم يتقون فنسي اي
فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز من اكل الشجرة واكل منها وقيل اراد النسيان
الذي هو ضد التذكر ولم نجد له عزما اي صبرا عما نهي عنه وحفظا لما امر به وقيل
معناه لم نجد له رايا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد
له وقيل معناه لم نجد له عزما على القيام على المعصية فيكون الى المدح اقرب قوله
عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى ان يسجد فقلنا
يا آدم ان هذا اي ابليس عدو لك ولزوجك حواء وسبب العداوة ما راى من
آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
اسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لما كان بوسوسته وفعله ما يترتب
عليه الخروج من ذلك ومعنى تشقى اي تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك
بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط الى آدم
ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاؤه فان قلت
لم اسند الى آدم الشقاء دون حواء قلت فيه وجهان احدهما ان في ضمن
شقاء الرجل شقاء اهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني اريد
بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة لان الرجل هو الساعي على زوجته

ان لك الا تجوع فيها اي الجنة ولا تعرى وانك لا تظمأ اي تعطش فيها ولا تضحى اي
لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس في الجنة شمس واهلها في ظل ممدود والمعنى ان
الشبع والري والكسوة والكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله حصول
هذه الاشياء في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما
يحتاج اليه اهل الدنيا فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة واسر
اليه ثم بين اليه تلك الوسوسة ما هي فقال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي على
الشجرة التي ان اكلت منها بقيت مخلدا وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى رغبة في
دوام الراحة وكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبه ابليس فيه الا ان الله
نهاه وفيه تنبيه له على الاحتراس عن تلك الشجرة وابليس وقدم على الاقدام عليها آدم
مع كمال علمه بان الله خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه اعرض عن
قول الله تعالى ومال الى المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع
منه وقوله تعالى فاكلا منها يعني اكل آدم وحواء من الشجرة فبدت لهما سوآتهما
اي عريا من النور الذي كان عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يلزقان فيستران عوراتهما بورق التين وعصى آدم
ربه اي باكل الشجرة فغوى اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل حيث
طلب الخلد باكل ما نهي عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة
الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل
المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود
ذلك مرارا ويعتاده وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا اخرجتنا من الجنة فقال له
آدم انت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده اتلومني على
امر قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين سنة فحج آدم موسى وفي رواية لمسلم قال
آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال فهل
وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على ان عملت عملا كتب
الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحج آدم موسى الكلام على معنى الحديث وشرحه قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة
والمخاصمة يقال حاججته فانا محاج اي جادلته فغلبته قال ابو سليمان الخطابي
قد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر من الله على معنى الاجبار والقهر
للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس
كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم

وصدورها عن نفس بريئة وخلق لها فيها وشهوتها والفعل اسم لما صدر مقدم راعين
بعد القادر والقصد في هذه معناه الخلو وان كان الامر كذلك فقد يقع عليهم مزورا. على الله
فيهم الفعال والكسب وفي مباشرتهم الامور وما يستتبع ابدالها عن قصد وتوجه وتقديم
ارادة واختيار وبالجملة فلما تلي منهم بعدها والالهية تلحقونه عليهما وجماع القول في هذا
انهما امران لا ينفك احدهما عن الآخر لان احدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن
رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى ان الله
تعالى قدر على آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان
يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التي خلق لها
وانما ادلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال اتلومني
على امر قدره الله علي من قبل ان يخلقني **فصل** في بيان عصمة الانبياء وما قيل
في ذلك قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء وضبط
القول فيه يرجع الى اقسام اربعة احدها ما يقع في باب الاعتقاد واعتقاد الكفر
والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت
الامة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف والا لارتفع الوثوق بالاداء. واتفقوا
على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا
قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه
لا يجوز خطؤهم فيه على سبيل العمد واجاز بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع
في افعالهم وقد اختلفت الامة فيه على خمسة اقوال احدها قول من جوز عليهم الكبائر
الثاني قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول اكثر المعتزلة
الثالث لا يجوز ان ياتوا بصغيرة ولا كبيرة بالعمد بل على جهة التاويل وهو قول
الجبائي الرابع انه لا يقع منهم الا على جهة السهو والخطأ الخامس انه لا يقع
منهم كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التاويل
وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة اقوال
احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة
الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو اكثر المعتزلة الثالث قول
من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابي الهذيل
وابي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة
ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه احدها لو صدر الذنب
عنهم لكانوا اقل درجة من آحاد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء في
غاية الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه وجب الا يكون مقبول الشهادة فكان

أفرادا من غير والامة وذلك غير جايز ايضا لان معنى النبوة والرسالة بعوان
يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وايضا بانه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث
لو صدر من النبي ذنب وجب ان نقتدي به فيه وذلك محال الرابع ثبت ببديهة
العقل انه لا شيء اقبح ممن رفع الله درجته وايتمنه على وحيه وجعله خليفته
في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا لغرضه
واجمعت الامة على ان الانبياء كانوا يامرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه
لدخلوا تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون
وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على انه يفعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي
تركه فتثبت ان الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي عنه وذلك
ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين
وقال في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذكر
عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى
الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الايات التي تدل على كونهم
موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر
فخر الدين ذلك من الوجوه دالا واما المخالف فقد تمسك بايات منها قصة ادم فنقول
والجواب عنها ان نقول ان كلامكم انما يتم لو بينتم ان ذلك كان حال
النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان ادم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء
ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله قبل توبته وشرفه
بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض واما قصة ادم وقوله وعصى ادم
ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا وقد اخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى
ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اي نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل
لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين
وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له
عزما اي قصدا للمخالفة وقيل بل اكل من الشجرة متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي
عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس وقيل انما كانت التوبة
من ترك التحفظ من المخالفة وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان
قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى ادم ربه فغوى
وما تكرر في القران والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم

فقد عصى

واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم ولمن يتوب ويستغفر من ادنى شيء. عليه فلتنبه
ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم
سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة
بما يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها واتوها على وجه التاويل او
السهو او تزيد وامور الدنيا المباحة فاخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المواخذة
بها وهم خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال
طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا ادنى افعالهم واسوا ما يجري من
احوالهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم
كالسيئات وتسمية ذلك في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى قوله عز وجل
ثم اجتباه ربه اي اختاره واصطفاه فتاب عليه اي عاد عليه بالعفو والمغفرة
وهدى اي هداه الى رشده حتى رجع الى الندم والاستغفار قال اهبطا منها جميعا
قيل الخطاب لادم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل
واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لادم وحواء لانهما اصل البشر فجعلا كانهما
البشر فخوطبا بلفظ الجمع بعضكم لبعض عدو وقيل في تقوية هذا الظاهر حقه
ان يكون ابليس والشياطين اعداء الناس ويحتمل ان يكون بعضهم لبعض عدو فاما ياتينكم
مني هدى اي كتاب ورسول فمن اتبع هداي اي الكتاب والرسول فلا يضل ولا يشقى
قال ابن عباس من قرا القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه الله سوء
الحساب وذلك بان الله تعالى يقول فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى اي في الاخرة ومن — في الدنيا
اعرض عن ذكري يعني القرآن اي فلم يؤمن به ولم يتبعه فان له معيشة ضنكا روي
عن ابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد الخدري انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد
هو يضغط في القبر حتى تختلف اضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر
حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين في
النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كلما اعطي
العبد قل ام كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما اعرضوا
عن الحق وكانوا اولي سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون
ان الله تعالى ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل
وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع ونحشره يوم القيامة اعمى قال ابن عباس اعمى البصر
وقيل اعمى عن الحجة قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا
وبصيرا بالحجة قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها اي فتركتها واعرضت عنها
وكذلك اليوم تنسى اي تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب

وكذلك نجزي من اسرف اي كما جازينا من اعرض عن القرآن كذلك نجزي من اسرف اي اشرك ولم
يومن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد اي مما نعذبهم به في الدنيا في القبر وابقى اي ادوم
قوله تعالى افلم يهد لهم اي افلم يبين القرآن لكفار مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا والخطاب لقريش كانوا يسافرون
الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط ان في ذلك لآيات
لاولي النهى اي لذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك اي ولولا حكم سبق بتاخير العذاب
عنهم لكان لزاما واجل مسمى تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى وهو يوم القيامة
لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون نسختها
آية السيف وسبح بحمد ربك اي فصل بامر ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر
وقبل غروبها اي صلاة العصر ومن آناء الليل اي ومن ساعاته فسبح يعني فصل المغرب
والعشاء قال ابن عباس يريد اول الليل واطراف النهار يعني صلاة الظهر سمي
وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف
النصف الآخر ابتداء لعلك ترضى اي ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى
بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء اي تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك وعن جرير بن
عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال
انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا
عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم الظلم
والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته ويروى بتشديد الميم من الانضمام
والمزاحمة اي لا ينضم ولا ينضم بعضكم الى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون القمر كاف
التشبيه للرؤية لا للمرئي وهو فعل الرائي ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك
كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل ولا تمدن عينيك
قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل له
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال
رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعني او اسلفني لقضيته واني
لامين في السماء امين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن
عينيك اي لا تنظر الى ما متعنا به استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له
الى ما متعنا به اي اعطينا ازواجا اي اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا اي زينتها
وبهجتها لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا
وطغيانا ورزق ربك اي في المعاد اي في الجنة خير وابقى اي ادوم قال ابي بن كعب من لم

يتعز بعزاء

بتعزيز من الله تعطف نفسه حسرات ومن يتبع بعينه ما في أيدي الناس يطل حزنه
ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه قوله
تعالى وأمر أهلك أي قومك وقيل من كان على دينك بالصلاة أي بالمحافظة عليها
واصطبر عليها أي اصبر على الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر
عليها عملا فإن الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول لا نسألك رزقا
أي لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا نحن
نرزقك أي بل نحن نرزقك ونرزق أهلك والعاقبة للتقوى أي الجميلة المحمودة
لأهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي بعض الأسانيد
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه
الآية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا يأتينا بآية من ربه أي بالآية المقترحة
فإنه قد أتاهم بآيات كثيرة أولم تأتهم ما في الصحف الأولى أي بيان ما فيها وهو بينة
القرآن لأنه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما في الصحف التوراة والإنجيل
وغيرهما من أخبار الأمم أنهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فعجلنا
لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك
وقيل بينة ما في الصحف الأولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبوته
وبعثته ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله أي من قبل إرسال الرسل وإنزال القرآن ومبعثه صح
لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا أي لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت إلينا رسولا
يدعونا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى بالعذاب والهوان والافتضاح
قل كل متربص أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث
الدهر فإذا مات تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا أي فانتظروا فستعلمون أي إذا
جاء أمر الله وقامت القيامة من أصحاب الصراط السوي أي المستقيم ومن اهتدى
أي من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وهي مكية وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمان وستون كلمة
وأربعة آلاف وثمانمائة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى اقترب للناس حسابهم أي وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يوم
القيامة نزلت في منكري البعث وإنما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين
فيكون أقرب إلى التأهب له والمراد بالناس الذين هم المكلفون دون غيرهم وقيل
هم المشركون وهذا من باب إطلاق اسم الجنس على بعضه وهم في غفلة معرضون أي عن
التأهب له وقيل معناه أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع
اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسنين والمسيئين ثم إذا تنبهوا من سنة الغفلة

بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا عنه ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث يعني ما
يحدث الله من تنزيل شيء من القران ان يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر
بعد الامر فينزل الاية بعد الاية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام
وغيرها من الامور والوقايع وقيل ان الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من
السنن والمواعظ سوى ما في القران واضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى الا استمعوه وهم يلعبون اي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون لاهية
قلوبهم اي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله واسروا النجوى الذين ظلموا اي بالغوا في
اخفاء التناجي وهم الذين اشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم
هل هذا الا بشر مثلكم يعني انهم انكروا ارسال البشر الى البشر لان الانسان ابى القبول
من اشكاله افتاتون السحر اي تحضرون السحر وتقبلونه وانتم تبصرون اي
تعلمون انه سحر قل لهم يا محمد ربي يعلم القول في السماء والارض اي لا يخفى عليه شيء وهو
السميع لاقوالهم العليم بافعالهم قوله عز وجل بل قالوا اضغاث احلام اي اباطيل
والعاب النوم بل افتراه اي اختلقه بل هو شاعر وذلك ان المشركين اقتسموا القول
في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل هو
فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر فلياتنا يعني النبي صلى الله عليه
وسلم باية انه كان صادقا كما ارسل الاولون اي من الرسل والايات قال الله تعالى
مجيبا لهم ما امنت قبلهم اي قبل مشركي مكة من قرية اي من اهل قرية اتتهم
الايات اهلكناها اي بالتكذيب افهم يؤمنون اي ان جاءتهم اية والمعنى اولئك
لم يؤمنوا بالايات لما اتتهم افيؤمن هؤلاء قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا
يوحى اليهم هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل الملائكة الى
الاولين انما ارسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك فاسئلوا اهل الذكر يعني اهل التوراة
والانجيل يريد علماء اهل الكتب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم امر المشركين بمسئلة اهل الكتاب لان المشركين اقرب الى تصديقهم
من تصديق من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد باهل الذكر اهل القران اي فاسالوا العالمين
المؤمنين من اهل القران ان كنتم لا تعلمون قوله عز وجل وما جعلناهم يعني الرسل
جسدا لا ياكلون الطعام هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام والمعنى
لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين اي في الدنيا
بل يموتون كغيرهم ثم صدقناهم الوعد اي الذي وعدناهم بالهلاك اعداءهم فانجيناهم
ومن نشاء اي المؤمنين الذين صدقوهم واهلكنا المسرفين اي المشركين لان المشرك
مسرف على نفسه قوله عز وجل لقد انزلنا اليكم اي يا معشر قريش كتابا فيه
ذكركم اي شرفكم وفخركم وهو شرف لمن امن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه

ذكركم ما تحتاجون

ذكركم ما تحتاجون اليه من امر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا وقيل فيه الذكر يعني
الوعد والوعيد افلا تعقلون فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقل قوله تعالى وكم قصمنا
اي اهلكنا من قرية كانت ظالمة اي كافرة والمراد اهل القرية وانشانا بعدها اي احدثنا
بعد هلاك اهلها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اي عاينوا بحاسة البصر اذا هم منها
يركضون اي يسرعون هاربين من قريتهم لما راوا مقدمة العذاب لا تركضوا اي قيل لهم
لا تهربوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اي نعمتم فيه من العيش ومساكنكم لعلكم
تسئلون قال ابن عباس رضي الله عنهما عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الاية في اهل حضورا قرية في
اليمن وكانوا اهلها عربا فبعث الله نبيا اليهم يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله
عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استحر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة
لهم استهزاء لا تركضوا اي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسالون
شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم اهل ثروة ونعمة فاتبعهم
بختنصر واخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الانبياء فلما راوا ذلك
اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم فقالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اي لانفسنا حين
كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على
سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم فما زالت تلك دعواهم اي تلك الكلمة وهي قولهم
يا ويلنا حتى جعلناهم حصيدا خامدين اي بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين
اي ميتين قوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين معناه ما
سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب
للعب واللهو وانما سويناها للفوائد منها التفكر في خلقهما وما بينهما من العجائب
والمنافع التي لا تعد ولا تحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا قال ابن عباس اللهو المراة وعنه
الولد لاتخذناه من لدنا اي من عندنا من الحور العين لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه
لو كان ذلك جائزا في صفتنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم ونستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه
وذلك ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من
لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ان كنا
فاعلين اي ما كنا فاعلين وقيل وما كنا ممن يفعله لانه لا يليق بالربوبية بل اي
دع ذلك الذي قالوه فانه كذب وباطل نقذف اي نرمي ونسلط بالحق اي بالايمان على
الباطل اي الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه
اي فيهلكه فاذا هو زاهق اي ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى
يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل يا معشر الكفار مما
تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وله من في السموات والارض اي عبيدا
وملكا وهو خالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم ومن عنده يعني الملائكة وانما خص

الملائكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم لا
يستكبرون عن عبادته اي لا يانفون ولا يتعظمون عنها ولا يستحسرون اي
لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون
الليل والنهار لا يفترون اي لا يضعفون ولا يسامون وذلك ان تسبيحهم متصل في ايام
في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او شغل اخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس
لبني آدم ام اتخذوا آلهة من الارض يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرها
من المعادن وهو من الارض هم ينشرون اي يحيون الاموات اي لا يستحق الالهية الا
من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل لو كان
فيهما اي في السماء والارض آلهة الا الله اي غير الله لفسدتا اي لخربتا وهلك من
فيهما بوجود التمانع من الالهة لان كل امر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام
وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الالهين يفضي الى المحال فوجب
ان يكون القول بوجود الالهين محالا انما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود
الالهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان
كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه واراد
الآخر تسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد
منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد
هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال
او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لوجهين احدهما انه لما كان كل واحد
منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الآخر بل لا بد وان يستويا في
القدرة واذا استويا في القدرة فالتالي ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا
وقع مراد احدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون
عاجزا والعجز نقص وهو على الله محال ولو فرضنا الالهين لكان كل واحد منهما قادرا
على جميع المقدورات يفضي الى وقوع مقدور بين مستقلين من وجه واحد
وهو محال لان استناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان واحد منهما مستقلا
بالايجاد بالفعل لكونه مع هذا واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا
منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة
في مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود الالهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور لواحد
منهما واذا كان كذلك وجب ان لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا او
نقول لو فرضنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد
مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان او لا يقع
واحد منهما او يقع احدهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل

التقديرات

التغيير فان واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم
العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات بمفرده دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلايل
السمعية على الوحدانية فكثيرة في القرآن واعلم ان كل من كان يعتمد دلالة التمانع
بعكس الاية بان المراد لو كان في السماء والارض. الهة يقول ان الهيتهما غيره لاضطرام
نظام فساد العالم لانها جماعات لا تتفق في تدبير العالم فيلزم افساد العالم قالوا وهذا اولى
لانه تعالى حكى عنهم اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا وهو جيه ان
يختص الدليل به واما قوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون فمعناه تنزيه الله
تعالى عما يصفه المشركون من الشرك والولد لا يسئل عما يفعل اي والناس يسألون وهم عن
اعمالهم والمعنى انه لا يسأل عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد
واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسألون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم
فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول له لم
فعلت كذا ولم فعلته قوله عز وجل ام اتخذوا من دونه آلهة لما ابطل الله تعالى ان يكون
الهة سواه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا انكر عليهم اتخاذ الالهة فقال
ام اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على
ذلك ثم قال تعالى هذا يعني القرآن ذكر من معي اي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى
يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر اي خبر من قبلي اي
من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقال ابن عباس ذكر من معي
القرآن وذكر من قبلي التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل
وساير الكتب هل تجدون فيها ان الله تعالى اتخذ ولدا او كان معه الهة بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون اي فوحدون وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم
بمواضع الحق بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون عن التامل والتفكر وما يجب عليهم
من الايمان بانه لا اله قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا
الملايكة بنات الله سبحانه نزه نفسه عما قالوا بل عباد مكرمون اي اكرمهم الله
واصطفاهم لا يسبقونه بالقول اي لا يتكلمون الا بما يامرهم به وهم بامره يعملون والمعنى
انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما عملوا وما هم عاملون
وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن
عباس اي لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضي الله عنه وهم من خشيته مشفقون
اي خايفون وجلون لا يامنون مكره ومن يقل منهم اني اله من دونه قيل عنى به ابليس
حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا من الملايكة لم يقل اني اله من دون الله فذلك

اي لا يسئل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه وهم يسئلون ح

نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها
قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا اي الم يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا
قال ابن عباس كانتا شيئا واحدا ملتزقين ففتقناهما اي فصلنا بينهما بالهوى قال
كعب فكان خلق الله السموات والارض بعضهما على بعض ثم خلق ريحا توسطهما ففتقهما بها
وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سماوات وكذلك الارض
وقيل كانت السماوات رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات
وجعلنا من الماء كل شيء حي اي واحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء من الحيوان
ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شيء. وقال المفسرون معناه ان كل
شيء حي فهو مخلوق من الماء. وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ما
هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج
الاغلب والاكثر يعني ان اكثر ما على وجه الارض مخلوق من الماء او بقاؤه بالماء. افلا يؤمنون
اي افلا يصدقون قوله وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تميد
بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فارساها الله
واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اي في الرواسي فجاجا اي طرقا ومسالك والفج الطريق
الواسع بين الجبلين سبلا هو تفسير الفجاج لعلهم يهتدون اي مقاصدهم وجعلنا السماء
سقفا محفوظا اي من ان تسقط وتقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب وهم يعني الكفار
عن آياتها معرضون اي ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها
في افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة
لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون
اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء. وانما قال يسبحون ولم يقل يسبح على ما يقال
لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم التي يضمها
وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك ماهيته كهيئة فلكة
المغزل يريد ان الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذي
فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء.
وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء يجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال اصحاب
الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو
والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السماوات الا بالخبر الصادق فسبحان
الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية قوله عز وجل وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقاء في الدنيا افإين مت فهم الخالدون نزلت
هذه الآية حين قالوا نتربص به ريب المنون فيشمتون بموته فنفى الله الشماتة عنه

بهذا

بمعنى الجملة او المعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد في الدنيا بشرا لا انت ولا هم افهم يبقون ما انت افيبقى
بعدك. وفي معنى قول القايل. فقل للشامتين بنا افيقوا. سيلقى الشامتون كما لقينا.
كل نفس ذايقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك فان الله تعالى لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق هاهنا عبارة عن مقدمات الموت
والاذية العظيمة قبل حلوله ونبلوكم اي نختبركم بالشر والخير اي بالشدة والرخا
والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل وقيل بما تحبون وما تكرهون فتنة اي ابتلاء
لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا ترجعون اي للحساب
والجزاء. قوله عز وجل واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي سخريا
نزلت في ابي جهل مر به النبي. صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي عبد مناف اهذا
الذي يذكر الهتكم اي يقول بعضكم لبعض هذا الذي يعيب الهتكم. والذكر يطلق على المدح
والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك انهم يقولون لا نعرف الرحمن
الا رحمان اليمامة وهو مسيلمة قوله تعالى خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته
وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في راس ادم وعينيه نظر الى
ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلا
الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث بنيه العجلة وقيل خلق الانسان
من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شي في اخر النهار يوم الجمعة فاسرع
في خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيا الروح راسه قال يا رب استعجل بنيه لانهم خلقوا
من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا اطوارا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان
من عجل اي من طين كما قال الشاعر. والنبع في الصخرة الصما منبتة. والنخل ينبت بين الماء ... والعجل.
اي بين الماء والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانساني اي جبل عليه قوله ساوريكم ايتي
فلا تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون بالعذاب وقيل نزلت في النضر بن الحارث
ومعنى ساوريكم ايتي اي مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل
كانوا يستعجلون القيامة ولذلك قال تعالى ويقولون يعني المشركين متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين وهذا القول استعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى
انهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهولاء المستهزئين فقال تعالى لو يعلم
الذين كفروا حين لا يكفون اي لا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم قيل
السياط ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا ما اقاموا على كفرهم
ولما استعجلوا العذاب ولا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بل تاتيهم يعني
الساعة بغتة اي فجاة فتبهتهم اي تحيرهم فلا يستطيعون ردها اي صرفها
ودفعها عنهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون للتوبة والمعذرة ولقد استهزئ برسل

من قبلك اي يا محمد كما استهزا قومك فحاق اي نزل واحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزءون اي عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي فكذلك يحيق
بهاولاء وبال استهزائهم قوله تعالى قل من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل اذا نمتم والنهار اذا
انتصبتم في معايشكم من الرحمن قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن بل
هم عن ذكر ربهم اي عن القرءان ومواعظه معرضون اي لا يتاملون في شيء منها ام لهم
الهة تمنعهم من دوننا معناه الهم الهة تمنعهم ثم وصف الهتهم بالضعف فقال
تعالى لا يستطيعون نصر انفسهم يعني لا يقدرون على نصر انفسهم فكيف ينصرون من
عبدهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه
لا يصحبون من الله بخير بل متعنا هؤلاء يعني الكفار وءاباءهم اي في الدنيا بان امددنا عليهم
وامهلناهم حتى طال عليهم العمر اي امتد بهم الزمان فاغتروا افلا يرون يعني هؤلاء
المشركين انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ما ننقص من اطراف المشركين
ونزيد في اطراف المومنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك
ارضا فارضا وقرية فقرية والمعنى افلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب
اثارنا وقدرتنا في اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى
مما حول مكة وتزيدها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك ونقيصتها
رؤساء المشركين الممتنعين في الدنيا اما كان لهم عبرة في ذلك فيومنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا واراد تنافيهم ثم قال افهم الغالبون
استفهام بمعنى النفي يعني معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون قل انما انذركم
بالوحي اي اخوفكم بالقرءان ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون اي يخوفون ولئن
مستهم نفحة من عذاب ربك قال ابن عباس طرف وقيل شيء قليل ليقولن يا ويلنا — اي اصابتهم
انا كنا ظالمين دعوا على انفسهم بالويل بعد ما اقروا بالظلم والشرك قوله عز وجل
ونضع الموازين القسط اي ذوات العدل ووصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما
وقد يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها
ليوم القيمة اي لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط يقيم في الاعمال
بمن احاطت حسناته بسيئاته فاز ونجى وبالعكس والصحيح الذي عليه ائمة السلف
ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها اعمال العباد وقال الحسن
هو ميزان له كفتان ولسان وروي ان داود عليه السلام سال ربه عز وجل ان
يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما راه غشي عليه ثم افاق
فقال الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات قال يا داود اني اذا رضيت عن
عبدي ملاتها بتمرة وفي كيفية وزن الاعمال مع انها اعراض فيها قولان

احدهما

احدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات في كفة
والثاني ان يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود
مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه في حق الكفار
لانه ليس لهم اعمال توزن مع الكفر قوله فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها معناه انه لا ينقص من احسان المحسن ولا يزاد في اساءة مسيء واراد بالحبة اليسير
من الخردلة ومعنى اتينا بها اي احضرناها لنجازي بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر
له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي
الحافظون فيقول لا يا رب ثم يقول الك عذر فيقال لا يا رب فيقول الله تبارك وتعالى ان لك
عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع
هذه السجلات فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء . اخرجه الترمذي السجل الكتاب
الكبير واصله من السجل لانه يجمع احكاما والبطاقة رقعة صغيرة وهي ما تجعل في طي
الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال
توزن لان الاعمال تتجسد جواهر فتوزن والله اعلم قوله تعالى وكفى بنا حاسبين قال ابن
عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والغرض منه
التنبيه بان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز
عن شيء فحقيق بالعاقل ان يكون باشد الخوف منه ويروى عن الشبلي انه رؤي في المنام
فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا فهكذا سمة الملوك
بالمماليك يرفقوا قوله عز وجل ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان يعني الكتاب
الفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء يعني نصرناهما ويكون وضياء
يعني التورية ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة في وضياء والمعنى اتينا موسى
التوراة ضياء وذكرا للمتقين يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه الذين يخشون
ربهم بالغيب اي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس
وهم من الساعة مشفقون اي خائفون وهذا ذكر مبارك انزلناه اي كما اتينا موسى الفرقان
كذلك انزلنا القران ذكرا مبارك اي هو ذكر لمن امن به مبارك يتبرك به ويطلب منه
الخير افانتم يا اهل الكتاب له منكرون اي جاحدون قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم
رشده اي صلاحه وهداه من قبل اي من قبل موسى وهارون وقيل من قبل البلوغ وهو حين
خرج من السرب وهو صغير وكنا به عالمين اي انه من اهل الهداية والنبوة قوله اذ قال

لابيه وقومه ما هذه التماثيل يعني الصور والاصنام التي انتم لها عاكفون اي مقيمون على
عبادتها قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين اي فاقتدينا بهم قال يعني ابراهيم لقد كنتم
انتم واباؤكم في ضلال مبين اي في خطاء بين بعبادتكم اياها قالوا اجئتنا بالحق اي بالصدق
ام انت من اللاعبين يعنون اجاد انت فيما تقول ام انت لاعب قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن اي خلقهن وانا على ذلكم من الشاهدين اي على انه الاله الذي يستحق
العبادة وقيل على انه خالق السماوات والارض وتالله لاكيدن اصنامكم اي لامكرن بها بعد
ان تولوا مدبرين اي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع
ذلك الا رجل واحد من قومه فافشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم
في كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم
رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا فـ
اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي
رجلي فتركوه ومضوا فنادى في اخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لاكيدن اصنامكم فسمعوها
منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الالهة وهن في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى
جنبه اصغر منه كذلك الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الالهة وقالوا اذا
رجعنا وقد بركت الالهة على طعامنا اكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام
قال لهم على طريق الاستهزاء الا تاكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم
ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم الاعظم علق الفاس
في عنقه ثم خرج فذلك قوله تعالى فجعلهم جذاذا اي كسرا وقطعا الا كبيرا لهم اي تركه ولم
يكسره ووضع الفاس في عنقه وقيل ربطه على يده وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها
من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد ومن نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان
الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله لعلهم اليه
يرجعون قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه وما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الالهة
وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسالونه ما لهؤلاء مكسرين وانت صحيح
والفاس في عنقه فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت الهتهم راوا اصنامهم مكسرة قالوا
من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين في تكسيرها والجرأة عليها قالوا سمعنا فتى
يذكرهم اي يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم اي هو الذي نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود
الجبار واشراف قومه قالوا فاتوا به على اعين الناس اي جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس
قال نمرود لعلهم يشهدون اي عليه بانه الذي فعل ذلك كرهوا ان ياخذوه بغير بينة
وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما نصنع به فلما اتوا به قالوا له أأنت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم قال يعني ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضبا ان تعبدوا

معه دونه

معه تعول الصغار وهو الكبير منهم ويكسر هؤلاء اراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم وذلك
قوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اي حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على
النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه انا فعلت ذلك وعن ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات
الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختي لفظ الترمذي قيل في قوله اني
سقيم اي ساسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا اراد به على جهة
بشرطه يكلفه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على سبيل التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه
اختي اي في الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وكل هذه الاقوال صدق في نفسها
ليس فيها كذب فان قلت فقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا
في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة
والسلام بمؤاخذته بها قال البغوي وهذه التاويلات لنفي الكذب عن ابراهيم والاولى هو
الاول للحديث فيه ويجوز ان الله اذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم
كما اذن ليوسف حتى امر مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام
فخر الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع انه جاز ان يكذب لمصلحة
وياذن الله تعالى فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما اخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق
بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها والحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة
عن الكذب وقوله فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم
فقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون يعني بعبادتكم من لا يتكلم وقيل معناه انتم
الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه الهتكم حاضرة فاسئلوها ثم نكسوا
على رؤوسهم قال اهل التفسير اجرى الله الحق على السنتهم في القول الاول وهو اقرارهم
على انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم نكسوا
على رؤوسهم اي ردوا الى الكفر وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اي فكيف
نسالهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليه السلام قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئا اي ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم عبادته اف لكم اي تبا لكم ولما تعبدون
من دون الله والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم افلا تعقلون اي اليس لكم عقل تعلمون
به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه
وانصروا الهتكم يعني انكم لا تنتصرون منه الا بتحريقه بالنار لانه يعيبها ويطعن عليها
ان كنتم فاعلين اي ناصرين الهتكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه
هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن

سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح ثم ذكر القصة في ذلك فلما اجتمع نمرود وقومه
لاحراق ابرهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب
واصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابرهيم
وكانت المراة تنذر في بعض ما تطلب لئن اصابته لتحطبن في نار ابرهيم وكانت المراة تغزل
وتشتري الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب والقائه فيه
فلما جمعوا ما ارادوا واشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان
كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة ايام فلما
ارادوا ان يلقوا ابرهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق
فعملوه ثم عمدوا الى ابرهيم فقيدوه ورفعوه على راس البنيان ووضعوه في المنجنيق
مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملايكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة
واحدة اي ربنا ابرهيم خليلك يلقى في النار وليس في ارضك احد يعبدك غيره فاذن
لنا في نصرته فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس له اله
غيري فان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع
غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاه في النار اتاه خازن
المياه وقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الهوى وقال ان شيت طيرت النار في الهوى
فقال ابرهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروي عن ابي بن كعب ان ابرهيم قال
حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك
لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابرهيم الك حاجة
قال اما اليك فلا فقال جبريل فاسال ربك فقال ابرهيم حسبي من سوالي علمه بحالي
فعن ابن عباس في قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم عليه السلام
حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد
جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفي عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في
النار وعن ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ وقال في البخاري
وقال كان ينفخ على ابرهيم قلنا اي قال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما
على ابرهيم قال ابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابرهيم من بردها وفي الاثار
انه لم تبق يوميذ نار في الارض الا طفيت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على ابرهيم
بقيت ذات بردها ابدا وقيل اخذت الملايكة بضبعي ابرهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء
عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابرهيم الا وثاقه قالوا وكان ابرهيم
في ذلك الموضع سبعة ايام قال المنهال بن عمرو وقال ابرهيم ما كنت اياما قط انعم من الايام التي
كنت في النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابرهيم فقعد الى جنب ابرهيم يونسه قالوا

ايها

وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على
الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر
احبابي ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه
وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين
ما ارى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان اقمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم
فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي
رايته معك مثلك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الي ربي
ليؤنسني فيها فقال نمرود يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته
فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده واني ذابح له اربعة آلاف بقرة فقال ابراهيم
انه لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا استطيع
ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه السلام ومنعه الله عز وجل
منه قوله تعالى **وارادوا به كيدا** اي ارادوا ان يكيدوه **فجعلناهم الاخسرين** قيل معناه انهم خسروا
السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى ارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت
لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته قوله تعالى **ونجيناه ولوطا**
يعني من نمرود وقومه **الى الارض التي باركنا فيها للعالمين** يعني الى ارض الشام بارك
الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار قال ابي بن كعب بارك الله فيها
وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل
انه كثر الانبياء منها عن ابي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الا تتحول الى
المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب
الله المنزل يا امير المومنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده عن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة
فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابراهيم اخرجه ابن منده وابو داود واراد بالهجرة الثانية
الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
طوبى لاهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة اجنحتها
عليهم اخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اين
تامرني قال هاهنا ونحا بيده نحو الشام اخرجه الترمذي قال محمد بن اسحاق استجاب
لابراهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف
من نمرود وملائهم وامنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن اخيه
وهو لوط بن هاران وهو اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه ناحور فهؤلاء ثلاثتهم اولاد تارح
وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج

بالمقدس العوار بعينه والامان على مجاهدة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا
حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة
وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيئا الى اهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب
نافلة اي عطية من عطاء الله تعالى وقال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى اعطى
ابراهيم اسحاق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد
وكلا جعلنا صالحين يعني ابراهيم واسحاق ويعقوب وجعلناهم ايمة اي يقتدى بهم في الخير
يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى ديننا بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات اي العمل
بالشرائع واقام الصلاة يعني المحافظة عليها وايتاء الزكاة فيه ان الصلاة افضل العبادات
البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله تعالى وكانوا لنا عابدين اي موحدين قوله تعالى ولوطا آتيناه حكما
اي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد الحكمة والنبوة وعلما ونجيناه من القرية التي كانت
تعمل الخبائث يعني قرية سدوم واراد اهلها واراد بالخبائث اتيان الذكور في ادبارهم وكانوا
يتضارطون في مجالسهم مع اشياء اخر وكانوا يعملون من المنكرات انهم كانوا قوم سوء
فاسقين وادخلناه في رحمتنا قيل اراد بالرحمة النبوءة وقيل انه الثواب انه من الصالحين
يعني من الانبياء. قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل اي من قبل ابراهيم ولوط فاستجبنا
له اي اجبنا دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم قال ابن عباس من الغرق وتكذيب
قومه وقيل انه كان اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء والكرب اشد الغم ونصرناه اي منعناه
من القوم الذين كذبوا بآياتنا من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين قوله عز وجل وداوود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
قال ابن عباس والمفسرون كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو اشبه
بالعرف اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعته ليلا فافسدته وكانت بلا راع وكنا لحكمهم
شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول ان اقل
الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم شاهدين والمراد به داوود وسليمان قال ابن عباس
وغيره ان رجلين دخلا على داوود احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب
الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم يبق منه شيء فاعطاه رقاب
الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو
وليت امركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داوود
فدعاه وقال كيف تقضي ويروى انه قال له بحق النبوءة والابوة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق
بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب

الغنم

الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ
صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان سليمان يوم حكم بذلك
ابن إحدى عشرة سنة وحكم الإسلام في هذه المسألة أن ما أفسدت الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار
فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار
والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح ويدل على هذه المسألة ما روي حرام بن سعد
ابن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الأنصار فأفسدت فيه فقضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد
في رواية وأن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب
أصحاب الرأي إلى أن المالك إذا لم يكن مع الماشية فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا قوله
تعالى ففهمناها سليمان أي علمناه وألهمناه حكم القضية وكلا يعني داود وسليمان آتينا
حكما وعلما أي بوجوه الاجتهاد وطرق الأحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد
هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن
حكم داود كان باجتهاد أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد وقال
ويجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم
يجدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا أخطأوا فلا إثم عليهم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد
فأخطأ فله أجر وقال قوم إن داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم
داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عنه بالوحي
واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب
للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيبا
بل إذا اجتهد اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد
مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله عليه الصلاة والسلام إذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم
يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والإثم
في الخطأ عنه موضوع إذا لم يأل جهده ووجه الاجتهاد في هذا الحكم أن داود قوم قدر
الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده أن الواجب في ذلك الضرر قيمة المثل
فلا جرم سلم الغنم إلى المجني عليه وأما سليمان فإن اجتهاده أدى إلى أنه يجب مقابلة الأصول
بالأصول والزوائد بالزوائد فأما مقابلة الأصل بالزوائد فغير جائز ولعل منافع الغنم
في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان
عليهما السلام ما روي عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت
امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب

بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان
ابن داود فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله
هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى **وسخرنا مع داود الجبال يسبحن**
والطير اي يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقيل
كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل
كان داود اذا فتر يسمعه تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه **وكنا**
فاعلين يعني ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير **وعلمناه صنعة لبوس لكم** اي
صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل اول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود
وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله الان الحديد لداود وكان يعمل منه بغير نار كأنه طين
والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله **لتحصنكم** اي ليمنعكم **من باسكم** اي حرب
عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله **فهل انتم شاكرون** اي يقول ذلك
لداود واهل بيته قوله عز وجل **ولسليمان الريح** اي وسخرنا لسليمان الريح والريح جسم
متحرك لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه
عاصفة اي شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها الله في موضع اخر بالرخاء وهي الريح اللينة
قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت **تجري**
بامره الى الارض التي باركنا فيها يعني الشام وذلك انها كانت تجري بسليمان واصحابه
الى حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام **وكنا بكل شيء عالمين** اي بصحة التدبير
فيه وعلمنا ان ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب
كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن
حتى يجلس على سريره وكان امرا غزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع بناحية من الارض
بملك الا اتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب
ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب والة الحرب فاذا حمل معه ما يريد امر
العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخاء
فمرت به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث اراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة
فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه
بعض صحابة سليمان اما من الانس واما من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا
من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فبائتون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين اصطخر
لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط
فيقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الانبياء على كراسي الذهب
والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير

باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح
الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى لم تتم صلاة العصر غضب
لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف شاء فكان
يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه بكابل وروي ان سليمان
سار من ارض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين يغدو و
على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى
اتى ارض القندهار وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها
اياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين
قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول
النابغة • الا سليمان اذ قال المليك له • قم في البرية فاحددها عن الفند •
• وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد •
قوله عز وجل **ومن الشياطين** اي وسخرنا له من الشياطين **من يغوصون له** اي يدخلون
تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر **ويعملون عملا دون ذلك** اي دون الغوص
وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية ويتجاوز
في ذلك الى اعمال المدن والقصور ومن الصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون
وغير ذلك **وكنا لهم حافظين** اي حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا
ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه قيل
ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل
الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه قوله تعالى **وايوب اذ نادى ربه** اي دعا
ربه وسأله ذكر قصة ايوب عليه السلام قال وهب بن منبه كان ايوب
رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وكانت
امه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له
البثنية من ارض البلقاء من اعمال حوران من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان
له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل افضل
منه في العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد
ومال ويحمل آلة كل فدان اتان لكل اتان ثلاثة او اربع او خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد
اعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام
والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد
امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنا من الغرة والغفلة والتشاغل
عن امر الله بما فيه من امر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من اهل
اليمن يقال له اليفز وقيل نفعح ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صافر وكانوا

لحقوها. وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السماوات وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع الله
عيسى فحجب من اربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السماوات كلها الا من استرق
استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلوات على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى
عليه فادرك ابليس الحسد والبغي فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف
فقال الاهي نظرت في امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك
ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من طاعتك قال الله
تعالى انطلق فاني سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت
الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال ايوب وهي من المصيبة
الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت من الجن الشياطين اعطيت من
القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شيء اتي عليه قال ابليس اذهب فأت
الابل ورعاتها فاتى الابل حتى وضعت رؤوسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت
الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على اخرها ثم جاء عدو الله ابليس
في صورة قيم عليها على قعود الى ايوب فوجده قائما يصلي فقال يا ايوب اقبلت نار حتى
غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها
وانها مال الله اعارنيها وهو اولى بها اذا شاء تركها واذا شاء نزعها وقديما وطنت
نفسي ومالي على الفناء قال ابليس فان ربك ارسل عليها نارا من السماء فاحترقت فتركت
الناس مبهوتين يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيئا وما كان الا في غرور
ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على ان يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي
فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه قال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع
مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل.
فليس ينبغي لك ان تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله اولى بك وبما اعطاك ولو
علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكن علم
منك شرا فاخرجك فرجع ابليس الى اصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم من القوة فاني
لم اكلم قلبه قال عفريت من الجن عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح
الا خرجت روحه قال ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها فصاح صيحة
فتجثمت امواتا من عند اخرها ومات رعاتها ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة
الى ايوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس
الى اصحابه فقال ماذا عندكم من القوة ما اذا شئت فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت عندي
من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تاتي عليه قال فأت الفدادين
والحرث فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى
هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان

الحرث

الحوث الى ايوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه ايوب مثل رده الاول وجعل
ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على اخره كلما انتهى الى هلاك مال من امواله حمد الله واثنى
واحسن الثناء عليه ورضي عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال فلما
راى ابليس انه قد افنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف
فيه وقال الهي ان ايوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطي
على ولده فانها المصيبة التي لا يقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد
سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى اتى بني ايوب وهم في قصرهم فلم يزل
يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدرانه يضرب بعضها بعضا يرميهم
بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة ورفع القصر وقلبه وصاروا منكسين فانطلق
الى ايوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الراس يسيل دمه ودماغه
وقال لو رايت بنيك كيف عذبوا وقلبوا وكانوا منكسين على رؤوسهم يسيل دماؤهم
وادمغتهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم
فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على
راسه وقال ليت امي لم تلدني فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من
جزع ايوب مسرورا به ثم لم يلبث ايوب ان فاء وابصر واستغفر فصعد قرناؤه من
الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله والله اعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا
وقال الهي انما هون على ايوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد
له المال والولد فهل انت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك
على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله اعلم به فلم
يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين
في كل بلاء نزل بهم ليتاسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا
اليه فوجد ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في
منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت
فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها
ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وانتن
واخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم
غير امراته وهي رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب وكانت تختلف اليه بما يصلحه
وتلزمه ولما راى الثلاثة من اصحابه وهم اليفن وبلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه
ورفضوه من غير ان يتركوا دينهم فلما طال به انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له
تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضره معهم فتى حدث السن فقال امن

به وصرفه وقال الهم العقلي انكم تكلمتم ايها الكهول وانتم احق بالكلام مني لاسنانكم
ولكن تركتم من القول من ما هو احسن مما الذين قلتم من الراي اصوب من الذي رايتم ومن
الامر احمل من الذي اتيتم وكان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذي وصفتم فهل
تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم
واغتبتم الم تعلموا ان ايوب نبي الله وصفوته وخيرته من اهل الارض يومكم هذا
ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله عز وجل انه سخط شيئا من امره منذ اتاه الى يومكم هذا ولا علم
انه نزع منه شيئا من الكرامة التي اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق في طول
ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضعه في انفسكم
فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي المومنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه
لاولئك عن سخطه عليهم ولا لهوانه بهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس
من الله بهذه المنزلة الا انه اخ اخيتموه على وجه الصحبة فكان لا يجمل بالحليم ان يعذل
اخاه عند المصيبة ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه
يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره وليس بحكيم ولا رشيد
من جهل هذا فالله الله ايها الكهول وقد كان عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما
يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم الخشية من غير عي
ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمين بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله
انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم
اعظاما لله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية
يعدون انفسهم من الظالمين الخاطئين وانهم لالابرار برآء مع المقصرين المفرطين وانهم
لاكياس اقوياء فقال ايوب عليه السلام ان الحكمة يالها حبة في قلب الصغير والكبير
فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن
والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته
عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه من نور الكرامة ثم اقبل ايوب على
الثلاثة وقال اتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا فكيف
بي لو قلت تصدقوا عني باموالكم لعل الله ان يخلصني او قربوا قربانا لعل الله ان
يتقبله ويرضى عني وانتم قد اعجبتكم اموالكم وانفسكم وظننتم انكم عوفيتم باحسانكم
ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا فرستها الله بالعافية
التي البسكم وقد كنتم فيما خلا توقرونني وقد سمعتم وانا مسموع كلامي معروف
حقي منتصفا من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي راي ولا كلام فانتم كنتم اشد
علي من مصيبتي ثم اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال

بلدد

يارب لاي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت
والعمل الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني فالحقتني
بآبائي فالموت اجمل بي الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما
الهي انا عبدك ان احسنت فالمن لك علي وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا
وللفتنة نصبا وقد وقع علي من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي
وان قضاءك هو الذي اذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي هو
الذي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اتكلم بملء فمي فادلي بعذري واتكلم
ببراءتي واخاصم عن نفسي لرجوت ان يعافيني عند ذلك ولكنه القاني وتولى عني فهو يراني
ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظلته غمام حتى ظن اصحابه
انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله تعالى يقول ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا فقم
فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار
يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك نفسك
يا ايوب امرا ما تبلغ بمثل قوتك اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها
هل كنت معي تمد باطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها ام على اي شيء وضعت اكنافها
ابطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض غطاء للماء اين كنت مني يوم رفعت
السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل تبلغ من حكمتك
ان تجري نورها او تسير نجومها او يختلف بامرك ليلها ونهارها اين كنت مني يوم انبعث
الانهار وسكرت البحار ابسلطانك حبس امواج البحار على حدودها ام بقدرتك فتحت
الارحام حين بلغت مدتها اين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال
هل تدري على اي شيء ارسيتها ام باي مثقال وزنتها هل لك من ذراع تطيق حملها ام
هل تدري من اين الماء الذي انزلت من السماء ام هل تدري من اي شيء انشأت السحاب
ام هل تدري اين خزانة الثلج ام اين جبل البرد ام اين خزانة الليل بالنهار وخزانة
النهار بالليل واين خزانة الريح وباي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف
الرجال وشق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته
وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل على كمال قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر
شأني وكل لساني وعقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض لي الهي
قد علمت ان الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب
لو شئت عملت ولا يعجزك ولا يخفى عليك خافية الهي اوثقني البلاء فتكلمت ولم املك
فكان البلاء هو الذي انطقني فليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشيء يسخط
ربي وليتني مت بغمي في اشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني
وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على

لسانى فى الصمت فالتى الى خدى اعوذ بك اليوم منك واستجيرك من جهد البلاء فاجرنى
واستغيث بك من عذابك فاغثنى واستعينك على امرى فاعنى واتوكل عليك فاكفنى واعتصم
بك فاعصمنى واستغفرك فاغفر لى فلن اعود لشىء تكرهه منى قال الله تعالى يا ايوب نفذ
فيك علمى وسبقت رحمتى غضبى فقد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم
لتكون لمن خلفك اية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك روى
عن انس يرفعه ان ايوب لبث فى بلائه ثمانية عشر سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد
يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبنى اسرائيل
سبع سنين واشهر يختلف فيه الدواب ولا يقربه منه احد غير امراته رحمة صبرت معه
بصدق وتاتى له بالطعام وتحمد الله معه اذا حمد وايوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله والصبر على
بلائه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا
ما حزنك قال اعيانى هذا العبد الذى لم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزدد الا صبرا ثم سلطت على
جسمه فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه الا امراته فاستغثت بكم لتعينونى
عليه فقالوا واين مكرك الذى اهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى ايوب فاشيروا على
قالوا من اين اتيت ادم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امراته قالوا فشأنك ايوب من قبل
امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس
حتى اتى رحمة امراة ايوب وهى تتصدق فتمثل لها فى صورة رجل وقال اين بعلك يا امة
الله قالت هو ذاك الذى يحك قروحه ويتردد الدود فى جسده فلما سمعها طمع ان
تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال
ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا فصرخت فعلم ان قد
جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لى هذه السخلة ايوب ويبرا فجاءت تصرخ يا ايوب
حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك
الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو الله ابليس فنفخ فيك ويلك
ارايت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا
به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك
ما انصفت لنصبر فى البلاء ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفانى
الله لاجلدنك مائة جلدة امرتينى ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذى اتيتنى به
على حرام ان اذوق شيئا مما تاتينى به بعد ان قلت لى هذا اعزبى عنى فلا اراك فطردها
وذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله رب العالمين ثم
قال انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجبت لك
اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه

من درنه

من درنه ودابه شيء. فظهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله
فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة فالى
فجعل يلتفت فلا يرا شيئا مما كان له من اهل ومال وولد الا ضعفه الله حتى والله ذكر لنا ان
الماء الذي اغتسل به تطاير منه على صدره جراد من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله
اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى يا رب ولكنها بركة من بركاتك فمن يشبع منها قال فخرج
حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت ارايت ان كان طردني الى من اكله ادعه
يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة ترى ولا
الحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حول الكناسة وتبكي
وراء ذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتساله عن ايوب فدعاها
وقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا
على الكناسة لا ادري اضاع ام ما فعل به فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت
كان بعلي فقال فهل تعرفينه اذا رايته فقالت وهل يخفى على احد رآه ثم جعلت
تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فاني
انا ايوب الذي امرتني ان اذبح لابليس واني اطعت الله وعصيت ابليس ودعوت الله
فرد الله علي ما ترين قال وهب لبث ايوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب
ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امراته في هيئة ليست كهيئة بني ادم
في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم فقال لها انت صاحبة
ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض انا
الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني ولو سجد لي سجدة
واحدة لرددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم اراها اولادها
ببطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة
حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها
وما اراها فقال لقد اتاك عدو الله ابليس ليفتنك عن دينك ثم اقسم لئن عافاه
الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك ربي اني مسني الضر من طمع ابليس في سجود
حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله رحم رحمة امراة ايوب بصبرها
معه على البلاء وخفف عنها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان ياخذ ضغثا يشتمل
على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين
قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يبقى عن ذكر الله تعالى وقيل لم يدع الله
بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدها ما قيل في حقه لو كان لك منزلة
عند الله ما اصابك هذا والثاني ان امراته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت

ب حلة

دوائهما فالثانية بطعام والثالث قول ابليس اني اداويه على ان يقول انت شفيتني او
قيل انه مسني النصب من شماتة الاعداء حتى روي انه قيل له بعد ما عوفي ما كان اشد
عليك في بلائك قال شماتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر
الجزع — الشكوى والضجر والجزع بقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب قلت هذا ليس
بشكاية وانما هو دعاء بدليل قوله فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى
الخالق بدليل قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من اظهر الشكوى
الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا بدليل ما روي ان جبريل عليه السلام
دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال اجدني مغموما واجدني
انا — مكروبا وقال لعايشة حين قالت وارأساه قال بل انا وارأساه قوله عز وجل **فاستجبنا**
له اي اجبنا دعاءه **فكشفنا ما به من ضر** وذلك انه قال له اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء
كان بباطنه بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض فضرب فنبعت
عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء بباطنه فصار كاصح ما كان **وآتيناه**
اهله ومثلهم معهم قال ابن عباس وابن مسعود واكثر المفسرين رد الله اليه اهله
واولاده وعياله وفي رواية اخرى ان الله تعالى رد الى المراة شبابها فولدت له ستة
وعشرين ذكرا وقيل كان معه له سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه انه
كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما
على اندر القمح الذهب وعلى اندر الشعير الورق حتى فاضا وروي ان الله تعالى بعث
اليه ملكا وقال له ان الله يقريك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل
الله اليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك اما
يكفيك ما في اندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا اشبع من بركته وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر
عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما
ترى قال بلى ولكن يا رب لا غنى لي عن بركتك وقيل اوتي ايوب مثل اهله الذين هلكوا
وقال عكرمة قيل لايوب ان اهلك الذين هلكوا في الاخرة فان شئت عجلناهم لك في
الدنيا وان شئت كانوا لك في الاخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونوا لي في
الاخرة واوتي مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون المعنى وآتيناه اهله في الاخرة ومثلهم
معهم في الدنيا واراد بالاهل الاولاد **رحمة من عندنا** اي نعمة من عندنا **وذكرى للعابدين**
اي عظة وعبرة لهم قوله عز وجل **واسماعيل** هو ابن ابراهيم عليه السلام **وادريس**
هو اخنوخ **وذا الكفل كل من الصابرين** اي على ما امر الله به كما ذكر الله ايوب وغيره

على البلا

على البلاء اتبعه بذكر غيره من الانبياء كلهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة وايضا اسماعيل
صبر على الانقياد للذبح وادريس فقد تقدمت قصته واما ذا الكفل فاختلفوا فيه فقيل انه كان
نبيا من بني اسرائيل وكان ملكا يوحى اليه فاوحى الله اليه اني اريد ان اقبض روحك فاعرض
ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل لك انه يصلي فالليل ولا يفتر ويصوم فالنهار ولا يفطر ويحكم
بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام اليه شاب فقال انا اتكفل اليك بهذا
فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال اني استخلف رجلا على الناس
يعمل عليهم في حياتي انظر كيف يعمل فجمع الناس قال من يتقبل مني ثلاثا استخلفه يصوم النهار
ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في الاخر
فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف
حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا
فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا
وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القايلة فقال اذا رحت فاتيني حتى اخذ حقك فانطلق
وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد
جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القايلة واخذ مضجعه فدق الباب
فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له الباب وقال الم اقل لك اذا قعدت فاتيني قال انهم
اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال
فانطلق فاذا جلست فاتيني وفاتته القايلة فلما جلس جعل ينتظر فلا يراه وشق
عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدع احدا يقرب هذا الباب
حتى انام فانه قد شق علي النعاس فلما كان تلك الساعة نام فجاء فلم ياذن له الرجل
فلما اعياه نظر فراى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ
فقال يا فلان الم امرك قال اما من قبلي فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب فاذا
هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم ببابك فنظر اليه
فعرفه فقال يا عدو الله قال نعم اعييتني وفعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك
الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان
نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وادخلناهم
في رحمتنا يعني ما انعم عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب انهم من
الصالحين قوله عز وجل وذا النون اي واذكر صاحب الحوت اضيف الى الحوت لابتلاعه
اياه وهو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه
يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي منهم سبطان ونصف
فاوحى الله الى شعيا النبي صلى الله عليه وسلم ان سر الى حزقيل الملك وقل له حتى يتوجه
نبيا قويا فاني القي في قلوب اولئك حتى يرسلون معه بني اسرائيل فقال له فمن ترى وكان

في مملكته خمسة انبياء. فقال يونس فانه قوي امين فدعى الملك يونس وامره ان يخرج معه فقال يونس
هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا فها هنا انبياء اقوياء فالحوا عليه فخرج
مغضبا للنبي وللملك ولقومه فاتى بحر الروم فركبه وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف
عنهم العذاب بعدما اوعدهم وكره ان يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما وعدهم
واستحيى منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم فكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه
يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله تعالى وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه ان يقتلوا من جربوا عليه صح
الكذب فخشي ان يقتلوه لما لم يات العذاب للميعاد فغضب وقال ابن عباس اتى جبريل
يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب و
انطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل
عليه اثقال النبوءة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يده وخرج هاربا
منهم فلذلك اخرجه الله من اولي العزم فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقوله تعالى فظن ان لن
نقدر عليه اي لن نقضي عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن ان لن
نضيق عليه الحبس وقيل فظن ان لن نقدر عليه اي يحسن ربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس
مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فابى
الله ان يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه اربعين ما بين يوم وليلة وقيل
سبعة ايام وقيل ثلاثة ايام وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه
وراجع نفسه في بطن الحوت فنادى في الظلمات اي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن
الحوت ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اي حيث اغضبتك وما صبرت
من شيء. ولم اعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا
قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان تاخذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به
الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا
فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه
فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول قال ذلك
عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقال العبد الصالح الذي كان يصعد اليك
منه في كل يوم وليلة عملا صالحا قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه
في الساحل وذلك قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي من تلك الظلمات
وكذلك ننجي المومنين اي من الكرب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت
كيف تمسك بمواضع من هذه القضية من اجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب
مغاضبا ومنها فظن ان لن نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من الظالمين قلت
اما الجواب الكلي فقد اختلف في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة ام لا قال ابن عباس

قال

كانت رسالته بعد ان اخرجه من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة كانت قبل النبوءة
وهو الصحيح واما الجواب التفصيلي فقوله اذ ذهب مغاضبا فمجمله انه لقومه او للملك
اولى بجلال الانبياء واما قوله وظن ان لن نقدر عليه فقد تم معناه اي لن نضيق عليه وذلك
ان يونس ظن انه مخير ان شاء قام وان شاء خرج وان الله لا يضيق عليه وقيل هو من القدرة واما
قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه اما ان
يكون بخروجه عن قومه بغير اذن ربه او ضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وهذه
الاشياء ترك الافضل مع القدرة على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة
بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه
ما تقدم من التفصيل والله اعلم قوله تعالى **وزكرياء اذ نادى ربه** اي دعا ربه فقال **رب
لا تذرني فردا** اي وحيدا لا ولد لي يساعدني وارزقني وارثا **وانت خير الوارثين** هو
ثناء على الله تعالى بانه الباقي بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز
فهو كقوله وانت خير الرازقين **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى** ولدا **واصلحنا له
زوجه** اي جعلناها ولودا بعد ما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله بان
رزقها حسن الخلق **انهم كانوا يسارعون في الخيرات** يعني الانبياء المذكورين في هذه السورة
وقيل زكرياء واهل بيته والمسارعة في الخير من اكبر ما يمدح به المرء لانه يدل على حرص
عظيم في طاعة الله **ويدعوننا رغبا ورهبا** يعني انهم ضموا الى فعل الخيرات امرين احدهما
الفزع الى الله لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو كقوله
تعالى **وكانوا لنا خاشعين** وهو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط
في الامور خوفا من الوقوع في الاثم قوله تعالى **والتي احصنت فرجها** اي احصانا كليا من
الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسني بشر ولم اك بغيا وهي مريم ابنة عمران **فنفخنا
فيها من روحنا** اي امرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح
في بطنها واضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله **وجعلناها وابنها
آية** اي دلالة **للعالمين** على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير اب فان قلت
هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وامرهما
آية واحدة لان ولادتها اياه من غير اب آية قوله تعالى **ان هذه امتكم امة واحدة** اي
ملتكم ودينكم امة واحدة وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان واصل الامة
الجماعة التي على مقصد واحد فجعلت الشريعة امة لاجتماع اهلها على مقصد
واحد **وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم** اي اختلفوا في الدين
فصاروا فرقا واحزابا يعني لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض **كل الينا راجعون**
فنجزيهم باعمالهم **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه** اي لا نجحد

وقد اجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوءة ومنعها بعد النبوءة وهو الصحيح صح

فلا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه **وانا له كاتبون** اي لعمله وحافظون له وقيل الشكر
من الله تعالى المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة قوله تعالى **وحرام على قرية اهلكناها انهم**
لا يرجعون قال ابن عباس وحرام على اهل قرية حكمنا باهلاكهم ان تقبل اعمالهم لانهم
لا يتوبون وقيل معناه انه واجب على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الى الدنيا قوله عز
وجل **حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج** يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه ابتداء عن
ياجوج وماجوج وهما قبيلتان يقال انهم تسعة اعشار بني آدم **وهم من كل حدب ينسلون**
اي يسرعون النزول من الآكام والتلاع وفي هذه الكناية وجهان احدهما ان المراد به ياجوج وماجوج
وهو الصحيح بدليل ما روى النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات
غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم فقلنا يا رسول
الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني
عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله
خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كاني اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن
ادركه منكم فليقرا عليه فواتح الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث
شمالا يا عباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة
ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم فقلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة
ايكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض
قال كالغيث استدبرته الريح فياتي القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيامر
السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا
وامده خواصر ثم ياتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين
ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها
كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم
يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه
السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على
اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر
يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب
لد فيقتله ثم ياتي عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم
ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى بن مريم
اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث
الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة الطبرية
فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر عيسى واصحابه
حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله

واصحابه

واصحابه فيرسل الله عليهم في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث ما شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مسلم ومومن ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم

شرح غريب الفاظه قوله ظنناه في طائفة النخل اي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله فخفض فيه ورفع اي خفض صوته ورفع من شدة ما تكلم به في امره وقيل انه خفض تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من امره قوله انه شاب قطط اي جعد الشعر وقوله طافئة اي خارجة عن حدها قوله انه خارج خلة اي انه يخرج قصدا او طريقا بين جهتين فلا تتخلل الدخول في الشيء قوله انه يخرج فعاث اي افسد قوله فاقدروا له اي قدروا يوما من ايامكم المعهودة وصلوا فيه كل يوم بقدر ساعاته قوله فتروح عليهم سارحتهم اي ماشيتهم وقوله فيصبحون ممحلين اي مقحطين قد اجدبوا كل شيء في ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض اي قطعتين الغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين روي بالدال المهملة وبالمعجمة اي شقتين وقيل حلتين وقيل المهرود المصبوغ المصبوغ بالورس والزعفران وقوله لا يدان لاحد بقتالهم اي لا قدرة ولا قوة بقتالهم قوله النغف دود في انوف الابل والغنم وفرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم اي دسمهم المنتنة قوله كالزلفة اي كالمراة وجمعها زلف ويروى بالقاف واراد به استواءها ونظافتها قوله تاكل العصابة اي الجماعة قوله قيل يبلغون اربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اي يختلطون والتهارج الاختلاط واصله القتل

الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب

م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم الساعة حتى قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم

قوله عز وجل واقترب الوعد الحق أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج
ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا قيل في معنى
الآية إذا قامت القيامة شخصت أبصار الذين كفروا من شدة الأهوال والأفزاع من هول
ذلك اليوم ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا أي في الدنيا حيث كذبنا وقلنا إنه غير
كائن بل كنا ظالمين أي في وضعنا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل إنكم الخطاب للمشركين
وما تعبدون من دون الله يعني الأصنام حصب جهنم أي حطبها ووقودها وقيل يرمون بهم
في النار كما يرمى بالحطب وأصل الحصب الرمي أنتم لها واردون أي فيها داخلون قل لو كان
هؤلاء يعني الأصنام آلهة على الحقيقة ما وردوها أي ما دخل الأصنام النار وعابدوها
وكل فيها خالدون أي العابدون والمعبودون لهم فيها زفير الزفير هو أن يملأ الرجل صدره
غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب وهم فيها لا يسمعون قال ابن مسعود في
هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في
توابيت أخرى ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا
يرى أحد منهم في النار أحدا يعذب غيره قوله عز وجل إن الذين سبقت لهم منا الحسنى قال
العلماء إن هنا بمعنى إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والسعادة العدة
الجميلة بالجنة أولئك عنها أي عن النار مبعدون قيل الآية عامة في كل من سبقت
له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عني بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله
طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد
قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحارث فكلمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم أنتم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة
بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى له أنت قلت إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم أنتم لها قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى
تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون
الشياطين فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة
أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون
وزعم قوم أن المراد به الآية الأولى الأصنام لأن الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله
ولو أراد به الملائكة والناس لقال إنكم ومن تعبدون لأن من لمن يعقل وما لمن لا يعقل لا يسمعون
حسيسها أي صوتها وحركة لهبها أي إذا نزلوا منازلهم في الجنة وهم فيما اشتهت
أنفسهم خالدون أي من النعيم والكرامة خالدون أي مقيمون قوله تعالى لا يحزنهم الفزع
الأكبر قال ابن عباس يعني النفخة الأخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا أهل النار
خلود بلا موت وقيل هو أن تطبق جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه

وتتلقاهم

وتتلقاهم الملائكة أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون هذا يومكم الذي
كنتم توعدون أي في الدنيا قوله عز وجل يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال ابن عباس
السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل
السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد إذا رفعت إليه والمعنى تطوى السماء كما يطوي السجل الطومار
الذي يكتب فيه والنفع فيه لا يجيء نفع العزم الكاتب في ذلك اليوم كما بدأنا أول خلق نعيده أي كما
بدأناهم في بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة خ عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس إنكم محشورون إلى الله
حفاة عراة غرلا أي غلفا قوله تعالى وعدا علينا إنا كنا فاعلين يعني الإعادة والبعث بعد
الموت قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على
الأنبياء والذكر هو اسم أم الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب ينسخ جميع الكتب ومعنى من
بعد أي ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور والتوراة وقيل الزبور كتاب داود
والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل أن الأرض يرثها عبادي الصالحون يعني أرض
الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى أن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ وفي كتب
الأنبياء أن الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس إن أراضي
الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى بإظهار الدين وإعزاز المسلمين وقيل
أراد بالأرض المقدسة يرثها الصالحون بعد ما كان فيها إن في هذا القرآن لبلاغا أي
وصولا إلى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل إلى ما يرجوا من الثواب وقيل
البلاغ الموعظة كفاية من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والقرآن زاد
العباد إلى الجنة وهو قوله تعالى لقوم عابدين أي مؤمنين يعبدون الله تعالى وقيل هم أمة محمد
صلى الله عليه وسلم أهل الصلاة الخمس وشهر رمضان وقال ابن عباس عالمين وقيل هم
العاملون قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية
وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع
الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز
والثواب فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الأحكام وميز الحلال من
الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قيل يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة
لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فهو رحمة لهم في الدنيا بتأخير
العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما
أنا رحمة مهداة قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون
أي منقادون لما يوحى من إخلاص الإلهية والتوحيد لله تعالى والمراد بهذا الاستفهام
الأمر أي أسلموا فإن تولوا أي أعرضوا ولم يسلموا فقل آذنتكم أي أعلمتكم بالحرب
وأن لا صلح بيننا على سواء أي إنذارا بينا يستوي في علمه لا أستبد أنا به دونكم لتتأهبوا

اي اذنتكم والمعنى اذنتكم على وجه يستوي نحن وانتم في العلم به وقيل معناه لتستووا في الايمان
واعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره وان ادري اي وما اعلم اقريب ام بعيد ما
توعدون يعني يوم القيامة لا يعلمه الا الله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون لا يغيب
عن علمه شيء فيجازيكم في علانيتكم وسركم وان ادري لعله فتنة لكم اي لعل تاخير العذاب عنكم
اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم بكم ومتاع الى حين اي تتمتعون الى انقضاء اجالكم
قوله تعالى قال رب احكم اي افصل بيني وبين من كذبني بالحق اي بالعذاب كانه استعجل العذاب
لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرني
عليهم والله يحكم بالحق طلب اولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب وربنا الرحمان
المستعان على ما تصفون اي من الشرك والكفر والاباطيل كانه سبحانه وتعالى
قال قل داعيا رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون والله
اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة الحج وهي مكية غير ست ايات**
من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون
اية والف ومايتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة الاف وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الناس
اتقوا ربكم اي احذروا عقابه واعملوا بطاعته ورضاه ان زلزلة الساعة شيء عظيم
الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شيء اعظم مما عظمه الله
تعالى قيل هي من اشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها
يوم ترونها يعني الساعة وقيل الزلزلة تذهل قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى كل مرضعة
عما ارضعت اي كل امراة معها ولد ترضعه وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقط من
هول ذلك اليوم كل حامل قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع
الحامل ما في بطنها بغير تمام وعلى هذا تكون الزلزلة قبل القيامة لان بعد البعث لا تكون حبلى ومن
قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول
اصابنا امر يشيب فيه الوليد يريد به شدته وترى الناس سكارى على التشبيه
وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب
عقولهم وازال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب ولكن
عذاب الله شديد عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى يوم القيامة يا ادم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك
فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار
قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت
وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه
وسلم

وكل من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعون ومنكم واحد ثم انتم في الناس كالشعرة السوداء
في الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع
الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر
اهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الايتين
نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى
كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما
اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس ما بين
باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يوم ذلك قالوا الله
ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر
نحو حديث ابي سعيد الخدري وزاد فيه ثم قال يدخل من امتي سبعون الفا الجنة
بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا قوله عز وجل
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدال
وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من
صار ترابا ويتبع اي من جادل في الله بغير علم كل شيطان مريد اي متمرد مستمر
في الشر وفيه وجهان احدهما انهم شياطين وهم رؤساء الكفر الذين يدعون الى الكفر
والثاني انه ابليس وجنوده كتب عليه اي قضي على الشيطان انه من تولاه اي اتبعه
فانه يعني الشيطان يضله اي يضل من تولاه عن طريق الجنة ويهديه الى عذاب
السعير وفي الاية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه انه في ضلال ثم
الزم الحجة منكري البعث فقال الله عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في ريب اي في شك
من البعث اي بعد الموت فانا خلقناكم من تراب اي اباكم آدم الذي هو اصل النسل ثم من
نطفة يعني ذريته من المني واصلها الماء القليل ثم من علقة اي من دم جامد غليظ
وذلك ان النطفة تصير دما غليظا ثم من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ مخلقة
وغير مخلقة قال ابن عباس اي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة
وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي ياتي به لوقته وغير مخلقة يعني السقط
فكانه تعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم
الثاني وهو الناقص عن هذه الاحوال كلها روي عن علقمة بن مسعود موقوفا عليه قال ان
النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بكفه وقال اي رب مخلقة او غير مخلقة
فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اي رب
ذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق باي ارض يموت فيقال له
اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيه كل ذلك فيذهب فيجدها في ام الكتاب ثم
ينسخها فلا تزال معه حتى ياتي على اخر صفته والذي اخرجاه في الصحيحين

فيه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم
يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله
ملكا يكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقوله تعلى لنبين لكم اي كمال قدرتنا
وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته على ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة
وقيل لنبين لكم ما تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم ان
تغير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار وان القادر على هذه الاشياء
كيف يكون عاجزا عن الاعادة قوله تعلى ونقر في الارحام ما نشاء اي لا تسقطه
ولا تمجه الى اجل مسمى اي وقت خروجها من الرحم تام الخلقة ثم نخرجكم اي وقت الولادة
من بطون امهاتكم طفلا اي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس
ثم لتبلغوا اشدكم اي كمال القوة والعقل والتمييز ومنكم من يتوفى اي قبل بلوغ
الكبر ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
اي يبلغ من السن ما يغيب عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في اول الحال طفلا ضعيف
البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا اخر على البعث فقال تعلى وترى
الارض هامدة اي يابسة لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء يعني المطر اهتزت
يعني تحركت بالنبات وربت اي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات
هو مجاز لان الله تعلى هو المنبت واضيف الى الارض توسعة وانبتت
من كل زوج بهيج اي
من كل صنف حسن نضر والبهيج هو الشيء المبهج وهو الشيء المشرق الجميل وهو ان الله
تعلى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعلى ذلك اي لتعلموا بان الله
هو الحق اي حدوث هذه الاشياء دالة على وجود الصانع وانه يحيي الموتى اي انه اذا لم
يستبعد منه ايجاد الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وانه على كل شيء قدير اي من
كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من
في القبور اي ذكر ما ذكر من الدلائل ليعلموا ان الساعة كائنة لا شك فيها وانه حق وان البعث
بعد الموت حق قوله عز وجل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم يعني النضر بن الحارث
ولا هدى اي ليس معه شيء من الله تبارك وتعلى بيان ولا ارشاد ولا كتاب منير اي ولا كتاب من
الله له نور ثاني عطفه اي لاوي جنبه وعنقه متبختر التكبر معرضا عما يدعى اليه
من الحق ليضل عن سبيل الله اي عن دين الله له في الدنيا خزي اي عذاب وهوان وهو
انه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك
اي يقال له ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد اي فيعذبهم بغير ذنب

والله تعلى

والله تعالى على اي وجه اراد نقص وفي عيبوه في حكمه عدلا وهو غير ظالم قوله عز وجل ومن الناس
من يعبد الله على حرف نزلت هذه الاية في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من
باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة صح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امراته
وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت به خيرا واطمان به وان اصابه مرض وولدت امراته
جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت هذا الدين خيرا الا شرا فينقلب عن دينه
وذلك هو الفتنة فانزل الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على شك واصله من
حرف الشيء وهو طرفه الذي هو القايم عليه نحو حرف الجبل والحائط الذي غير مستقر فقيل
للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم
على قلق واضطراب في دينهم لا على سكينة وطمانينة ولو عبدوا الله في الشكر على السراء
والضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه فان اصابه خير
اي صحة في بدنه وسعة في معيشته اطمان به اي رضي به وسكن وان اصابته فتنة
اي بلاء في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه اي ارتد ورجع على عقبه الى الوجه
الذي كان عليه في الكفر خسر الدنيا والاخرة اي خسر في الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه
وماله مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والاخرة بذهاب الدين والخلود في النار ذلك
هو الخسران المبين اي يعني الظاهر يدعو من دون الله ما لا يضره ان عصاه ولم يعبده وما
لا ينفعه اي ان اطاعه وعبده ذلك هو الضلال البعيد اي عن الحق والرشد يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه فان قلت قد قال في الاية الاولى يدعو من دون الله ما لا
يضره وما لا ينفعه وقال في هذه يدعو لمن ضره اقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع
بينهما قلت اذا حصل هذا المعنى زال هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الاول ما لا
يضره اي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اي ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها
ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفه الكافر
حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه يستشفع به وقيل الاية
في الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يرجى منهم ان يضروا او ينفعوا وجه
هذا القول ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الاية تقتضي
كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في هذه الاية الاوثان لزم التناقض فثبت انهم
الرؤساء بدليل قوله تعالى لبيس المولى ولبيس العشير اي الناصر والصاحب المعاشر قوله
تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل
ما يريد اي باوليائه واهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان قوله تعالى من
كان يظن ان لن ينصره الله يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في الدنيا اي باعلاء كلمته
واظهار دينه والاخرة اي وفي الاخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه فليمدد

بسبب اي بحبل الى السماء اي سقف البيت في قول الاكثرين والمعنى فليمدد حبلا في سقف بيته
فليختنق حتى يموت ثم ليقطع اي الحبل بعد الاختناق وقيل فليمد الحبل ويقطع حتى يقطع
فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده اي صنيعه وحيلته ما يغيظ اي فليختنق غيظا وليس
هذا على سبيل الحتم لانه على سبيل لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال
للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المرفوعة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله
نبيه ويكيده في امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان اصله في السماء فليطلب سببا يصعد به
الى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي ياتيه فلينظر هل يتهيا له الوصول
الى السماء بحيله وهو يقدر على ذهاب غيظه فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة
وفي الاية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه روي ان الاية نزلت في قوم من بني اسد وغطفان
دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الايمان وكان بينهم وبين اليهود حلف ان لا يمكننا ان نسلم
لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميروننا و
يؤوونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الاية من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة
فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان الله لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرني فلا ن
نصره الله اي من يعطيني اعطاه الله وكذلك انزلناه يعني القرآن آيات بينات وان الله
يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا قيل معناه يعني عبدة الاوثان وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة
للشيطان وهو ما عدا الاسلام ان الله يفصل بينهم اي يحكم بينهم يوم القيامة قيل يفصل بينهم
في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا يعني يتفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد
ان الله على كل شيء شهيد اي انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في ذلك الفصل
ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام في هذه الاية في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل الم تر
اي الم تعلم وقيل الم تر بقلبك ان الله يسجد له من في السماوات ومن في الارض والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل سجود هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل ما في الشمس نجم
ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين
حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الساعة فانه ما من جماد وهو مطيع لله تعالى خاشع
ومسبح له كما وصف بالخشية والتسبيح وهذا مذهب اهل السنة وهو ان جميع الاجسام
لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت
الطاعة وعندنا اعمال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع هو دونه فان قلت فهذا
التاويل يبطله قوله وكثير من الناس فان السجود بالمعنى الذي ذكرتم عام في الناس كلهم
فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته
وان كان عاما في حق الناس من الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا

وان كان

وان كان ساجدا لله بذاته وبظاهره فلاجل الجر حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ولله
يسجد من في السماوات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى
الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت لو اقتصر على ما تقدم اوهم
ان كل الناس يسجدون قلت بين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين
قال فيهم وكثير حق عليه العذاب وهم الكفار اي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم للسجود مع
كبرهم وامتناعهم من السجود فجميع ما خلق الله عز وجل يسجد ومن يهن الله فما له من مكرم اي ومن يخذله
الله فلا يكرمه احد ان الله يفعل ما يشاء اي يكرم بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من
يشاء وقيل هو الذي يهيئ منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب فصل
هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها
قوله عز وجل هذان خصمان اختصموا في ربهم اي جادلوا في دينه وامره واختلفوا
في هذين الخصمين فروي عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الآية
نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد
بن عتبة اخرجاه في الصحيحين عن علي بن ابي طالب قال انا اول من يجثو للخصومة بين يدي
الرحمان يوم القيامة قال قيس بن عباد فيهم نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا في
ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وابن
اخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحاق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة عوف
ومعوذ ابنا الحارث وامهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار
فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن ابي طالب
فلما دنوا منهم قالوا من انتم فقال من ذكر وانتسبوا قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان
اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فاما حمزة فلم يمهل ان قتل وعلي الوليد
بن سيبا اجهما واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه فكر حمزة وعلي فذففا
عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الست شهيدا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فقال
عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم اني احق بما قال منه

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت في المسلمين واهل الكتاب قال اهل الكتاب نحن اولى بالله واقدم
منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن اولى بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم به حسدا فهذه
خصومتهم في ربهم وقال المومنون والكافرون من اي ملة كانوا المومنون خصم

والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار خ وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت
الجنة فما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وغرتهم فقال الله عز وجل
للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى
يضع الله تعالى رجله فيقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله
احدا من خلقه واما الجنة فان الله تعالى ينشئ لها خلقا وللبخاري اختصمت الجنة والنار
وهذا القول ضعيف والاقوال الاول اصح واولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره اولى وهذان
كالاشارات الى سبب تقدم ذكره وهو اهل الاديان الستة وايضا فانه ذكر صنفين اهل
طاعته واهل معصيته وذكر ما للخصمين فقال تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار
قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الانية شيء اذا احمي احر منه وسمي
باسم الثياب لانه يحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يكسى اهل النار مقطعات من نار يصب
من فوق رءوسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته يصهر به اي يذاب بالحميم الذي
يصب من فوق رءوسهم ما في بطونهم والجلود من الشحوم والاحشاء والجلود م عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ حتى يخلص
الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب ولهم مقامع من حديد اي سياط من حديد وهي جرز من الحديد
وفي الخبر لو وضع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان لم يقلوه من الارض كلما
ارادوا ان يخرجوا منها من غم اي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب
الذي ياخذ بانفاسهم اعيدوا فيها اي ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش
بهم فتلقيهم الى اعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون
فيها سبعين خريفا وذوقوا عذاب الحريق اي تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق
ثم ذكر وصف حال الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الاخر وهم المومنون
قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهو الابريسم الذي
حرم الله لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح ق عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان
من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما من ذهب وما بين القوم
وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه ق عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة قوله تعالى وهدوا
من الهداية اي ارشدوا الى الطيب من القول هو شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو

لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل القران وقيل هو قول اهل الجنة الحمد
لله الذي صدقنا وعده وهدوا الى صراط الحميد اي الى دين الله وهو دين الاسلام والحميد
هو الله المحمود في كل افعاله قوله عز وجل ان الذين كفروا اي بما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم ويصدون عن سبيل الله اي بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام والمسجد الحرام اي وفي
ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلناه للناس اي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا
سواء العاكف فيه اي المقيم فيه قال بعضهم يدخل فيه الغريب اذا جاور واقام ولزم العبادة
فيه والباد اي الطارئ المنتاب من غيره واختلفوا في معنى الاية فقيل سواء العاكف فيه
والباد في تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد
منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به
وعن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف
بهذا البيت وصلى اية ساعة شاء من ليل او نهار اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي
وقيل المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية ان المقيم فيه والباد سواء في النزول به
ليس احدهما احق بالمنزل من الاخر غير انه لا يزعج احدا اذا كان قد سبق الى منزل وقول ابن
عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد
الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة باحق من منزله
وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع
دور مكة واجارتها وقالوا ان ارض مكة لا تملك لانها لو ملكت لا يستوي فيها العاكف
والباد فلما استويا ثبت سبيله سبيل المساجد واليه ذهب ابو حنيفة قالوا والمراد
بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول والاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها
وهو قول طاووس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعي واحتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى
اخرجوا من ديارهم بغير حق فاضاف الديار لمالكها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم
فتح مكة من اغلق بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن فنسب الديار اليهم نسبة
ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن باربعة الاف درهم فهذه النصوص دلت على جواز بيعها
ومن يرد فيه بالحاد اي في المسجد الحرام بظلم اي يميل الى الظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك
وعبادة غير الله تعالى وقيل هو كل شيء كان منهيا عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقيل هو
دخول الحرم بغير احرام وارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن
عباس هو ان تقتل فيه من لا يقتلك وتظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيئات
بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه اخرجه ابو داود
وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم
قال لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو
بعدن ابين لاذاقه الله عذابا اليما قال السدي الا ان يتوب وروي عن عبد الله بن عمر انه كان

نخ الغريب

له فسطاطان احدهما بالحل والاخر بالحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فسيل عن ذلك
فقال كنا نتحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت قال ابن عباس جعلنا وقيل وطانا وقيل بينا وانما ذكر البيت لان الكعبة رفعت
الى السماء من الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ببناء البيت لم يدر اين
يبني فبعث الله ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سبحانه
وتعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت فيها راس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدري فبنى
عليه ان لا تشرك بي شيئا اي عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
اي من الشرك والاوثان والاقذار للطايفين اي الذين يطوفون بالبيت والقايمين اي
المقيمين به والركع السجود اي المصلين قوله تعالى واذن اي واعلم وناد والاذان في اللغة
الاعلام في الناس قال ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة بالحج فقال ابراهيم عليه السلام
وما يبلغ صوتي فقال الله عز وجل عليك الاذان وعلينا الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى
صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال
يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج
من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من اجابه اهل اليمن فهم
اكثر الناس حجا وروي ان ابراهيم صعد ابا قبيس ونادى وزعم الحسن ان المامور بالتاذين
هو محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ياتوك رجالا
اي مشاة على ارجلهم جمع راجل وعلى كل ضامر اي ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير
وبدا بذكر المشاة تشريفا لهم ياتين اي جماعة الابل من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد فمن
اتى مكة حاجا فكانه قد اتى ابراهيم لانه مجيب نداه قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم
قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى الله به من امر الدنيا
والاخرة ويذكروا اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ايام ذي الحجة في قول الاكثر
لان المقصود من قيل انها معلومات لحرص على علمها من اجل وقت الحج في اخرها وعن ابن عباس
انها ايام عرفة والنحر وايام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده على ما رزقهم
من بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم لا من الخيل والبغال فكلوا منها امر اباحة
ليس بواجب وذلك ان الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم شيئا فامر الله بمخالفتهم
اتفق العلماء على ان الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي ان ياكل منه وكذلك اضحية التطوع
لما روي عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق
رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثا وستين
ونحر علي ما غبر واشركه في بدنه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فاكل
من لحمها وشرب من مرقها اخرجه مسلم قوله ما غبر اي ما بقي قوله ببضعة اي بقطعة
واختلف العلماء في الهدي الواجب في الشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب

بافساد

بإفساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل من لحم هديه فحينئذ قال الشافعي
لا يأكل منه شيئا ولو أكل ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر
ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحاق وقال مالك يأكل من هدي المتمتع ومن كل هدي
وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر وعند أصحاب الرأي أن يأكل من دم
التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى **وأطعموا البائس الفقير** يعني
الزمن الذي لا شيء له قوله تعالى **ثم ليقضوا تفثهم** أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد
منه الخروج عن الإحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الإبط وقلم الأظفار والاستحداد
ولبس الثياب والحاج أشعث أغبر إذا لم تزل منه هذه الأوساخ وقال ابن عمر وابن عباس
التفث مناسك الحج كلها **وليوفوا نذورهم** أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان
من شيء أي ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بالنذر وهو ظاهر وقيل المراد به الخروج
عما وجب عليه نذر أو لم ينذر **وليطوفوا بالبيت العتيق** أراد به طواف الواجب وهو
طواف الإفاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو
أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي
أربعا زاد في رواية ثم يصلي وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه ابن عمر رضي الله
عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف الطواف الأول خب ثلاثا ومشى
أربعا زاد في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يسعى بين الصفا والمروة
ولفظ أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف في الحج والعمرة أول ما يقدم فإنه
يسعى ثلاثة أطواف ويمشي أربعا ثم يسجد سجدتين والطواف الثاني هو طواف الإفاضة
وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق وعن عائشة رضي الله عنها قالت حاضت صفية
ليلة النفر فقالت ما أراني إلا حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت
يوم النحر قيل نعم قال فانفري قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع
في حلقها وقيل معناه مشؤومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وإنما هو شيء يجري على
ألسنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على أن من لم يطف يوم النحر طواف
الإفاضة لا يجوز له أن ينفر الطواف الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة
مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة
الحائض فإنه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روي عن ابن عباس قال أمر الناس أن يكون
آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض فيجب عليه والرمل سنة تختص
بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن
عباس وغيره لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه
جبار قط وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله أعتقه من الغرق فإنه
رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك **ذلك** أي الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج

نخ سمي عتيقا

فهو خير له عند ربه اي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند ربه في الاخرة واحلت لكم الانعام
اي ان تاكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم اي تحريمه وهو قوله في
سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الاية فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي اتركوا
عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم
التلوث بالنجاسات واجتنبوا قول الزور اي الكذب والبهتان وقال ابن مسعود شهادة
الزور وروي عن ايمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس
عدلت شهادة الزور الشرك بالله ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من
الاوثان واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذي وقال فيه اختلفوا في روايته ولا نعرف
لايمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول
المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك قوله تعالى حنفاء لله
اي مخلصين غير مشركين به فيه دليل على ان المكلف ينوي بما ياتيه من العبادات والاخلاص
بها لله عز وجل وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا يسمونها
حنيفية فنزلت حنفاء لله غير مشركين به اي حجاجا مسلمين موحدين ومن اشرك لا يكون حنيفا ومن
يشرك بالله فكانما خر اي سقط من السماء الى الارض فتخطفه الطير اي تختلسه وتذهب
به او تهوي به الريح اي تميل وتذهب به في مكان سحيق اي بعيد ومعنى الاية ان بعد من اشرك
بالله من الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير او هوت به الريح فلا
يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء فانه لا يملك لنفسه حيلة حتى
يقع حيث يسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه او بسقوطه من المكان
السحيق وقيل معنى الاية من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه اهلاك بان
صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرقت به اجزاؤه في حواصلها
او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء في
علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهالك المتلفة
قوله تعالى ذلك يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ومن يعظم شعائر الله فانها
من تقوى القلوب وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدي
واصلها من الاشعار وهي العلامة التي تعرف بها انها هدي وتعظيمها من تقوى القلوب
لكم فيها اي في البدن منافع قيل هو تسمينها للهدي في درها ونسلها وصوفها ووبرها
وركوب ظهرها الى اجل مسمى اي الى ان يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شيء
من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وفي رواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا
منافع بعد ايجابها وتسميتها هديا بان تركبوها وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل
مسمى يعني الى ان تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي

واسحاق

واستماع يجوز ركوبها والسعي عليها من غير ضرورة بها لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة
فقال اركبها ويلك في الثانية او في الثالثة اخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له ان ينتفع بلبنها
بعد ما يفضل عن ري ولدها وقال اصحاب الراي لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل اراد بالشعاير
المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع اي بالاجر والثواب في قضاء المناسك الى انقضاء
الحج ثم محلها الى البيت العتيق اي منحرها عند البيت العتيق وفي بلاد الحرم وروي عن
جابر في حديث حجة الوداع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر
فانحروا في رحالكم ومن قال الشعاير المناسك قال معنى ثم محلها اي محل الناس من احرامهم
الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة وقوله تعالى ولكل امة اي جماعة مومنة سلفت
قبلكم جعلنا منسكا قرئ بكسر السين اي مذبحا وهو موضع القربات ومنسكا بفتح السين
وهو اراقة الدم وذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي عند
نحرها وذبحها وسماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين
وان جاز اكله قوله تعالى فالهكم اله واحد اي سموا على الذبائح اسم الله وحده فان الهكم
اله واحد فله اسلموا اي اخلصوا وانقادوا واطيعوا وبشر المخبتين قال ابن عباس
المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون
واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم الله تعالى فقال الذين اذا ذكر الله وجلت اي خافت من
عقاب الله فيظهر عليهم الخشوع والتواضع له تعالى قوله قلوبهم والصابرين
على ما اصابهم اي من البلاء والمرض والمصايب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير
الله تعالى فله ان يصبر عليه وكان له ان ينتصر لنفسه والمقيمي الصلوة اي في اوقاتها
والمحافظة عليها ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون قوله تعالى والبدن جمع
بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها ويريد الابل العظام الاجسام والبقر ولا تسمى
الغنم بدنة لصغرها جعلناها لكم من شعاير الله اي من اعلام دينه وقيل لانها تشعر
وهو ان تطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك انها هدي لكم فيها خير اي نفع في الدنيا
وثواب في العقبى فاذكروا اسم الله عليها اي عند نحرها صواف اي على ثلاث قوايم
قد صفت رجليها ويدها اليمنى واخرى معقولة فينحرها كذلك خ عن زياد بن جبير قال
رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد
صلى الله عليه وسلم فاذا وجبت جنوبها اي سقطت بعد النحر ووقعت على الارض جنوبها
فكلوا منها اي من اباحة واطعموا القانع والمعتر قيل القانع الجالس في بيته
المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر هو الذي يتعرض ولا يسال وقيل المعتر
هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسال وقيل القانع هو المسكين والمعتر هو الذي
ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجيء القوم فيتعرض لهم لاجل لحمها كذلك اي مثل ما نحرناها

فبذا ما سخرناها لكم اي لتتمكنوا من نحرها فيبا ما لعلكم تشكرون اي من انعام الله عليكم لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها وذلك ان الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها
يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها اي لن ترفع الى
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي ولكن ترفع الى الله الاعمال والاخلاص وهو
ما اريد به وجه الله كذلك سخرها لكم يعني البدن لتكبروا الله على ما هداكم وارشدكم لمعالم
دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا وبشر
المحسنين قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا اي يدفع غائلة
المشركين عن المؤمنين ويمنعهم وينصرهم عليهم ان الله لا يحب كل خوان كفور اي خوان في امانة
الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب
الى الاصنام بذبيحته وسمى عليها غير الله فهو خوان كفور قوله تعالى اذن للذين يقاتلون
بانهم ظلموا اي اذن لهم بالجهاد يقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركو اهل
مكة يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون ما بين مضروب ومشجوج
ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بقتال
حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال
وقيل نزلت هذه الاية في قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة فاذن الله لهم في قتال الكفار
الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا اي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء وان الله
على نصرهم لقدير فيه وعد من الله تعالى بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى الذين اخرجوا من
ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله يعني انهم اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي
ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض اي بالجهاد واقامة الحدود لهدمت صوامع وبيع اي معابد الرهبان المتخذة
في الصحراء وبيع وهي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى وصلوات
يعني كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتا ومساجد يعني مساجد المسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا يعني في المساجد ومعنى الاية لولا دفاع الله الناس بعضهم
ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى
البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد ولينصرن الله من ينصره اي
ينصر دينه ونبيه ان الله لقوي عزيز اي على نصر من ينصر دينه ونبيه عزيز اي
لا يضام ولا يمنع مما يريده قوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اي نصرناهم
على عدوهم حتى يتمكنوا في البلاد اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر هذا وصف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهم جميع هذه الامة وقيل هم جميع المهاجرين
وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم في الارض صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين
اخرجوا من ديارهم بغير حق وهم المهاجرون ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق

مصيرها الى الله وذلك انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الامور كلها بلا منازع قوله تعالى
وان يكذبوك فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان كذبوك قومك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فان قلت لم قال وكذب
موسى ولم يقل قوم موسى قلت فيه وجهان احدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنوا اسرائيل بل
انما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كانه قيل بعد تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى ايضا
وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين اي امهلتهم واخرت العقوبة
عنهم ثم اخذتهم اي عاقبتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب
والهلاك يخوف به من خالف رسوله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله عز وجل فكاين من قرية
اهلكناها وفي قراءة اهلكتها اعلى التعظيم وهي ظالمة اي واهلها ظالمون فهي خاوية
اي ساقطة على عروشها اي سقوفها وبير معطلة اي وكم من بير معطلة اي متروكة
مخلاة عن اهلها وقصر مشيد اي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل البير المعطلة والقصر
المشيد باليمن اما القصر فعلى قلة جبل والبير في سفحه ولكل منهما قوم كانوا في نعمة
فكفروا فاهلكهم الله وبقي البير والقصر خاليين وقيل ان هذه البير كانت بحضرموت في بلدة
يقال لها حاضورا وذلك ان اربعة الاف نفر ممن امن بصالح عليه السلام لما نجوا من
العذاب اتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت
لذلك ولما مات صالح بنوا حاضورا وقعدوا على هذه البير وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا
دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام فارسل الله عليهم نبيا يقال له حنظلة بن
صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بيرهم وخرب قصرهم
قوله تعالى افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية
فتكون لهم قلوب يعقلون بها اي يعلمون بها او اذان يسمعون بها يعني ما يذكر لهم
من اخبار القرون الماضية فيعتبرون فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور المعنى ان عمى القلب هو الضار في امر الدين لا عمى البصر لان البصر بلغة
ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن
الحارث ولن يخلف الله وعده اي انه انجز ذلك يوم بدر وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون قال ابن عباس يعني يوما من ايام الاخرة يدل عليه ما
روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر صعاليك
المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك
مقدار خمسمائة سنة اخرجه ابو داود بزيادة فيه واخرجه الترمذي بنحوه ومعنى الاية
انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من ايام عذابهم في الاخرة كالف سنة فكيف
تستعجلونه وقيل ان يوما من ايام العذاب في الثقل والاستطالة كالف سنة فكيف
تستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده وكالف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء

اخذهم لا يفوتني شيء في التاخير ويستوي في قدرتي وقوع ما يستعجلونه من العذاب
وتاخيره وهذا معنى قول الآية وكاين من قرية امليت لها اي امهلتها وهي ظالمة اي
مع استمرار اهلها على الظلم ثم اخذتها اي اتيتهم بالعذاب والي المصير يعني
مصيرهم اليّ فيه وعيد وتهديد ويعقبه قوله عز وجل قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير
مبين امر الله رسوله ان يجيب لهم التخويف والانذار وانما يقول لهم انما بعثت منذرا فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم
ان يقول انما انا نذير مبين اردف ذلك بان امره بوعد من امن ووعيد من عصى فقال فالذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة اي ستر لصغاير ذنوبهم وقيل للكباير ايضا مع التوبة
ورزق كريم اي لا ينقطع ابدا وقيل هو الجنة قوله تعالى والذين سعوا في اياتنا اي عملوا في
ابطال اياتنا معاجزين مثبطين الناس عن الايمان وقرئ معجزين اي معاندين مشاقين
وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم ان لا بعث
ولا نشور ولا جنة ولا نار اولئك اصحاب الجحيم قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبيء الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قال ابن عباس وغيره من المفسرين
لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما
جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه ان ياتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم
فكان يوما في مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة والنجم فقراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى قرا افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت ذلك قريش فرحوا به ومضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قراءته فقرا السورة كلها وسجد في اخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد
جميع من في المسجد من المشركين ولم يبق في المسجد مومن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن
المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما
لانهما كانا شيخين كبيرين ولم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا
من ذكر الهتهم ويقولون قد ذكر الهتنا محمد باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا
ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن الهتنا تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا
فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد ماذا
صنعت لقد تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كثيرا فانزل الله تعالى هذه الاية يعزيه بقوله عز
وجل وكان به رحيما وسمع بذلك من كان في ارض الحبشة من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت قريش واهل مكة فرجع اكثرهم الى
عشايرهم واصحابهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا الى مكة فبلغهم ان الذين
كانوا يتحدثون به من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفيا

فلما نزلت

فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك
وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم
كل مشرك فازدادوا شرا إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم قال الله تعالى وما أرسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي. الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا والنبي هو الذي
تكون نبوته إلهاما أو مناما وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا إلا إذا تمنى ألقى
الشيطان في أمنيته أي أحب شيئا واشتهاه وحدثت به نفسه مما لم يؤمر به ألقى
الشيطان في أمنيته أي في مراده قال ابن عباس إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه
ووجد إليه سبيلا والمعنى ما من نبي تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى
الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقال أكثر المفسرين
معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته قال حسان في
عثمان حين قتل. تمنى كتاب الله أول ليلة. وآخرها لاقى حمام المقادر.

المغادر

فإن قلت وقد قامت الدلائل على صدقه واجتمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه
معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله
تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء
على هذا الإشكال أجوبة أحدها توهين أصل هذه القصة وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا
أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل
غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب
رواتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقائل يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في
الصلاة وآخر يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر
يقول حدث نفسه فسها فجرى على لسانه وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله
عليه وسلم ولما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك إلى غير ذلك من اختلاف الألفاظ والذي
في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها
وسجد من كان معه غير أن شيخا من قريش أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته قال
عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا أخرجه البخاري ومسلم وفي من حديث ابن عباس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والكافرون والجن والإنس
رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك
اللفظة ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي
وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة والجواب الثاني وهو من حيث المعنى
وهو أن الحجة قد قامت بالدليل الصحيح وإجماع الأمة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه أن ينزل عليه مثل مدح آلهة غير الله وأن يتسو و

عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عن ذلك
وهذا كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا
منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب
سجود الكفار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا
كما صح عنه في قراءته فيحتمل أن الشيطان ترصد لتلك السكتات ودس فيها ما اختلقه من
تلك الكلمات محاكيا لصوت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه من دنا منه من الكفار وظنوها
من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا وأسعد لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك
عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الأوثان وعيبها وأنهم كانوا يحفظون
السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية تقدم أن التمني
يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الأول معنى قوله إلا إذا تمنى أي خطر بباله
وتمنى بقوله بعض الأمور ولا يبعد أنه إذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الأفعال
الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله إلا إذا تمنى أي تلى فبيان
وهو ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك لكنه
لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما جاء في الحديث لقد أذكرني كذا
وكذا آية أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا أن الغرض من هذه الآية أن الأنبياء
والرسل وإن عصمهم الله عن الخطإ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل هم في جواز ذلك
كسائر البشر والله أعلم قوله عز وجل **فينسخ الله ما يلقي الشيطان** أي يبطله ويذهبه
ثم يحكم الله آياته أي يثبتها **والله عليم حكيم** قوله عز وجل **ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة** أي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء **للذين في قلوبهم مرض** أي شك ونفاق
والقاسية قلوبهم أي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون **وإن الظالمين لفي شقاق
بعيد** أي في خلاف شديد **وليعلم الذين أوتوا العلم** أي التوحيد والإيمان والتفقه في ينسخ
الله ما يشاء **أنه الحق من ربك** أي الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك **فيؤمنوا
به** أي يعتقدوا أنه من الله عز وجل **فتخبت له قلوبهم** أي تسكن إليه **وإن الله لهاد
الذين آمنوا إلى صراط مستقيم** يعني طريق قويم وهو الإسلام قوله عز وجل **ولا يزال الذين كفروا
في مرية منه** أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو الصراط المستقيم **حتى
تأتيهم الساعة بغتة** أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت **أو يأتيهم عذاب يوم عقيم**
أي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لأنه لم يكن في ذلك
اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتي بخير وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة
الملك يومئذ يعني يوم القيامة **لله** وحده من غير منازع ولا شريك **يحكم** أي يفصل **بينهم**
ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين** قوله تعالى **والذين هاجروا في سبيل الله**

صح أي إلى طريق

أي في دار رضوا

اي فارقوا اوطانهم وعشايرهم في طاعة الله وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله
رزقا حسنا اي لا ينقطع ابدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
وان الله لهو خير الرازقين فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق
للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز
كقولهم رزق السلطان الجند اي اعطاهم ارزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل
وقيل لان الله يعطي من الرزق ما لا يقدر على غيره ليدخلنهم مدخلا يرضونه يعني
الجنة يكرمون به لا ينالهم فيها مكروه وان الله لعليم اي بنياتهم حليم عنهم قوله عز وجل
ذلك اي ذلك الذي قصصناه عليكم ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي جازى الظالم بمثل ظلمه
وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ثم بغي عليه اي ظلم باخراجه من منزله يعني ما اتاه
المشركون من البغي على المسلمين حتى اخرجوهم الى مفارقة اوطانهم نزلت
في قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم
وسألوهم ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فابى المشركون فقاتلوهم فذلك
بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصرهم الله عليهم فذلك قوله لينصرنه الله ان الله
لعفو عن مساوي المؤمنين غفور لذنوبهم قوله تعالى ذلك بان الله اي ذلك النصر بانه
القادر على ما يشاء فمن قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ومعنى
هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة
الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثاني هو ما يزيد
من احدهما ينقص من الاخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه احد الا الله تعالى وان الله
سميع بصير ذلك بان الله هو الحق اي فهو الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته
حق وان ما يدعون يعني المشركون من دونه هو الباطل يعني الاصنام التي ليست
عندها ضر ولا نفع وان الله هو العلي اي العلي على كل شيء الكبير اي العظيم في قدرته
وسلطانه قوله عز وجل الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة اي بالنبات
ان الله لطيف اي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان خبير اي بما في قلوب
العباد اذا تاخر المطر عنهم له ما في السماوات وما في الارض اي عبيدا وملكا وان الله
لهو الغني الحميد اي الغني عن عباده الحميد في افعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
اي الدواب التي تركبونها في البر والفلك اي وسخر لكم السفن تجري في البحر بامره يعني
تسخير الماء والرياح ولولا ذلك لما جرت ويمسك السماء ان تقع اي لكيلا تسقط
على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم اي انعم بهذه النعم الجامعة لمنافع
الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذن رؤوف رحيم بكم وهو الذي
احياكم ثم يميتكم اي انشاكم ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم
اي يوم البعث للثواب والعقاب ان الانسان لكفور اي لجحود لنعم الله سبحانه وتعالى

قوله تعالى **لكل امة جعلنا منسكا** قال ابن عباس شريعة **هم ناسكوه** عاملون بها وعنه انه قال
عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة **فلا ينازعنك في الامر** في امر الذبائح
نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ما لكم تاكلون مما تقتلون بايديكم ولا تاكلون مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم انت
وادع الى ربك اي الى الايمان به والى دينه **انك لعلى هدى مستقيم** اي على دين واضح مستقيم
وان جادلوك اي خاصموك في امر الذبائح وغيره **فقل الله اعلم بما تعملون** اي من التكذيب
الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون اي فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل
حكم يوم القيامة فيتبين لهم من يستحق ثوابا من قبل ومن عقابا ونارا لمن رد وابى قوله عز وجل
الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة **ان الله يعلم ما في السماء والارض ان**
ذلك في كتاب اي في اللوح المحفوظ **ان ذلك** اي علمه بجميعه **على الله يسير ويعبدون من دون الله**
ما لم ينزل به سلطانا اي حجة ظاهرة من دليل سمعي **وما ليس لهم به علم** اي انهم فعلوا ما
فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي **وما للظالمين** اي المشركين **من نصير** اي مانع يمنعهم
من العذاب **واذا تتلى عليهم اياتنا بينات** يعني القران وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام
والفصل بين الحلال والحرام **تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر** اي الانكار والكراهة يتبين ذلك
في وجوههم **يكادون يسطون** اي يقعون ويبسطون اليهم ايديهم بالسوء وقيل
يبطشون **بالذين يتلون عليهم اياتنا** اي بمحمد واصحابه من شدة الغيظ **قل** لهم يا محمد
افانبئكم بشر من ذلكم اي بشر لكم واكره اليكم من هذا القران الذي تسمعون **النار** اي هي
النار **وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير** قوله تعالى **يا ايها الناس ضرب مثل**
فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل في الاكثر
نكتة عجيبة وغريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا قال الكشاف قد سميت الصفة
والقصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال
المسيرة لكونها عندهم مستحسنة مستغربة **فاستمعوا له** اي تدبروه حق تدبره
فان الاستماع بلا تعقل ولا تدبر لا ينفع ومعنى الاية جعل لي مشبه وشبه في الالوهية اي
جعل المشركون الاصنام شركاء يعبدونها ثم بين حالها وصفتها فقال **ان الذين تدعون**
من دون الله يعني الاصنام **لن يخلقوا ذبابا** اي واحدا في صغره وضعفه وقلته لانها
لا تقدر على ذلك **ولو اجتمعوا له** اي لخلقته والمعنى ان هؤلاء الاصنام لو اجتمعت لم تقدر على
خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا **وان يسلبهم الذباب**
شيئا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاءت الذباب
فاستلبته منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين يدي الاصنام فيقع الذباب عليه فياكل منه
ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذي على الصنم
والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب هو الصنم والمطلوب الذباب اي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب

لعجز عنه

العجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم ما قدروا الله حق قدره اي ما
عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث اشركوا
به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ان الله لقوي اي لا يغلب عزيز لا يغلب قوله عز
وجل الله يصطفي اي يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وغيرهم ومن الناس اي يختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم وغيرهم من الانبياء. والرسل نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا
فاخبر الله ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده ولمن يصلح لنبوته ان الله سميع اي لاقوال
بصير اي لافعالهم لا يخفى عليه خافية وهو قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم قال ابن
عباس ما قدموا وما خلفهم اي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم
ما بين ايدي ملائكته ورسله قبل ان يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم والى الله
ترجع الامور قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي صلوا لان الصلاة
لا تكون الا بالركوع والسجود واعبدوا ربكم اي وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة
وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الرحم ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم
الى خدمة المعبود التي هي عبارة عن التعظيم لامر الله والى الاحسان الذي هو عبارة عن
الشفقة على خلق الله تعالى ويدخل فيه البر والصدقة والمعروف وحسن الخلق وحسن
القول وغير ذلك من اعمال البر لعلكم تفلحون اي لكي تفوزوا وتسعدوا
بالجنة فصل في احكام سجود التلاوة لم يختلف العلماء في السجدة الاولى في
السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود
وعباس وابي الدرداء وابي موسى الاشعري انهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن
المبارك والشافعي واحمد واسحاق يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر رضي الله
عنه قال قلت يا رسول الله في الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما اخرجه
الترمذي وابو داود وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرأ سورة الحج فسجد فيها
سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين اخرجه مالك في الموطأ وذهب
قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست الثانية بسجدة وهو قول الحسن
وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وابو حنيفة ومالك يدل عليه قوله
انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف
العلماء في عدد سجود التلاوة فذهب الشافعي واحمد واكثر اهل العلم
الى انها اربعة عشر سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان واسقط سجدة ص وقال
ابو حنيفة في الحج سجدة واثبت سجدة ص وبه قال احمد في احدى الروايتين عنه
وعنه ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه
سجود ويروى ذلك عن علي بن ابي طالب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن

احدى عشرة سجدة ويدل عليه ما روي عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القرآن
احدى عشرة سجدة واخرجه ابو داود وقال اسناده واه ودليل من قال في القرآن خمس عشرة
ما روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سجدة
في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان اخرجه ابو داود وصح من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ واذا السماء انشقت اخرجه
مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة واجب
قوله عز وجل **وجاهدوا في الله حق جهاده** اي جاهدوا في سبيل الله ومعنى حق جهاده
هو استفراغ الطاقة فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد
كما تجاهدون في سبيل الله لا تخافون في الله لومة لائم وقيل اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق
عبادته وقيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم قال اكثر المفسرين حق الجهاد
ان يكون بنية خالصة لله تعالى ولتكون كلمة الله هي العليا يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي موسى
الاشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد الاكبر وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوي
بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس **هو اجتباكم** اي اختاركم
لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته واي رتبة اعلى من هذه واي سعادة فوق هذا
وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وشدة والمعنى ان المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب
الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع
الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا
الى الخلاص من الذنوب ومن العذاب بالمخرج وقيل معناه رفع الضيق في اوقات فروضكم مثل
هلال شهر رمضان والفطر ووقت الضرورات كقصر الصلوات في السفر والتيمم عند عدم
الماء واكل الميتة عند الضرورة والفطر في السفر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع
ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات والصلاة قاعدا او [illegible]
مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله على عباده وقيل اعطى الله هذه
الامة خصلتين لم يعطهن احدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليكم في الدين
من حرج قال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاصار التي كانت عليهم وضعها
الله على هذه الامة **ملة ابيكم ابراهيم** انما دخلت في امة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت
لم يكن ابراهيم ابا للامة كلها وكيف سماه ابا لهم في قوله ملة ابيكم ابراهيم قلت ان كان
الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان لكل المسلمين فمعناه ان وجوب احترامه
وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وازواجه امهاتهم وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد وفي قوله **هو سماكم المسلمين من قبل** قولان احدهما

ان الكناية

ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان الله تعالى سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة من
قبل نزول القرءان القول الثاني ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعني ان ابرهيم سماكم
المسلمين في ايامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا وفي هذا اي وفي القرءان سماكم المسلمين
ليكون الرسول شهيدا عليكم يعني يوم القيامة ان قد بلغكم وتكونوا شهداء على
الناس اي تشهدوا يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم فاقيموا الصلاة
وءاتوا الزكاة واعتصموا بالله اي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين
الله وقال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل مكروه وقيل معناه ادعوا الله ان يثبتكم
على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة هو مولاكم اي وليكم وحافظكم
وناصركم فنعم المولى ونعم النصير اي الناصر لكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المومنين وهي مكية وهي مائة وثمان عشرة اية

والف وثمانماية واربعون كلمة واربعة الاف وثمانماية وحرفان ..

بسم الله الرحمن الرحيم عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي سمع عند
وجهه كدوي النحل فانزل عليه يوما فمكث ساعة حتى سري عنه فقرا قد افلح
المومنون الى عشر ايات من اولها وقال من اقام هذه العشر ايات دخل الجنة ثم
استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا
ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض علينا اخرجه الترمذي قوله عز وجل
قد افلح المومنون قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة
وقيل الفلاح البقاء والنجاة الذين هم في صلاتهم خاشعون قال ابن عباس مخبتون
اذلاء وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل
هو من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين
افعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له الخشوع في جميع
جوارحه فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا
يلتفت الخاطر الى شيء سوى ذلك التعظيم وما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكتا
مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من عن يمينه ولا من عن
يساره وعن عائشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الالتفات في الصلاة قال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس
الاختطاف عن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله
مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت انصرف وفي رواية اعرض عنه
اخرجه ابو داود والنسائي وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الى السماء وعن انس بن

مالك رضي الله عنه فقال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال القوم يرفعون الى السماء في صلاتهم
فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون الى السماء في الصلاة فلما انزل الذين هم في صلاتهم
خاشعون رمقوا بابصارهم الى مواضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشيء من
جسده في الصلاة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال
لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن ابي الدرداء رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه
اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض
عما سوى الصلاة والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر قوله تعالى والذين هم
عن اللغو معرضون قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما
لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب والذين هم للزكاة
فاعلون اي الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التادية بالفعل لانه فعل وقيل الزكاة ههنا هو
العمل الصالح والاول اولى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم على
بمعنى من او ما ملكت ايمانهم يعني الاماء والجواري والاية في الرجال خاصة لان النساء
المراة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج رقيقها فانهم غير ملومين يعني يحفظ فرجه الا من
امراته وامته فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون
الاتيان في غير المأتي وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور ولا يجوز ومن فعله فهو ملوم
فمن ابتغى وراء ذلك اي طلب والتمس سوى الازواج والولائد وهن الجواري المملوكة
فاولئك هم العادون اي الظالمون المجاوزون من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان
الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء سئل عطاء عنه فقال هو مكروه وسمعت
ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فاظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله امة
كانوا يعبثون بمذاكيرهم وقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اي
حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء
بها والامانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل
الجنابة وسائر العبادات التي اوجبها الله على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما
يكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به ايضا والذين
هم على صلواتهم يحافظون اي يداومون ويراعون اوقاتها واتمام ركوعها وسجودها
وسائر شروطها فان قلت كيف كرر الصلاة اولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان
فليس بتكرير وصفهم اولا بالخشوع في الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها قوله تعالى اولئك
يعني اهل هذه الصفة هم الوارثون يعني يرثون منازل اهل النار من الجنة عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل في الجنة

ومنزل في النار

ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله أولئك هم الوارثون
ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤول أمرهم إلى الجنة وينالوها كما يؤول أمر
الميت إلى الوارث الذين يرثون الفردوس وهو أعلى الجنة عن عبادة بن الصامت أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس
أعلاها درجة منها تتفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون عرش الرحمن فإذا
سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذي هم فيها خالدون أي لا يخرجون منها
ولا يموتون قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان يعني ولد آدم لأن الإنسان اسم جنس من سلالة
من طين قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هي المني لأن النطفة تسيل من الظهر من طين
أي من طين آدم لأن السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الإنسان هو آدم وقوله
سلالة أي من كل تربة ثم جعلناه نطفة يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة في قرار
مكين أي حريز وهو الرحم مكين وهو استقرار النطفة فيه إلى وقت الولادة ثم
خلقنا النطفة علقة أي صيرنا النطفة قطعة دم جامد فخلقنا العلقة مضغة
أي خلقنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام
لحما وذلك لأن اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له وقيل بين كل خلقين أربعين يوما
ثم أنشأناه خلقا آخر أي مباينا للخلق الأول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل
جعله حيوانا بعد ما كان جمادا وناطقا وكان أبكما وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه
وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطرته وعن ابن عباس قال ذلك تصريف أحواله
بعد الولادة من الاستهلال إلى الرضاع إلى القعود إلى القيام إلى المشي إلى الفطام إلى أن يأكل
ويشرب إلى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها فتبارك الله أحسن الخالقين أي استحق
التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال أحسن الخالقين أي المصورين والمقدرين فإن قلت
كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله قلت
الخلق له معان منها الإيجاد والإبداع ولا موجود ولا مبتدع إلا الله تعالى ومنها التقدير
كما قال ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري معناه وأنت تقدر الأمور
وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية والله أحسن المقدرين وجواب
آخر وهو أن عيسى عليه السلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله أني أخلق لكم من
الطين كهيئة الطير فقال تعالى الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون أي بعد
ما ذكر من تمام الخلق لميتون أي عند انقضاء آجالكم ثم إنكم يوم القيامة تبعثون أي
إلى الحساب والجزاء قوله عز وجل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق أي سبع سماوات طرائق
لأن بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق الملائكة في الصعود والهبوط وما كنا عن الخلق
غافلين أي بل كنا حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل بنينا فوقهم
سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي وقيل

معناه وما كنا عن الخلق غافلين اي عن اعمالهم واقوالهم وضمائرهم لا يخفى علينا خافية وانزلنا
من السماء ماء بقدر اي بعلمه الله من حاجتهم اليه بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس
والشرب وانواع المنفعة فاسكناه في الارض يعني يبقى في الغدران والمستنقعات ما ينتفع
الناس به في الصيف عند انقطاع المطر وقيل اسكناه في الارض ثم اخرجناه منها ينابيع فالعيون
والابار وكل ماء الارض من السماء وانا على ذهاب به لقادرون وصح من حديث ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات ونيل مصر من انهار
الجنة اخرجه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل من
الجنة خمسة سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله من عين واحدة من
عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها
في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وانزلنا من السماء ماء فاسكناه في الارض
فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم
والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع
كل ذلك الى السماء وذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها
من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا روى هذا الحديث البغوي في تفسيره قال روى هذا
الحديث الامام الحسن بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني
عن مسلم بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما انبت بالماء فقال تعالى
فانشانا لكم به اي بالماء جنات اي بساتين من نخيل واعناب انما افرد هذين بالذكر لكثرة
منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا لكم فيها اي في الجنات
فواكه كثيرة ومنها تاكلون اي شتاء وصيفا وشجرة اي وانشانا لكم شجرة وهو الزيتون تخرج
من طور سيناء اي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل
هو بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء
وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر
وايلة وهو في فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده
وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل تنبت بالدهن اي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت
بثمر الدهن وهو الزيت وصبغ للآكلين الصبغ الادام الذي يكون مع الخبز ويصبغ فيه
به جعل الله في هذه الشجرة المباركة اداما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور
بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان اول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل ان شجرة الزيتون
تبقى في الارض نحو ثلاثة الاف سنة وقوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة اي آية تعتبرون بها
نسقيكم مما في بطونها اي من البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين
فرث ودم باذن الله ليس فيه منهما شيء فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع
ويصير غذاء وقد تقدم بسط الكلام فيما فيه كفاية في سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة ومنها

تاكلون

تاكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية كذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل وعليها اي وعلى
الانعام وهي الابل وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر قوله تعالى ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي ما لكم معبود سواه
افلا تتقون اي افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملا الذين كفروا من قومه ما
هذا الا بشر مثلكم اي ادمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور يريد ان يتفضل عليكم اي انه
يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وانتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة يعني
بابلاغ الوحي ما سمعنا بهذا اي الذي يدعونا اليه نوح في اباءنا الاولين ان هو الا
رجل به جنة اي جنون فتربصوا به حتى حين اي الى الموت فتستريحوا منه قال رب
انصرني بما كذبون اعني بهلاكهم بتكذيبهم اياي فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا اي بمرآى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض عليه ولا يفسد
عليه عمله ووحينا قيل ان جبريل علمه علم السفينة ووصف له كيف اتخاذها فاذا جاء
امرنا اي عذابنا وفار التنور قيل هو التنور الذي يخبز فيه وكان من الحجارة وقيل التنور
هو وجه الارض والمعنى انك اذا رايت الماء يفور من التنور فاسلك فيها اي فادخل في
السفينة من كل زوجين اثنين اي من كل حيوان واهلك اي وسائر من امن بك الا من
سبق عليه القول منهم يعني الكفار وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذي سبق عليه
القول منهم هو ابنه كنعان ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون قوله عز وجل
فاذا استويت اي اعتدلت انت ومن معك على الفلك اي في السفينة فقل الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين اي الكافرين وقل رب انزلني منزلا مباركا قيل موضع النزول
هو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة واراد
بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء وانت خير المنزلين معناه انه يكون
الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وانت خير المنزلين لانه يحفظ من
ينزله ويكفيه في سائر احواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزلة الضيف فانه لا يقدر على ذلك
ان في ذلك اي الذي ذكر من امر نوح والسفينة واهلاك اعداء الله لايات اي دلالات
على قدرتنا وان كنا اي وما كنا لمبتلين لمختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره
ولننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم اي من بعد اهلا كهم
قرنا اخرين يعني عادا فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا قاله اكثر المفسرين
وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول اصح ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون
اي هذه الطريقة التي انتم عليها مخافة العذاب وقال الملا الذين كفروا وكذبوا بلقاء
الاخرة اي بالمصير اليها واترفناهم اي نعمناهم ووسعنا عليهم في الحياة الدنيا ما هذا
الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون اي من مشروبكم ولئن اطعتم بشرا
مثلكم انكم اذا لخاسرون اي لمغبونون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون

اي من قبوركم هيهات هيهات قال ابن عباس بعيد بعيد لما توعدون استبعد القوم بعثهم
بعد الموت اغفلوا التفكر في بدء امرهم وقدرة الله على ايجادهم وارادوا بهذا الاستبعاد انه
لا يكون ابدا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا قيل معناه نحيى ونموت لانهم كانوا منكرين البعث وقيل
تموت الاباء وتحيى الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيى قوم وما نحن بمبعوثين اي بعد الموت قال رب انصرني
بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين اي على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة بالحق يعني
صيحة العذاب قيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك فجعلناهم غثاء غثاء
هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من
نبات الارض فبعدا اي الزمنا بعدا من الرحمة للقوم الظالمين قوله تعالى ثم انشأنا من بعدهم قرونا
اخرين اي اقواما اخرين ما تسبق من امة اجلها اي وقت هلاكها وما يستاخرون اي عن وقت
هلاكهم ثم ارسلنا رسلنا تترا اي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين
زمن طويل كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا اي بالهلاك فاهلكنا
بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اي سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بامرهم وشانهم
فبعدا لقوم لا يومنون قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هارون بآياتنا اي بحجة بينة
كالعصا واليد وغيرهما وسلطان مبين الى فرعون وملايه فاستكبروا اي تعظموا عن الايمان
وكانوا قوما عالين اي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم فقالوا يعني فرعون وقومه انومن لبشرين
مثلنا يعني موسى وهارون وقومهما لنا عابدون اي مطيعون متذللون فكذبوهما فكانوا من
المهلكين اي بالغرق ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة لعلهم يهتدون اي لكي يهتدي
به قومه قوله عز وجل وجعلنا ابن مريم وامه اية اي دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير
ذكر وانطقه في المهد وانزل فان قيل لم قال اية ولم يقل ايتين قلت معناه وجعلنا
شانهما اية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا في هذه الاية
فكانت اية واحدة واويناهما الى ربوة اي الى مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل هي الرملة
وقيل ارض فلسطين وقال ابن عباس يعني بيت المقدس قال كعب بيت المقدس اقرب الارض الى السماء
بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب الايواء انها فرت بابنها عيسى قوله تعالى
ذات قرار اي منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ومعين اي الماء الجاري الذي تراه
العيون قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قيل اراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده
وقيل اراد به عيسى عليه السلام وقيل اراد به جميع الرسل واراد بالطيبات الحلال واعملوا صالحا
اي استقيموا على ما يوجبه الشرع اني بما تعملون عليم فيه تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان
الرسل مع علو شانهم كذلك فان يكون تحذيرا لغيرهم اولى لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه وغذي حرام

اي ليصبحن

فانى يستجاب

وانے يستغنا بذلك اخرجه مسلم قوله عز وجل وان هذه امتكم اي ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها
امة واحدة اي ملة واحدة وهي الاسلام وانا ربكم فاتقون اي فاحذرون وقيل معناه امرتكم بما امرت
به المرسلين قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون فتقطعوا اي فتفرقوا فصاروا فرقا يهودا
ونصارى وغير ذلك من الاديان المختلفة امرهم اي دينهم بينهم زبرا اي فرقا وقطعا مختلفة
وقيل معنى زبرا اي كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فامنوا به وكفروا بما سواه من الكتب
كل حزب بما لديهم فرحون اي مسرورون معجبون بما عندهم من الدين فذرهم الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم في غمرتهم قال ابن عباس في كفرهم وضلالتهم وقيل في عمايتهم وغفلتهم حتى حين
اي يموتوا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اي ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال
والبنين في الدنيا نسارع لهم في الخيرات اي نعجل لهم في الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا
عنهم بل لا يشعرون اي ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اي خائفون والمعنى ان المومنين بما هم عليه من
خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري المومن جمع احسانا وخشية والمنا فق
جمع اساءة وامنا والذين هم بآيات ربهم يومنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يوتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا من الزكوات والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا
من اعمال البر وقلوبهم وجلة اي خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله انهم الى ربهم
راجعون اي انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا
فيها وخافوا ان ترد عليهم عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله والذين
يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكن
هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ان لا يقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات
اخرجه الترمذي وقوله اولئك يسارعون في الخيرات اي يبادرون الى الاعمال الصالحة وهم
لها سابقون اي اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى
الخيرات وقوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع
القيام في الصلاة فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض ولدينا كتاب
هو اللوح المحفوظ ينطق بالحق اي يبين الصدق والمعنى قد اثبتنا عمل كل عامل في اللوح
المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتب اعمال العباد التي يكتبها الحفظة
وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى بل
قلوبهم في غمرة من هذا اي في غفلة وجهالة من هذا القرآن ولهم اعمال اي للكفار من
المعاصي والخطايا المحكوة عليهم من دون ذلك يعني من دون اعمال المومنين التي ذكرها الله
في قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون هم يعني الكفار لها اي تلك الاعمال الخبيثة
عاملون اي لا بد لهم ان يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقوة حتى اذا اخذنا

مترفيهم اي روساءهم والاغنياء بالعذاب قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسنين يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف اذا هم يجأرون اي يضجون
ويستغيثون ويجزعون لا تجأروا اليوم اي لا تضجوا انكم منا لا تنصرون اي لا تمنعون منا
ولا ينفعكم تضرعكم قد كانت ءاياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون
اي ترجعون القهقرى وتتاخرون عن الايمان مستكبرين به قال ابن عباس بالبيت الحرام
كناية عن غير مذكور فتعظمين بالبيت وذلك انهم يقولون نحن اهل حرم الله وجيران
بيته فلا يظهر علينا احد ولا نخاف احدا فيامنون به وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين
به اي بالقرآن فلم يومنوا به والقول الاول اظهر سامرا يعني انهم يسمرون بالليل حول البيت
وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا او نحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى
الله عليه وسلم ونحو قوله تهجرون من الاهجار وهو الافحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح
اي تهجرون وتقولون ما لا تعلمون افلم يدبروا القول يعني يتدبروا ما جاءهم من القرآن
فيبصرون بما فيه من الدلالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ام جاءهم ما لم يات ءاباءهم
الاولين يعني فانكروا يريد انا بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم
ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون قال ابن عباس اليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا
وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على
الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة ام يقولون به جنة اي جنون وليس هو كذلك
بل جاءهم بالحق اي بالصدق والقول الذي لا يخفى صحته وحسنه على عاقل واكثرهم للحق كارهون
قوله تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم قيل هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى
لنفسه شريكا او ولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن اي لو نزل بما يحبون وما يعتقدون
لفسدت السماوات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم اي بشرفهم قال ابن عباس بما فيه شرفهم
ومجدهم وهو القرآن فهم عن ذكرهم اي شرفهم معرضون ام تسالهم على ما جيئتهم به خرجا
اي اجرا وجعلا فخراج ربك خير اي ما يعطيك من رزقه وثوابه خير وهو خير الرازقين قد
تقدم تفسيره وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اي الى دين الاسلام وان الذين لا يومنون
بالاخرة عن الصراط لناكبون اي عن دين الحق لعادلون عنه ومائلون ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر اي قحط وجدوبة للجوا لتمادوا في طغيانهم يعمهون اي لم ينزعوا عنه
ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل عليهم سنين
كسنين يوسف فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد اكلوا الفرث والعظام

وشكى

وشكى اليه الضر فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط فدعى فكشف عنهم فانزل الله هذه
الاية فما استكانوا لربهم اي ما خضعوا وما ذلوا وما يتضرعون اي لم يتضرعون الى ربهم
بل مضوا على تمردهم حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يعني القتل
يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة اذا هم فيه مبلسون اي ايسون من كل خير
قوله عز وجل وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة اي لتسمعوا بها وتبصروا بها وتعقلوا
قليلا ما تشكرون اي لم تشكروا اصول النعم وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم واليه
تحشرون اي تبعثون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي تدبير الليل
والنهار افلا تعقلون اي ما ترون من صنعه فتعتبرون بل قالوا مثل ما قال الاولون
اي كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه بل انكروا البعث مثل ما انكر الاولون مع الادلة
قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اي لمحشورون قالوا ذلك على طريق
الانكار والتعجب لقد وعدنا نحن اي هذا الوعد وءاباؤنا هذا من قبل اي وعد ءاباؤنا
قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة ان هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين
قوله تعالى قل يا محمد لاهل مكة لمن الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون اي خالقها ومالكها
سيقولون لله قل افلا تذكرون اي فتعلمون اي الابتداء لمن قدر على ذلك لانهم يقولون انها مخلوقة
لله فقل لهم اذا اقروا بذلك قل افلا تذكرون اي فتعلمون ان من قدر على خلق الارض
وما فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت قل من رب السماوات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون اي عبادة غيره وقيل معناه افلا تحذرون عقابه
قل من بيده ملكوت كل شيء اي ملك كل شيء وهو يجير اي يؤمن من يشاء ولا يجار
عليه لا يؤمن من اخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من الشر ولا يمتنع منه من اراده
بسوء ان كنتم تعلمون اي فاجيبوا سيقولون لله قل فانى تسحرون اي فانى تخدعون قل
وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا بل اتيناهم بالحق اي
بالصدق وانهم لكاذبون اي فيما يدعون من الشرك والولد ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله اي من شريك اذا لذهب كل اله بما خلق اي لانفرد كل واحد
من الالهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل
اله الاخر على ما خلقه ولعلا بعضهم على بعض اي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل
ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلم انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ويقدر
على كل شيء ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحان الله عما يصفون اي من اثبات الولد
والشريك عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون اي عظم من ان يوصف بما لا يليق
بجلاله قوله عز وجل قل رب اما تريني ما يوعدون اي ما وعدتهم من العذاب رب
اي يا رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي لا تهلكني بهلاكهم وانا على ان نريك
ما نعدهم اي من العذاب لقادرون ادفع بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي

احسن وهو الصفح والاعراض والصبر السيئة اذاهم امر بالصبر على اذى المشركين والكف
عن المقاتلة ثم نسخها بآية السيف نحن اعلم بما يصفون اي يكذبون ويقولون من الشرك ثم
قوله تعالى وقل رب اعوذ بك اي امتنع واعتصم بك من همزات الشياطين قال ابن
عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصي
واعوذ بك رب ان يحضرون اي في شيء من اموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا
حضر يوسوس له عن جبير بن مطعم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو
لا ادري اي صلاة هي فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر
وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث ونذكره
ايضا ها قوله نفثه الشعر لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما
ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه ويحتاج الى ان
ينفخ قوله وهمزه الموتة والموتة الجنون لان الجنون يحبسه الشيطان في الدنيا عند معاينة
الموت وقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون قيل المراد به الله وهو على
عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع
الملائكة الذين يقبضون روحه وعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله اولا ثم رجع الى
مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم وكأنه قال عند المعاينة
بحق الله ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي ضيعت وقيل تركت وقيل تركت
خلفت من التركة والمعنى اقول لا اله الا الله واعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية
والمالية قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهله ولا لعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي
الشهوات ولكن انه يتمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله ورحم الله امرأ اعمل فيما تمناه الكافر
اذا رأى العذاب كلا كلمة ردع وزجر اي لا يرجع اليها يعني سؤال الرجعة انها
كلمة هو قائلها اي لا ينالها ومن ورائهم برزخ اي امامهم ومن بين ايديهم حاجز
الى يوم يبعثون معناه ان بينه وبين الرجعة حجابا ومانعا عن الرجوع وهو الموت
وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو قنط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث
الا الى الاخرة قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم قال ابن عباس انها
النفخة الاولى نفخ في الصور وصعق من في السماوات والارض فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم
القيامة فينصب على رؤوس الاولين والاخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان
فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده حق
او زوجته واخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون

وفي رواية

وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم يومئذ اي لا يتفاخرون
بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا
يتساءلون في الدنيا من انت ومن اي قبيلة انت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان
قيل قد قال هاهنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامة احوالا ومواطن ففي موطن
يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موضع يفيقون
افاقة فيتساءلون قوله عز وجل فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت
موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم اي غبنوا انفسهم في جهنم خالدون
تلفح اي تسفع وقيل تحرق وجوههم النار وهم فيها كالحون اي عابسون وقيل
قد بدت اسنانهم وتقلصت شفاههم كالراس المشوي على النار عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه
النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى
حتى تضرب سرته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح قوله تعالى
الم تكن آياتي تتلى عليكم يعني القرآن تخوفون بها فكنتم
بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اي التي كتبت علينا فلم نهتد
وكنا قوما ضالين اي عن الهدى ربنا اخرجنا منها اي من النار فان عدنا اي لما
نكره فانا ظالمون قال اخسؤوا فيها اي ابعدوا كما يقال للكلب اذا طرد
ولا تكلمون اي في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم فعند ذلك ايس المستغيثون من
الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعده ثم لهم ما هو
الا الزفير والشهيق وعواء الكلاب لا يفقهون ولا يفهمون وروي عن
وعواء كعواء الكلاب
عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا خازن النار اربعين عاما يا مالك ليقض
علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤوا
فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة كان الا الزفير والشهيق ثم ذكره
البغوي بغير سند واخرجه الترمذي بمعناه عن ابي الدرداء قوله فما ينبس القوم
بعد ذلك بكلمة اي ما سكتوا ولا تكلموا بكلمة وقيل اذا قيل لهم اخسؤوا فيها ولا
تكلمون انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم
انه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي تسخرون منهم وتستهزؤون بهم حتى
انسوكم ذكري اي انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وكنتم منهم تضحكون نزلت
في كفار قريش كانوا يستهزؤون بفقراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال تعالى إني جزيتهم اليوم بما صبروا أي على أذاكم
واستهزائكم في الدنيا أنهم هم الفائزون أي إني جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال
يعني الله تعالى للكفار يوم البعث كم لبثتم في الأرض أي في الدنيا وفي القبور عدد سنين
قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم معناه أنهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم
فيه من العذاب فاسأل العادين يعني الملائكة الذين يحفظون أعمار بني آدم ويحصونها
عليهم قال إن لبثتم أي ما لبثتم في الدنيا إلا قليلا لأن الواحد وإن طال لبثه في الدنيا
فإنه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة لو أنكم كنتم تعلمون أي قدر لبثكم
في الدنيا قوله عز وجل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا أي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل
للعبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقتم
للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل وأنكم إلينا لا ترجعون أي في الدار الآخرة
للجزاء روى البغوي بسنده عن حنش أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فقرأ
في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون حتى ختم السورة
فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها
على جبل لزال ثم نزه الله نفسه عما يقولون ويصفونه به المشركون فقال عز وجل
فتعالى الله الملك الحق أي هو الثابت الملك الحق مع لا صفة به المكيفات لا إله إلا
هو رب العرش الكريم أي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وإنما خص العرش بالذكر لأنه
أعظم المخلوقات ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به أي لا حجة ولا بينة
به إذ لا يمكن إقامة برهان ولا دليل على إلاهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك
فإنما حسابه عند ربه أي هو يجازيه بعمله إنه لا يفلح الكافرون أي من سعد
من جحد وكذب به هو يجازيه وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين تفسير
سورة النور وهي مدنية وهي ستون وقيل أربع وستون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سورة
أنزلناها وفرضناها أي أوجبنا فيها من الأحكام وألزمنا العمل بها وقيل معناه
قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة
وأنزلنا فيها آيات بينات أي واضحات لعلكم تذكرون أي تتعظون قوله عز
وجل الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الزنا هو من الكبائر
وموجب للحد وهو إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة
في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط لها الإحصان في الرجم ويجب على العبد والأمة
نصف الحد ولا رجم عليهما لأنه لا ينتصف وقوله فاجلدوا أي فاضربوا يقال جلده
إذا ضرب جلده ولا يبرح بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أي الزاني والزانية مائة
جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبذلك قال الشافعي وقال أبو حنيفة

التغريب

التغريب الى راي الامام وقال مالك يجلد الرجل وينفى وتجلد المراة ولا تنفى وان كان زانى
محصنا فعليه الرجم **ولا تاخذكم بهما رافة** اي رحمة ورقة فتعطلوا الحد ولا تقيموها
وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرافة
ان تخففوا الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري
يجتهد في حد الزنى ويخفف ثم دون ذلك في حد الفرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب
في دين الله اي في حكم الله روي ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها
ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها
وقد ضربت فاوجعت **ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر** معناه ان المومن لا تاخذه
الرافة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه
ان كنتم تومنون فلا تتركوا اقامة الحدود **وليشهد** اي وليحضر **عذابهما** اي حدهما اذا
اقيم عليهما **طايفة** اي نفر **من المومنين** قيل اقله رجل واحد فما فوقه وقيل رجلان وقيل ثلاثة
وقيل اربعة بعدد شهود الزنى قوله عز وجل **الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية**
لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين اختلف العلماء في معنى الاية
وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاير وفي المدينة نساء
بغايا من اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم
فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الاية فحرم على المومنين
ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهري
والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات
يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السايب بن ابي السايب المخزومي وكانت في الجاهلية
تنكح الزانية ويتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فاستاذن
رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله
عز وجل هذه الاية وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن ابي
مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى ياتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي
يقال لها عناق وكانت له صديقة في الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها
فقال مرثد ان الله حرم الزنى قالت فانكحني فقال حتى اسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناق فامسك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فنزلت الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعاني فقراها علي وقال لا تنكحها اخرجه
الترمذي والنسائي وابو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هولاء كان التحريم
خاصا في حق اولئك دون ساير الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى
الاية ان الزاني لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية لا تزني الا بزان او مشرك وهذا

صح
في حد الشرب وقيل يجتهد
في حد الزنا ويخفف دونه صح

قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد ابن هارون ان جامعها وهو
مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول
اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الاية منسوخ
وكان نكاح الزانية حرام بهذه الاية ثم نسخت بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية
في هذا العموم **واحتج** من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة
قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث ابو داود والنساي
عن ابن عباس قال النساي رفعه احد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم وقال هذا
الحديث ليس بثابت وروي ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامراة في زنى وحرص ان يجمع
بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الاية ان الفاسق الخبيث لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء
وانما يرغب في نكاح امراة فاجرة خبيثة مثله او مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في
نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها او مشرك وحرم ذلك على
المومنين اي صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفايف
فهذا محرم على المومنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية قوله تعالى **والذين**
يرمون اي يقذفون بالزنى **المحصنات** يعني المسلمات الحراير العفايف **ثم لم ياتوا باربعة**
شهداء اي يشهدون على زناها **فاجلدوهم ثمانين جلدة** بيان حكم الاية وذلك ان من قذف محصنا
او محصنة بالزنا فقال له يا زاني او يا زانية او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حرا
وان كان عبدا جلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرايط
الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنى حتى لو زنى في عمره مرة واحدة
ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنى
او اقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنى سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه
لاجل الفرية وقد ثبت صدقه **واما** الكنايات مثل ان يقول يا فاسق ويا فاجر
ويا خبيث ويا مواجرا وقال امراتي لا ترد يد لامس ونحو هذا ونحوه فلا يكون قذفا الا ان يريد به
ذلك **واما** التعريض مثل ان يقول اما انا فما زنيت او ليست امي زانية فليس بقذف
عند الشافعي وابي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد هو قذف في حال الغضب دون
حال الرضا قوله تعالى **ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولايك هم الفاسقون** فيه دليل على ان
القذف من الكباير لان اسم الفسق لا يقع الا على صاحب كبيرة **الا الذين تابوا من بعد ذلك**
واصلحوا فان الله غفور رحيم **اختلف** العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة
وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب
وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد
عليه او قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك **وقالوا** هذا الاستثناء يرجع

الى رد الشهادة

الرد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك
عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب
وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي
وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثناء
يرجع الى قوله واولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي قالوا بنفس
القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد اشر منه حين يحد لان الحدود
كفارات فكيف تردها في احسن حاليه وذهب الشعبي الى ان حد القذف يسقط
بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة
الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان
قلت فاذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا قلت معنى ابدا
ما دام مصرا على القذف لان ابد كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل
ابدا يراد بذلك ما دام على كفره فاذا اسلم قبلت شهادته قوله عز وجل والذين يرمون
اي يقذفون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء اي يشهدون على صحة ما قالوا الا انفسهم اي غير
انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين سبب نزول هذه
الاية ما روي عن سهل بن سعد الساعدي ان عويمر العجلاني جاء الى عاصم بن عدي فقال يا عاصم
ارايت لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل سل لي عن ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما رجع عاصم الى اهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عاصم لعويمر لم تاتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسالة التي سالته
عنها فقال عويمر والله لا انتهي حتى اسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وسط الناس فقال يا رسول الله ارايت رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه
ام كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فات
بها قال سهل فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما
قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يامره رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه
في الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا فان جاءت به
اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا احسب عويمرا الا صدق عليها
وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على
النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه
قوله اسحم اي اسود والدعج شدة سواد العين مع سعتها وقوله خدلج

نخ
اسحيم

الساقين اي مقبلي الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحا. دويبة كالعضاة تلصق بالارض واراد بها في الحديث المبالغة في قصره خ عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احدنا على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال بن امية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجا. فقام هلال بن امية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها فقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكات ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحما فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شان وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى اتي باربعة شهدا فوالله ما كنت لاتي باربعة شهدا حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له واجترى رجل منا ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله بابي انت وامي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبرتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جا. ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له فراى رجلا مع امراته يزني بها فامسك بها حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جئت الى اهلي عشاء فوجدت مع امراتي رجلا رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتى به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال يا رسول الله اني لارى الكراهة في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد ايجلد هلال وتبطل شهادته فانهم لكذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون ازواجهم الخ الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله تعالى

قد جعل لك

قد جعل لك فرجا فقال قد كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وكذبته فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله
لقد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال
اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة اتق الله
فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان
هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله
عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد والخامسة ان لعنة
الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله
انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتق الله تعالى ان الخامسة موجبة
وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله
لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو
للذي قيل فيه فجاءت به غلاما كانه جمل اورق على الشبه المكروه وكان اميرا بمصر لا يدرى
من ابوه وروى ابن عباس ان عويمر العجلاني عن زوجته خولة امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله
ان خولة زانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها
واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين
ثم قال في الرابعة اشهد بالله اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين
ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم
امره بالقعود فقال لخولة قومي فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمرا
لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد بالله انه ما راى شريكا على بطني وانه
لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين
ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين
ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين
ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لولا هذه الايمان لكان لي في امرها راي ثم
قال تحينوا الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك
بن سحماء وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال
ابن عباس فجاءت باشبه خلق بشريك فيه بيان حكم الاية وذلك ان الرجل اذا
قذف امراته فموجبه موجب قذف الاجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة

او التعزير اذا كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا او اجنبية يلزم
عليه الحد الا ان ياتي باربعة يشهدون بالزنى او يقر المقذوف بالزنا فيسقط حكم الحد
وفي الزوجة اذا وجب الحد فهنا يزداد عن سقط عنه الحد باللعان في قذف الزوجة
بمنزلة البينة لان الرجل اذا راى مع امراته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة و لا
يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا اقام الزوج بينة على زناها او اعترفت
هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن
لنفيه واذا اراد الامام ان يلاعن بينهما بدا بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان
فيقول قل اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا وان كان قد رماها
برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد او حمل يريد نفيه
فيقول وان هذا او هذا الحمل من الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت
من الكاذبين فيما رميتها به بالزنا واذا اتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الامام
لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت
عليه على التابيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المراة
حد الزنا فجملته خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج قوله عز وجل ويدرؤا عنها
العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وحكم الاية ان الزوج اذا لاعن
وجب على المراة حد الزنا فان ارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم
وتشهد بعد تلقين الحاكم اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول
في الخامسة علي غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها
الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج بينة لا يسقط الحد
باللعان وعند اصحاب الراي لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان
فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المراة عن اللعان حبست
حتى تلاعن وعند الاخرين اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة
على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا قعد عن اقامة البينة وعند
ابي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان
الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال
الشافعي وتلك الفرقة متابدة حتى لو كذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه
لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لا انه لا يرتفع تابيد التحريم وعند ابي حنيفة
فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا اكذب نفسه جاز له ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات
اللعان لا يتعلق به الحكم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر كلمات اللعان قام مقام الكل

اي برجمها

وكل منه

وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا وهو قول سعيد بن المسيب
وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي واكثر اهل العلم
وقال الزهري والاوزاعي واصحاب الراي لا يجري اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدود ين
فان كان احد الزوجين رقيقا او ذميا او محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر
القرآن حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون ازواجهم
ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم او خليفته
ويغلظ اللعان بأربعة اشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر
جماعة من الناس فاما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشيء منها واما المكان
فهو ان يلاعن في اشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة
فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر واما الزمان
فهو ان يكون بعد العصر واما الجمع فاقله اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو حكم
من الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالمكان والزمان قولان قوله تعالى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته اي لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد
باللعان وان الله تواب اي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم اي فيما
فرض من الحدود قوله عز وجل ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم الآيات سبب
نزولها ما روي عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة
ابن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها
وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل
منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين
ازواجه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة
فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعدما انزل الحجاب فكنت احمل في هودجي وانزل فيه فسرنا حتى فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن
ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما
قضيت شأني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار
قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت واقبل الرهط الذين
كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب
عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم
يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج

حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت
عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلي
الذي كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينما انا جالسة في
منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس
من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فاتاني فعرفني
حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت
وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى
اناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش
بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شأني
وكان الذي تولى كبره عبد الله بن ابي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا
والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي
اني لا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل
فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت
انا وام مسطح قبل المناصع وهي متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف
قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التبرز قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها
عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت
صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من
شأننا نمشي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بيس ما قلت
اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه الم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني
بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعنا الى بيتي دخل علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال كيف تيكم فقلت ائذن لي ان آتي ابوي قالت وانا اريد ان استيقن
الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت لامي يا امتاه ما
يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة
عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس
بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي
يستشيرهما في فراق اهله قالت فاما اسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة اهله وبالذي
يعلم لهم في نفسه من الود فقال اسامة هم اهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما
علي بن ابي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية
تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك
فقالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق ان رأيت منها امرا اغمصه عليها اكثر من انها

جارية

جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على
المنبر من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي وفي رواية في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا
ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام سعد بن
معاذ اخو بني عبد الاشهل فقال يا رسول الله انا والله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا
عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد
الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال
لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم
سعد يعني بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله والله لنقتلنه فانك منافق تجادل
عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله — نخ يتثاور
عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت
قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقا لي دمع
ولا اكتحل بنوم فاصبح عندي ابواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان البكاء فالق
كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي اذ استاذنت امراة من الانصار فاذنت
لها فجلست تبكي فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس ولم يجلس
عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشيء قالت فتشهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه بلغني عنك كذا
وكذا فان كنت بريئة فسيبريك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي
اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة وقلت لابي اجب عني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
وانا جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا من القران فقلت والله اني لقد علمت انكم سمعتم
ما تحدث به الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم
اني منه بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني
فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابي يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ما
تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم اني بريئة وان الله
مبريني ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي
كان احقر من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في النوم رؤيا يبريني الله بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل
الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل
الجمان من العرق في يوم شات من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال يا عايشة احمدي الله وفي رواية
قال ابشري يا عايشة اما الله فقد براك فقالت لي امي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت لا والله ما اقوم ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي فانزل الله عز وجل ان الذين جاءوا
بالافك عصبة منكم العشر الايات فلما انزل الله هذا في براءتي بالافك قال ابو بكر الصديق
وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعدما
قال لعايشة فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر الصديق
بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا انزعها
منه ابدا قالت عايشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب بنت جحش عن امري
فقال يا زينب ما علمت ما رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها
الا خيرا قالت عايشة وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله
بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من اصحاب الافك قال ابن شهاب
فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط زاد في رواية قالت عايشة والله ان الرجل
الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف انثى قالت ثم قتل
بعد في سبيل الله هذا حديث متفق على صحته اخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري
في رواية عن عروة عن عايشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي وقال عروة اخبرت
انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه قال عروة لم يسم
من اهل الافك ايضا الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس اخرين
لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة وكانت عايشة تكره ان يسب عندها
حسان وتقول انه الذي قال فان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء • اخرجاه من حديث
مسروق قال دخلت على عايشة وعندها حسان ينشدها شعرا يشبب من ابيات فقال
حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل • فقالت له عايشة لكنك لست
كذلك قال مسروق فقلت لها اتاذنين ان يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم
له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح او يهاجي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم شرح غريب الفاظ هذا الحديث قوله
وكان حديثي كناية اي قطعة من حديثها وقوله وكان اوعى اي احفظ قوله اذن
اي اعلم بالرحيل قوله عقد اي من جزع ظفار وهو نوع من الخرز وهو الجزع
اليماني المعروف قوله لم يهبلهن اي يكثر لحمهن من السمن فيثقلن قوله انما ياكلن العلقة
من الطعام هو بضم العين اي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق قوله ليس بها
منهم داع ولا مجيب اي ليس بها احد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قوله فتيممت اي
قصدت قوله معرسين من وراء الجيش ما دبج التعريس نزول المسافرين اخر الليل للراحة
والادلاج بالتشديد سير اخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله قوله باسترجاعه

موفول القابل

هو قول القايل انا لله وانا اليه راجعون قولها خمرت اي غطيت وجهي بجلبابي اي ازاري قولها
موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذلك نحر الظهيرة اي اوله قولها والناس يفيضون
اي يخوضون ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال ارابني الشي وريبني اي شككت فيه قولها
ولا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف اي الرفق في الافعال وفي الاقوال لين الكلام قولها
حتى نقهت اي افقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من بول
او غايط واصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف او خز قولها تعس مسطح اي
عثر وفي الدعاء على الانسان اي سقط بوجهه وقولها يا هنتاه اي يا هذه كانها تنسبها
الى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقى اي لا ينقطع وقول بريرة ان رايت يعني النبي اي ما رايته
منها امرا اغمصه بالصاد المهملة اي اعيبه والداجن الشاة التي تالف البيت وتقيم به
قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني اي من يقوم بعذري ان انا كافاته على سوء صنيعه اي
عاتبته او عاقبته فلا يلوموني على ذلك قولها وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه
اي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية اي حملته الغضب والانفة والتعصب على الجهل
للقرابة قولها فتشاور الحيان اي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم

خ فتثاور

اي يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت قيل هو من اللمم وهو صغاير
الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي اي انقطع جريانه قولها ما
رام اي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسري عنه اي
كشف عنه وقول زينب احمي سمعي وبصري اي امنعهما من ان اخبر بما لم اسمع ولم ابصر قولها وهي
التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله اي منعها من الوقوع في الشر
بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف اي ستر انثى وقوله ويستوشيه اي يستخرجه بالبحث
عنه والاستقصا فيه وقول حسان في عايشة حصان بفتح الحاء يقال امراة حصان اي متعففة
حصينة رزان اي ثابتة ما تزن اي ترمى ولا تتهم بريبة اي بامر يريب الناس وتصبح
غرثى اي جايعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب
احدا ممن هو غافل عنه مثل هذا الفعل وقول عايشة في حسان انه كان ينافح اي يناضل
ويخاصم عن الله ورسوله واما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاءو بالافك عصبة
اي بالكذب والافك اسوا الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عايشة كانت تستحق
الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها
بالسوء فقد قلب الحق باطلا وجاء بالافك عصبة اي جماعة منكم اي عبد الله بن ابي
بن سلول ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد
الله فان قلت عبد الله بن ابي بن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم قلت
كان ينسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة كانوا من المومنين المخلصين لا تحسبوه شرا لكم يعني الافك

الخطاب لعايشة وصفوان وقيل لعايشة ولابويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان بل هو
خير لكم يعني ان الله يوجر على ذلك ويظهر براءتكم ويشهد بكذب العصبة واوجب لكم الثواب وهذا
غاية الشرف والفضل لكم لكل امرئ منهم اي من العصبة الكاذبة ما اكتسب من الاثم اي جزاء ما
اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم اي تحمل معظمه وبدا بالخوض فيه
وقام باشاعته وهو عبد الله بن ابي بن سلول منهم من العصبة له عذاب عظيم يعني عذاب
النار في الآخرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعا
ثمانين ثمانين قوله عز وجل لولا اذ سمعتموه اي الحديث الكذب وقول اهل الافك ظن المومنون
والمومنات بانفسهم اي باخوانهم واهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب على المومنين اذ
سمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور
فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمومنين وقالوا هذا افك مبين اي كذب بين
لا حقيقة له لولا اي هلا جاءو عليه اي على ما زعموا باربعة شهداء اي يشهدون بذلك
فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله اي في حكم الله هم الكاذبون وهذا من باب الزواجر
فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم ياتوا بالشهداء ومن كذب فهو
عند الله كاذب سواء اتى بالشهداء او لم يات قلت قيل هذا في حق الذين رموا عايشة
خاصة ومعناه فاولئك عند الله هم في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف
اذا لم يات بالشهود يجب زجره قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم
فيما افضتم فيه عذاب عظيم معناه لولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم
التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب
على ما خضتم فيه من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تاخير العذاب وقبول
التوبة ممن تاب اذ تلقونه بالسنتكم اي يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم
يلقى الرجل منهم فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم اي من غير ان تعلموا انه حق وتحسبونه هينا اي وتظنون
انه سهل لا اثم فيه وهو عند الله عظيم اي في الوزر ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان
نتكلم بهذا سبحانك قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه هذا بهتان عظيم اي كذب عظيم
يبهت ويتحير من عظمته روي ان ام ايوب قالت لابي ايوب الانصاري اما بلغك ما يقول
الناس في عايشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله يعظكم
الله قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين
ويبين الله لكم الآيات اي في الامر والنهي والله عليم اي بامر عايشة وصفوان حكيم
اي حكيم ببراءتهما قوله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي يظهر الزنى
ويذيع في الذين آمنوا قيل الآية مخصوصة بمن قذف عايشة وصفوان وقيل الآية على العموم
وكل من احب ان تشيع الفاحشة او تظهر على احد فيعود اخذا في حكم هذه الآية والمراد

بالذين امنوا

في الذين امنوا جميع المومنين لهم عذاب اليم في الدنيا يعني الحد والغم على فعله والآخرة اي وفي الاخرة لهم النار والله يعلم اي كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وان الله رءوف رحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي مساره ومسالكه ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر اي بالقبائح من الاقوال والافعال وكلما يكرهه الله عز وجل والاية عامة في حق كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اي ما طهر ولا صلح والاية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم احد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة احد منكم ابدا ولكن الله يزكي اي يطهر من يشاء من الذنوب بالرحمة والمغفرة والله سميع اي لاقوالكم عليم اي بما في قلوبهم قوله عز وجل ولا ياتل اي ولا يحلف من الالية وهي القسم اولوا الفضل منكم والسعة يعني الغنى يعني ابا بكر الصديق ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة ابي بكر الصديق حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه الاية وليعفوا وليصفحوا اي عن خوض مسطح في امر عائشة الا تحبون يخاطب ابا بكر ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فلما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال بلى انا احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا وفي الاية دليل على فضل ابي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الاية ذكره الله تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله اولوا الفضل منكم وقوله الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شانه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفقه وهذا من اشق الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق ابي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان ابا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الاية دليل على ان من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ويكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات خير وليكفر عن يمينه قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات اي العفائف الغافلات اي عن الفواحش وعن الفاحشة ان لا يقع في قلوبهن فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها المومنات ثم وصفها بالمومنات لعنوا اي عذبوا في الدنيا بالحد والاخرة اي وفي الاخرة بالنار ولهم

عذاب عظيم وهذا في حق عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وروي عن خصيف قال قلت لسعيد
بن جبير من قذف مومنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذلك لعايشة خاصة وازواج النبي
صلى الله عليه وسلم خاصة دون ساير المومنات ليس فيها توبة ومن قذف امراة مومنة فقد
جعل الله له توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات الى قوله تعالى تابوا فجعل لهولاء توبة ولم
يجعل لاوليك توبة وقيل بل لهم توبة ايضا للاية **يوم تشهد عليهم ألسنتهم** هذا قبل
ان يختم على افواههم **وأيديهم وأرجلهم** يروى انه يختم على افواهه فتتكلم الايدي والارجل
بما عملت في الدنيا وهو قوله **بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق** اي جزاؤهم
الواجب وقيل حسابهم العدل **ويعلمون ان الله هو الحق المبين** اي الموجود الظاهر الذي
بقدرته وجود كل شيء. وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس
وذلك ان عبد الله بن ابي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين
قوله عز وجل **الخبيثات للخبيثين** قال اكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول
للخبيثين من الناس ومثله **والخبيثون** اي من الناس **للخبيثات** من القول **والطيبات**
اي من القول ومعنى الاية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول
لا يليق الا بالقول بالطيب من الناس وعايشة لا يليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف
اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث
من الرجال او النساء وهذا مدح للذين برؤوا وتعاطوا الطاهر والمدح لها وقيل معنى الاية
الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء امثال
عبد الله بن ابي المنافقين والشاكين في الدين والطيبات من النساء **للطيبين والطيبون**
للطيبات يريد عايشة طيبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم **اولئك مبرءون** يعني عايشة
وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع منزهون **مما يقولون** يعني اصحاب الافك **لهم مغفرة** يعني
عفو لذنوبهم **ورزق كريم** يعني الجنة وروي ان عايشة كانت تفتخر باشياء
اعطيتها لم تعطها امراة غيرها منها ان جبريل عليه السلام اتى بصورتها في سرقة
حرير وقال هذه زوجتك وروي انه اتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن
في بيتها وكان ينزل الوحي اليه وهو معها في اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة
الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا
كريما وكان مسروق اذا حدث عن عايشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم المبراة من السماء قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا**
بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا اي تستاذنوا وكان ابن عباس يقرا حتى تستاذنوا تستانسوا
خطأ من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستيناس في
اللغة الاستيذان وقيل الاستيناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان

فيوذن له

بيوتهم فنادى أدخل وقيل هو من الأنس أي أبصروا وقيل هو أن يتكلم بتسبيحة أو تنحنح
حتى يعرف أهل البيت **وتسلموا على أهلها** بيان حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا
بعد الاستئذان والسلام واختلفوا في أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول
أدخل سلام عليكم كما في الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الأكثرون يقدم السلام
فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في
مصحف ابن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم
أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه
أبو داود والترمذي وعن ربعي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال أألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخادمه اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود **و**عن أبي سعيد وأبي بن كعب وأبي موسى
قال أبو سعيد كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال
استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذن
أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع فقال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من
النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر
القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الأول
إعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان في الرجوع عن عبد الله بن بسر قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن
أو الأيسر فيقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ
ستور أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعي
أحدكم فجاء مع الرسول فإن ذلك له إذن أخرجه أبو داود وقيل إن وقع بصره على
إنسان قدم السلام وإلا قدم الاستئذان ثم يسلم وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة
يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روي عن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال أستأذن على أمي فقال نعم فقال الرجل إني معها في
البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل إني خادمها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ مرسلا
وقوله تعالى **ذلكم خير لكم** أي فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من الهجوم بغير إذن
لعلكم تذكرون أي هذه الآداب فتعملوا بها قوله عز وجل **فإن لم تجدوا فيها**
أي في البيوت **أحدا** أي يأذن لكم في دخولها **فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم** أي
في الدخول **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا** يعني إذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول
الداخل عليهم ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما **هو أزكى لكم** أي أطيب

الرجوع هو اطهر واحع لكم وان للناس احوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك
الاحوال واذا احضى الى الباب فلم يستاذن وقعد على الباب فنتظر جاز كان ابن عباس ياتي
دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستاذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا اخرج
وراه قال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان نطلب
العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا وعن سهل بن سعد قال
اطلع رجل من حجر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى
يرجل به وفي رواية يحك به راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تنظر
لطعنت به في عينيك انما جعل الاذن من اجل البصر ق وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤوا عينه وفي رواية
للنساءي قال لو ان امرءا اطلع عليك بغير اذن فحذفته فففات عينه ما كان عليك حرج
وقال مرة اخرى جناح والله بما تعملون عليم اي من الدخول بلا اذن ولما نزلت اية الاستيذان
قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل
الله ليس عليكم جناح اي اثم ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استيذان فيها متاع
لكم اي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية لسابلة ليا ووا اليها البيتة
ويو وا امتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استيذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر
والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الاسواق يدخلها للبيع
والشراء وهي منفعتها فليس فيها استيذان وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها
لان الاستيذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استيذان
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم اي عما لا يحل النظر
اليه قيل معناه يغضوا ابصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل النظر
وانما امروا ان يغضوا عن ما لا يحل النظر اليه م عن جرير رضي الله عنه قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فقال اصرف بصرك عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلي يا علي لا تتبع النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية اخرجه ابو داود والترمذي
م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل
ولا المراة الى المراة الى عورة المراة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد قوله تعالى ويحفظوا
فروجهم اي عما لا يحل قال ابو العالية كل ما في القران من حفظ الفرج فهو عن الزنى
الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فان قلت لم
ادخل من في غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان امر النظر
اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن واقدامهن وكذلك
الجواري المستعرضات في البيع والشراء والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة
الى ذلك واما امر الفرج فمضيق وكفاك ان ابيح النظر الى ما استثني منه وحظر الجماع

الى ما استثني

لما استثنى منه فان قلت لم يجب غض البصر على حفظ الفرج قلت
لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد ولا يكاد احد يقدر على الاحتراس
منه ذلك ازكى لهم اي غض البصر وحفظ الفرج ان الله خبير بما يصنعون اي انه خبير
باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله
عز وجل وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن اي عما لا يحل لهن روي
عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث
اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افعمياوان انتما الستما تبصرانه اخرجه الترمذي وابو داود وقوله تعالى
ولا يبدين اي لا يظهرن زينتهن اي لغير محرم واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال
والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الاذن والقلايد في العنق فلا يجوز للمراة
اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة موضعها من البدن الا ما ظهر منها
اي من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود
هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة
يجوز للرجل الاجنبي النظر اليها للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوها من الضرورات
اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا القدر
للمراة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتومر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها
عورة وليضربن بخمرهن اي ليلقين بمقانعهن على جيوبهن اي موضع الجيب وهو النحر
والصدر اي ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن واقراطهن وصدورهن خ عن (خ واقرطتهن)
عايشة رضي الله عنها قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن
بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف او خز
او كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع ولا يبدين زينتهن يعني الخفية التي لم يبح
لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين الا لبعولتهن
قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او آبائهن او آباء بعولتهن
او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
فيجوز لهولاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة
ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها او نسائهن
اي المومنات من اهل دينهن اراد به ان يجوز للمراة ان تنظر الى بدن المراة الا ما بين
السرة والركبة ولا يجوز للمراة المومنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية او الكافرة
لان الله تعالى قال او نسائهن والذمية والكافرة ليست من نسائنا ولانها اجنبية
في الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة

ابن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمين وقيل يجوز كما يجوز ان تكشف للمراة المسلمة لانها من جملة النساء. او ما ملكت ايمانهن قيل هو عبد المراة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران ويروى ذلك عن عائشة وام سلمة وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الاية الاماء دون العبيد او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرا غير بالنصب على الحال وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن لمن كان منهم غير الاربة وقرا غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير اولي الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء. وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث م عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امراة قال اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ارى هذا يعرف ما هاهنا لا يدخلن عليكن فحجبوه زاد ابو داود في رواية واخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة يستطعم قوله اقبلت باربع اي اربع عكن في بطنها فهي تقبل اذا اقبلت بها واراد بالثمان اطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء اي لم يكشفوا على عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا امر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبي ما لم يحتلم ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قيل كانت المراة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها او يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال فيصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وفي علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله نهي عنه ان يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره وتوبوا الى الله جميعا اي من التقصير الواقع في امره ونهيه وراجعوا طاعته فيما امركم ونهاكم من الاداب المذكورة في هذه السورة وقيل في اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المومنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى ايه المومنون لعلكم تفلحون م عن الاغر

مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي
تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم وعن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في
المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم مائة مرة اخرجه عبد الرحمن
ابن حميد الكشي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة
عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل **وانكحوا
الايامى منكم** جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم **والصالحين
من عبادكم** اي من عبيدكم **وامائكم** بيان حكم الاية الامر المذكور في الاية امر ندب واستحباب
لا ايجاب عند السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم
يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج
ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع ايضا والوجاء
بكسر الواو وهو رض الانثيين نوع من الخصاء شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء
الذي يقطع النسل عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود
الولود فاني مكاثر بكم الامم اخرجه ابو داود والنسائي م عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة اما من لا تتوق نفسه الى النكاح
وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة افضل له من النكاح عند الشافعي وعند اصحاب الراي النكاح
افضل قال الشافعي فذكر الله عبدا اكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذي لا ياتي النساء
وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفي الاية دليل على ان تزويج الايامى
الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول
اكثر اهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روي ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود
وعبد الله بن عباس وابي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن
وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد
الله بن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وجوز اصحاب الراي للمراة تزويج نفسها
وان كانت نفيسة وقال مالك ان كانت المراة دنية يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة
فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي اخرجه ابو داود والترمذي ولهما عن عائشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل
ثلاثا فان اصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من
لا ولي له وقوله تعالى **ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** قيل الغنى هاهنا القناعة
وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي

الغناء بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال ان يبتغي هنا
يعني اكد بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى يغنهم الله من فضله
وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته والله واسع اي معا يصلح خلقه من الرزق قوله تعالى
وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون
به من الصداق والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله اي يوسع عليهم من رزقه والذين
يبتغون الكتاب اي يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم سبب نزول هذه
الاية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه فانزل الله هذه
الاية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم
حنين في الحرب فصل في حكم الاية وكيفية المكاتبة وذلك ان يقول الرجل لمملوكه
كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما يؤديه ذلك في نجمين او في نجوم معلومة في كل
نجم كذا فاذا اديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا ادى العبد ذلك المال عتق ويصير
العبد احق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل في يده من المال فهو له
ويتبعه اولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه ان يفسخ
كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما دام عليه درهم اخرجه ابو
داود فصل ذهب بعض اهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر ايجاب يجب على السيد ان
يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سال العبد ذلك على قيمته او على اكثر من قيمته وان
سال اقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روي ان ابن سيرين سال
انس بن مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فانطلق ابن سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر
فقال له عمر كاتبه فابى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فكاتبه وذهب
اكثر اهل العلم الى انه امر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند الشافعي
لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك المال عليه حتى
يؤدي به على مهل فيحصل المقصود وجوز ابو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة
واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على
الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روي ان عبدا لسلمان الفارسي قال له
كاتبني قال الك مال قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو اراد به
المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وامانة وقال الشافعي اظهر معاني الخير في
العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا يمتنع من كتابته اذا كان هكذا وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد
الاداء والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله اخرجه الترمذي والنسائي
وقيل معنى الخير ان يكون العبد عاقلا بالغا فاما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان

اي انه ذو الافضال والجود عليم

ولا ينتفع منهما الا بعتق ويجوز ابو حنيفة كتابة الصبي المراهق وقوله تعالى وءاتوهم من
مال الله الذي ءاتاكم قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من
مال الكتابة شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا
في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس
يحط الثلث وقال الاخرون ليس له حد بل عليه ان يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي
قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من اخر كتابته
خمسة الاف درهم اخرجه مالك في الموطا وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه
لم يضع عنه شيئا من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع عليه صدقته ويضع عنه من كتابته
ما احب وقال بعضهم هو امر استحباب والوجوب اظهر وقيل اراد بقوله وءاتوهم من مال
الله اي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب اراد
به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم واختلف
العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا
وترتفع الكتابة سواء ان ترك مالا او لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال
عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة واليه ذهب الشافعي واحمد وقال قوم ان ترك
وفاء ما بقي عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطاء
وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي ولو كاتب عبده كتابة
فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد ويتبعه اولاده واكسابه
كما في الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن
اداء النجوم وهو قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم على البغاء اي الزنا ان
اردن تحصنا الاية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن ابي بن سلول يقول لجارية له اذهبي
فابغينا شيئا فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم قال
المفسرون ان اردن تحصنا وفي رواية اخرى ان جارية لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة
واخرى يقال لها اميمة كان يريدهما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم قال المفسرون نزلت
في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق كانت له جاريتان مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على
الزنا بالضريبة ياخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يواجرون اماءهم
فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين
فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد ان لنا ان ندعه فانزل الله هذه
الاية وروي ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا
فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتتا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه الاية (ق) اختلف العلماء في معنى قوله

ان اردن تحصنا على اقوال احدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الاية
فخرج النهي على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثاني انما شرط ارادة التحصين
لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المراة التحصن فانها تبغي بالطبع
القول الثالث بمعنى اذ اردن وقيل معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على
الزنى ان لم يردن تحصنا لقوله وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين
القول الرابع ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن
تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء . لتبتغوا اي لتطلبوا عرض الحياة
الدنيا اي من اموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن ومن يكرههن يعني
على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعني للمكرهات
والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال لهن والله لهن والله
قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم ءايات مبينات اي من الحلال والحرام
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي شبها من حالكم بحالهم اي بيانا للمكذبين وصفة التي يتبين
لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين وموعظة للمتقين اي المومنين
الذين يتقون الشرك والكبائر قوله عز وجل الله نور السماوات
والارض قال ابن عباس معناه الله هادي السماوات والارض فهم بنوره الى الحق
يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات
والارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه
مزين السماوات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين
الارض بالانبياء والعلماء والمومنين ويقال زين الارض بالنبات
والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يسمى بهذا اللفظ
على طريق المدح كما قال الشاعر
• اذا سار عبد الله من مرو ليلة • فقد سار عنها نورها وجمالها •
مثل نوره اي مثل نور الله عز وجل في قلب المومن وهو النور
الذي يهتدي به وقال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المومن وقيل الكناية
عائدة على المومن اي مثل نور قلب المومن وقيل اراد بالنور القران وقيل
هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة
سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه
تشريفا لها وتفضيلا كمشكاة هي الكوة التي لا منفذ
لها وقيل هي بلغة الحبشة فيها مصباح اي سراج واصله
من الضوء المصباح في زجاجة يعني القنديل وانما ذكر
الزجاجة لان النور وضوء النار فيها ابين من كل شيء . وضوءه

بزج

يريد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى الزجاجة كأنها كوكب دري
من درء الكوكب إذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في ذلك الحال
والوقت وقيل هو من درء النجم إذا طلع وارتفع وقيل دري أي
شديد الإنارة نسب إلى الدر في صفائه وحسنه وإن كان
الكوكب أضوأ من الدر لكنه يفضل الكواكب بصفائه كما يفضل
الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدري أحد الكواكب الخمسة
السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل
شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لأنهما
يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب يوقد أي اتقد المصباح
من شجرة مباركة زيتونة أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة
وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به ويدهن به وهو
إدام وهو أصفى الأدهان وأضوؤها وقيل إنها أول
شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام
لأنها في الأرض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن
أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الأنصاري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة
مباركة أخرجه الترمذي وقوله لا شرقية ولا غربية
أي ليست شيء فيستر عنها لا يصيبها الشمس بالغداة إذا
طلعت بل ضاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس
عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ
حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وهذا معنى قول ابن عباس
وقيل معناه أنها ليست في مضباة لا تصيبها الشمس
ولا في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا يضرها شمس ولا ظل وقيل معناه
أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد
وقيل معناه هي شامية لأن الشام وسط الأرض لا شرقي
ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا
لأنها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية
وإنما هو مثل ضربه الله لنوره يكاد زيتها يضيء أي من
صفائه ولو لم تمسسه نار أي من قبل أن تمسه النار
نور على نور أي نور المصباح على نور الزجاجة فصل
في بيان التمثيل المذكور في الآية اختلف

اهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية
الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصارت لك
بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة
مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء والرقة والبياض فاذا كان كذلك
كان كاملا في صفائه صلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل
وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فقال
كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره
والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة
هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وامره يتبين
للناس ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم
تمسسه نار وروي عن ابن عمر في هذه الاية قال المشكاة جوف
محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله
الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة
مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم
ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة
ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا
والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان اكثر الانبياء
من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى المغرب
والنصارى تصلي الى المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم
تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي
نور محمد على نور ابراهيم وقيل هذا التمثيل لنور قلب
المومن قال ابي بن كعب هذا مثل المومن فالمشكاة نفسه
والزجاجة قلبه والمصباح ما جعل الله فيه من الايمان
والقرءان توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص
لله وحده فمثله مثل شجرة التفت بها الشجر فهي
خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا
اذا غربت فكذلك المومن قد احترس ان يصيبه شيء من الفتن

بالنو بين

بالمؤمن بين اربع خصال ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل
وان قال صدق يكاد زيتها يضيء يكاد قلب المؤمن
يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال
ابي بن كعب يتقلب في خمسة انوار فقوله نور وعمله
نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم
القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في
قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه
النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه كذلك
يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم
فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور
وقال الكلبي قوله نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقيل
نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن
فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح
يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن
والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة
شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء اي نور
المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل
يكاد حجة القرآن تتضح وان لم يقرا نور على نور
يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما اقام لهم من الدلائل
والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور وقوله
تعالى يهدي الله لنوره من يشاء قال ابن عباس لدين الاسلام
وهو نور البصيرة ويضرب الله الامثال للناس اي يبين الله الاشياء
للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك
والله بكل شيء عليم قوله عز وجل في بيوت
اي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع
المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض
تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد
بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم
واسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان
ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء اسس على
التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا اذن الله ان ترفع اي تبنى وقيل تعظم

فلا ينبغي ان يذكر فيها الخنى من القول وتطهر من الانجاس والاقذار ويذكر فيها اسمه قال
يتلى فيها كتابه يسبح له فيها اي يصلي فيها بالغدو والاصال اي بالغداة
والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلاة المفروضة فالتي تؤدى بالغداة
صلاة الفجر والتي تؤدى بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان
اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر عن ابي موسى
الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة اراد بالبردين
صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى عن
ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا
الى صلاة مكتوبة كان اجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح
الضحى لا ينصبه الا ذلك كان اجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما
كتاب في عليين اخرجه ابو داود رجال قيل خص الرجال بالذكر في هذه
المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة لا تلهيهم
اي لا تشغلهم تجارة وقيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل الانسان
به عن الصلوات والطاعات واراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على
البيع والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما
باعه الرجل على يديه ولا بيع اي ولا يشغلهم بيع عن ذكر الله اي حضور المساجد
لاقامة الصلوات واقام الصلاة يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من اخر الصلاة عن
وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روى سالم عن ابن عمر انه كان في السوق فاقيمت الصلاة
فقام الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يعني المفروضة قال ابن عباس
اذا حضر وقت اداء الزكاة لم يحبسوها يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
يعني ان هؤلاء الرجال وان بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون
لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادته وقيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع
وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح
الابصار من الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع في
النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اي ناحية يؤخذ بهم امن ذات اليمين
ام من ذات الشمال ومن اين يؤتون كتبهم امن قبل اليمين ام من قبل الشمال وقيل تتقلب القلب
في الجوف فترتفع الى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج وتتقلب البصر فيشخص من هول اليوم
لما هو شدته ليجزيهم الله احسن ما عملوا يعني انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة ليجزيهم الله على احسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها
وهي الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوئ اعمالهم

بل يغفرها

بل يجزيهم بالاحسن وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء احسن من اعمالهم على الواحد
من عشرة الى سبعمائة ويزيدهم من فضله يعني انه سبحانه وتعالى يجزيهم
باحسن اعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله والله يرزق
من يشاء بغير حساب فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة
احسانه وفضله قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة لما ضرب
مثل اعمال المومن وانه في الدنيا والاخرة في نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه
بضرب مثل اعمال الكفار وشبهها بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف
النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء فاذا قرب منه انفشى فلم ير
شيئا والقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب
يحسبه اي يتوهمه الظمآن اي العطشان ماء حتى اذا جاءه اي جاء
ما قدر انه ماء وقيل جاء الى موضع السراب لم يجده شيئا اي لم يجد على ما قدره
او ظنه ووجه التشبيه ان الذي يأتي به الكافر من اعمال البر هو يعتقد ان
لها ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصة القيامة لم يجد الثواب الذي كان
يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته وتناهى
غمه فيشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد
السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك حال الكافر
يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى عنه شيئا ولا ينفعه
ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله فوفاه حسابه
اي جزاء عمله والله سريع الحساب معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا يشغله
محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا اخر فقال تعالى او كظلمات اعلم ان
الله سبحانه وتعالى اخبر ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت
قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها
كظلمات في بحر لجي اي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه يغشاه اي يعلوه موج من فوقه
موج اي متراكم من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض معناه ان البحر اللجي يكون قعره
مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق
الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يقرب
ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد اقرب شيء
يراه الانسان فقال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة انواع من
الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة
الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه
من الجهل والشك والحيرة والسحاب والختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب الكافر

في
على ما قدره

يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره
الى الظلمات يوم القيامة في النار ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال ابن
عباس ومن لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل
نزلت هذه الاية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح
فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الاية عامة في جميع الكفار وقوله عز وجل
الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات اي باسطات
اجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء
والارض فتكون خارجة من حكم من في السموات والارض كل قد علم صلاته وتسبيحه
قيل الصلاة لبني ادم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته لبني
وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل
ومسبح منهم قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات
والارض اي ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنده نشاته ومنه بدايته ويصير
اليه الموجود وقيل معناه وقيل ان خزائن المطر والرزق بيده فلا يملكها احد سواه
والى الله المصير اي والى الله مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى الم تر ان الله يزجي
اي يسوق سحابا بامره الى حيث يشاء من ارضه وبلاده ثم يؤلف بينه اي يجمع بين
قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق
بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي من وسطه وهو مخارج القطر وينزل
من السماء من جبال فيها من برد قيل معناه وينزل من جبال من السماء تلك الجبال
من برد قال ابن عباس اخبر الله ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من
السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى
والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال
من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء
والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد فيصيب به اي بالبرد من
يشاء فيهلكه واموالة ويصرفه عن من يشاء اي فلا يضره يكاد سنا برقه
اي ضوء برق السحاب يذهب بالابصار اي من شدة ضوئه وبريقه يقلب الله الليل
والنهار اي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما ياتي بالليل ويذهب بالنهار وياتي بالليل
(خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب
الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار ومعنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون
عند النوازل والشدائد ابدا اصابتنا الدهر وتذم في اشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر
فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر ظرف يقع فيه التاثيرات كما يقع بكم وقوله تعالى

ان في ذلك

تعالى إن في ذلك أي الذي ذكرته من هذه الأشياء لعبرة لأولي الأبصار أي دلالة لأهل العقول
والبصائر على قدرة الله وتوحيده قوله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء أي من نطفة وأراد
به كل حيوان يشاهد ولا تدخل فيه الملائكة والجن لأنا لا نشاهدهم وقيل أصل الجميع
من الماء وذلك أن الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا
فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم فمنهم من يمشي على بطنه أي كالحيتان
والحيات والديدان ونحو ذلك ومنهم من يمشي على رجلين يعني مثل بني آدم والطير ومنهم
من يمشي على أربع كالبهائم والسباع فإن قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع أن بعض
من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك الخلق من غير نطفة لا بد أن يكون من شيء
وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء قلت فمنهم من يمشي ضمير العقلاء فلم استعمل
في غير العقلاء قلت ذكر العام فعم ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لأن جعل
التشريك فيها والحسن بينهم أولى فإن قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوقات
قلت قدم الأعجب والأعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهو الأرجل والقوائم
ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على أربع فإن قلت لم اقتصر على ذكر الأربع وفي الحيوانات من يمشي
على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وما له أربع وأربعين رجلا ونحو ذلك قلت لعل القسم
كالنادر فكان ملحقا بالغالب وقيل إن هذه الحيوانات اعتمادها على أربع في المشي والباقي تبعا
لها يخلق الله ما يشاء أي مما يعقل ولا يعقل إن الله على كل شيء قدير أي هو القادر على كل الخلق بالفعل
المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا له دافع لقد أنزلنا آيات مبينات
يعني القرآن هو المبين للهدى والأحكام والحلال والحرام والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم يعني إلى دين الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه وجنته قوله تعالى
ويقولون يعني المنافقين آمنا بالله وبالرسول وأطعنا أي يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد
ثم يتولى فريق منهم أي يعرض عن طاعة الله ورسوله من بعد ذلك أي من بعد قولهم آمنا
ويدعوا إلى غير حكم الله قال الله تعالى وما أولئك بالمؤمنين نزلت هذه الآية في بشر المنافق كان
بينه وبين يهودي خصومة في أرض فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق
نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فإن محمدا يحيف علينا فأنزل الله هذه الآية وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم
بينهم أي الرسول يحكم بحكم الله بينهم إذا فريق منهم معرضون يعني عن الحكم وقيل عن الإجابة
وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أي مطيعين منقادين لحكمه لأنه إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا
إلى حكمه لثقتهم أنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا أفي قلوبهم مرض أي كفر ونفاق أم ارتابوا
أي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله
أي يظلم بل أولئك هم الظالمون أي لأنفسهم بإعراضهم عن الحق قوله عز وجل إنما كان قول المؤمنين
إذا دعوا إلى الله ورسوله أي إلى كتاب الله ليحكم بينهم هذا تعليم أدب الشرع على معنى
أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو أن يقولوا سمعنا أي الدعاء وأطعنا أي بالإجابة وأولئك

اي من لم يصدقه فهم الظالمون ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس فيما ساءه وسره ويخش الله
اي على ما عمل من الذنوب ويتقه اي فيما بعد فاولئك هم الفائزون اي الناجون قوله تعالى واقسموا
بالله جهد ايمانهم قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا لئن امرتهم ليخرجن
وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا
وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل ذم اعراضهم عن حكم الله ورسوله قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك
فقال الله تعالى قل لا تقسموا اي لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدا فقال طاعة معروفة اي هذه طاعة
القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا
تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لا يوافقها
الفعل ان الله خبير بما تعملون اي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول يعني بقلوبكم وصدق نياتكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله فانما عليه
اي على الرسول ما حمل اي ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي ما كلفتم من الاجابة
والطاعة وان تطيعوه تهتدوا اي تصيبوا الحق والرشد في طاعته وما على الرسول الا البلاغ
المبين اي التبليغ الواضح البين قوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع اصحابه
وامروا بالصبر على اذى الكفار وكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة
فامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم ما ياتي علينا يوم نامن
فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الاية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم ارض الكفار من العرب
والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم اي كما استخلف
داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بني اسرائيل واهلك الجبابرة بمصر والشام
واورثهم ارضهم وديارهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم قال ابن عباس توسع لهم في
البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني
لا يشركون بي شيئا فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر اولياءه وابدلهم بعد الخوف
امنا وبسطا في الارض خ عن عدي بن حاتم قال بينما انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل
فشكى اليه الفاقة ثم اتاه اخر فشكى اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رايت الحيرة قلت لم
ارها وقد عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف
بالكعبة لا تخاف احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فاين دعار طيئ الذين قد
سعروا البلاد ولئن طالت بك الحياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال
كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب او فضة يطلب
من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه
ترجمان يترجم له فليقولن الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول الم اعطك مالا

وافضل عليك

وانظر عليه فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم
قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فـ
فرايت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى
ابن هرمز ولين طالت بكم حياة لترون ما قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه وفي الآية
دليل على صحة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه والخلفاء الراشدين بعده لانه كان في ايامهم
كان الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين
عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون سنة ثم ملكا ثم قال امسك
خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثني عشر سنة وعلي ستة قال
علي قلت لحماد القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي بنحو
هذا اللفظ قلت كذا اورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة
ابي بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة اشهر وخلافة عثمان
كانت اثني عشر سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي اربع سنين وتسعة اشهر ولهذا
جاء في بعض روايات الحديث وعلي كذا ولم يبين بعض من دونه معنى هذا التفصيل يكون مدة خلافة
الائمة الاربعة تسع وعشرين سنة وستة اشهر وكملت الثلاثين بخلافة الحسن وكانت ستة
اشهر ثم نزل عنها والله اعلم **ومن كفر بعد ذلك** اراد به كفران النعمة ولم يرد به الكفر بالله
فاولئك هم الفاسقون اي العاصون قال اهل التفسير اول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها
الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا
اخوانا عن ابن اخي عبد الله بن سلام قال لما اريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام
فقال له عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك خارج
خير لي منك داخل فخرج عبد الله الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة
قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل
ان لا تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا سيف ح
يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان اخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي
فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قوله تعالى
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي افعلوا هذه الاشياء على
رجاء الرحمة **لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض** اي فائتين عنا **ومأواهم النار ولبئس
المصير** قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم** قال ابن عباس وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج ابن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة
ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في اسماء بنت
مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم
الذين اللام لام الامر وفيه قولان احدهما على الندب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو الاولى
الذين ملكت ايمانكم يعني العبيد والاماء والذين لم يبلغوا الحلم منكم يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم
يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا امر النساء ولكن لم يبلغوا وهو سن التمييز
والعقل واتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم
فقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة
ولم يحتلم وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد واحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة يصير
مكلفا ويجري عليه الاحكام وان لم يحتلم ثلاث مرات اي ليستاذنوا في ثلاثة اوقات من قبل صلاة
الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اي وقت القيلولة ومن بعد صلاة العشاء وانما
خص هذه الثلاثة اوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا
يجوز ان يراه احد من العبيد والصبيان فامر بالاستئذان في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان
يستاذنون في جميع الاوقات ثلاث عورات لكم سمى هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها
ثيابه فتبدو عورته ليس عليكم ولا عليهم يعني العبيد والخدم والصبيان جناح اي حرج في
الدخول عليكم بغير استئذان بعدهن اي بعد هذه الاوقات الثلاثة طوافون عليكم اي
العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالكم بغير اذن بعضكم على بعض اي يطوف
بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم اختلف العلماء
في حكم هذه الاية فقيل انها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى عكرمة ان نفرا من اهل
العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الاية التي امرنا فيها ولا يعمل بها احد قول الله عز
وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية فقال ابن عباس ان الله حليم
رحيم بالمومنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم او الولد
او يتيمة الرجل على اهله فامرهم الله بالاستئذان في تلك العورات فجاء الله بالستور والخير فلم
ار احدا يعمل بذلك بعد اخرجه ابو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فيرون ان ذلك اغنى
عن الاستئذان وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن ابي عائشة
قال سالت الشعبي عن هذه الاية ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم امنسوخة هي قال لا والله
قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الاية
ان الناس يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون بها الناس قيل ثلاث
ايات ترك العمل بهن هذه الاية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم والناس يقولون
اعظمكم بيتا وانما حضر القسمة اولوا القربى الاية وقوله عز وجل واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم اي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا اي يستاذنون
في جميع الاوقات في الدخول عليكم كما استاذن الذين من قبلهم اي الاحرار الكبار كذلك

يبين

86

يبين الله لكم الآيات أي الدلالات وقيل الأحكام والله عليم أي بأمور خلقه حكيم أي بما
دبر لهم وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فإنما أنزلت الآية في ذلك وسئل
حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم إن لم تفعل رأيت منها ما تكره قوله عز وجل والقواعد
من النساء يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر فلا يلدن ولا يحضن اللاتي لا يرجون نكاحا
أي لا يردن الأزواج لكبرهن وقيل هن العجز اللواتي إذا رآهن الرجال استقذروهن فأما من كانت
فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن
ثيابهن أي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي
فوق الخمار فأما الخمار فلا يجوز وضعه غير متبرجات بزينة أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء
إظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره وأن يستعففن
أي فلا يلقين الجلباب والرداء خير لهن والله سميع عليم قوله عز وجل ليس على الأعمى حرج
الآية اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم سد ترك الكلام
بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام أفضل
الأموال وقد نهانا الله عن أكل الأموال بالباطل والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لا يتمكن
من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام
حقه فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على بمعنى في أي ليس في الأعمى والمعنى ليس عليكم
في مواكلة الأعمى والمريض حرج والأعرج وقيل كان العرجان والعميان والمرضى يتنزهون عن
مواكلة الأصحاء لأن الناس يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم ويقال الأعمى ربما أكل أكثر ويقال
للأعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصا لهؤلاء في الأكل من
بيوت من يسمى إلى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله وكان أهل الزمانة يتحرجون
من ذلك ويقولون ذهب بنا إلى غير بيته فأنزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون إذا غزوا
دفعوا مفاتيح بيوتهم إلى الزمنى ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا
يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غيب فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل إن الآية
رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله ولا على المريض حرج وقوله
ولا على أنفسكم كلام مستأنف قيل لما نزل ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لأحد منا
أن يأكل عند أحد فأنزل الله تعالى ولا على أنفسكم أي أن تأكلوا من بيوتكم أي لا حرج عليكم أن تأكلوا
من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لأن بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد
من بيوت أولادكم نسب بيوت الأولاد إلى الآباء كما جاء في الحديث أنت ومالك لأبيك أو بيوت
آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت
عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه قال ابن عباس عنى بذلك وكيل
الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن

ما شئتم ولا يحملوا ولا يدخروا وقيل يعني بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك أن السيد يملك منزل عبده
والمفاتيح الخزائن ويجوز أن يكون المفتاح الذي يفتح به وإذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن
فلا بأس أن يأكل الشيء اليسير وقيل أو ما ملكتم مفاتحه أي ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه أو صديقكم
الصديق هو الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحارث ابن عمرو خرج غازيا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال
تحرجت أن آكل من طعامك بغير إذنك فأنزل الله هذه الآية والمعنى ليس عليكم جناح أن
تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها ولو لم يحضروا من غير أن تتزودوا أو تحملوا
ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا نزلت في بني ليث ابن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل
منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى
الرواح وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فإذا أمسى ولم يجد
أحدا أكل قال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه
فيقول والله إني لأجنح أي أتحرج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية
وقيل نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم
أن يأكلوا كيف شاءوا جميعا أي مجتمعين أو أشتاتا أي متفرقين فإذا دخلتم بيوتا
فسلموا على أنفسكم أي يسلم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم
على أهله ومن في بيته قال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت
عليه وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين
حدثنا أن الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس إذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام
علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته
وعن ابن عباس في قوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إذا دخلت المسجد فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس حسنة
جميلة وقيل ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من الثواب والأجر كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تعقلون أي عن الله أمره ونهيه وأدبه قوله عز وجل إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله وإذا كانوا معه أي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع أي يجمعهم من حرب
حضرت أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل لم يذهبوا أي لم يتفرقوا عنه
ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له حتى يستأذنوه قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج
حتى يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن يشاء
منهم قال مجاهد وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه
المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن فإذا استأذن فللإمام إن شاء أذن له

وإن شاء

وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا
في المسجد فتحيض امرأة منهم او يجنب رجل او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان ان الذين
يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم
اي امرهم فأذن لمن شئت منهم اي في الانصراف والمعنى ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن
واستغفر لهم الله اي وان رأيت لهم عذرا في الخروج عن الجماعة ان الله غفور رحيم قوله عز وجل
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال ابن عباس يقول احذروا دعاء الرسول
اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو
بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول
الله في لين وتواضع قد يعلم الله الذين يتسللون منكم اي يخرجون منكم لواذا اي يستتر بعضهم
ببعض ويروغ في خفية فيذهب قيل كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا اي يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين
كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد يعلم فيه القصد بقد ها
بالمجازات فليحذر الذين يخالفون عن امره اي يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه
ان تصيبهم اي لئلا يصيبهم فتنة اي بلاء في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي وجيع في
الآخرة ثم عظم نفسه فقال تعالى الا ان لله ما في السموات والارض اي ملكا وعبيدا قد يعلم ما انتم
عليه اي من الايمان والنفاق ويوم يرجعون اليه يعني يوم البعث فينبئهم بما عملوا اي من الخير
والشر والله بكل شيء عليم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه ابو عبد
الله بن الربيع في صحيحه والله اعلم بمراده واسراره كتابه تفسير
سورة الفرقان وهي مكية وهي سبع وسبعون آية
وثمانمائة واثنان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك تفاعل من البركة
كان معناه جاء بكل بركة وخير وقيل تعظم الذي نزل الفرقان اي القرآن سماه فرقانا
لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا في اوقات كثيرة ولهذا انزل
بالتشديد للتكثير لتفريق نزوله على عبده يعني محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين اي للانس
والجن نذيرا قيل هو القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي له ملك السموات والارض
اي هو المتصرف فيهما كيف يشاء ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى
ولم يكن له شريك في الملك اي هو المنفرد بالالوهية وفيه رد على الوثنية وعبادة الاصنام
وخلق كل شيء اي مما يطلق عليه صفة المخلوق فقدره تقديرا اي سواه وهيأه لما يصلح له

لا خالق غيره ولا يعاونه وقيل فقدّر كل شيء. تقديرا من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق قوله تعالى
واتخذوا يعني عبدة الأوثان من دونه آلهة يعني الأصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
لأنفسهم ضرا ولا نفعا أي دفع ضر ولا جر نفع ولا يملكون موتا يعني إماتة ولا حياة أي إحياء ولا نشورا
أي بعثا بعد الموت وقال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث وأصحابه إن هذا أي ما هذا القرآن
إلا إفك أي كذب افتراه أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم وأعانه عليه قوم آخرون قيل يعني
اليهود وقيل عبيد بن الحضر الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس عبيد كانوا بمكة
من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا يأخذ منهم قال الله تعالى فقد جاءوا يعني قائلي هذه
المقالة ظلما وزورا أي بظلم وزور وهو قولهم إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره
الأولون فنسبتهم كلام الله إلى الإفك والافتراء. وقالوا أساطير الأولين اكتتبها يعني النضر بن
الحارث كان يقول مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها يعني انتسخها محمد صلى الله
عليه وسلم من جبر ويسار وعداس ومعنى اكتتب طلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب فهي تملى عليه أي تقرأ عليه
ليحفظها لا ليكتبها بكرة وأصيلا يعني غدوة وعشيا قال الله تعالى ردا عليهم قل يا محمد أنزله
يعني القرآن الذي يعلم السر أي الغيب في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما أي لولا أنه لا
لعاجلكم بعذابه وقالوا مال هذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام أي كما نأكل
نحن ويمشي في الأسواق أي يلتمس المعاش كما نمشي نحن وإذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا
يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لأنك بشر مثلنا والملك لا يأكل ولا يلد
لأن الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لأن أكله للطعام لكونه آدميا ولم
يدع أنه ملك ومشيه في الأسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم يكن في الأسواق
وليس شيء من ذلك ينافي النبوة لأنه لم يدع أنه ملك من الملوك لولا أنزل إليه ملك أي يصدقه
ويشهد له فيكون معه نذيرا أي داعيا أو يلقى إليه كنز أي ينزل عليه كنز من السماء فينفقه
فلا يحتاج إلى التصرف في طلب المعاش أو تكون له جنة أي بستان يأكل منها أي هو فلا أقل
من ذلك أن لم يكن له كنز وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا أي مخدوعا وقيل مصروفا
عن الحق انظر يا محمد كيف ضربوا لك الأمثال أي الأشباه التي لا فائدة فيها فقالوا مسحور محتاج
فضلوا أي عن الحق فلا يستطيعون سبيلا أي إلى الهدى ومخرجا عن الضلالة قوله عز وجل تبارك
الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك أي من الذي قالوا وأفضل من البستان الذي ذكروا وقال
ابن عباس يعني خيرا من المشي في الأسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال جنات تجري
من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا أي بيوتا مشيدة عن أبي أمامة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع
يوما أو ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك
عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال

الذهب

اذ هبط جاءني ملك ان حجزته لتساوي الكعبة فقال ان ربك يقرئ عليك السلام ويقول ان شئت نبيا
عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاشار الي ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكئا ويقول آكل كما ياكل العبد واجلس كما
يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البغوي بسنده قوله تعالى بل كذبوا بالساعة اي القيامة
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اي نارا مستعرة اذا رأتهم من مكان بعيد قيل من مسيرة عام
وقيل مسيرة مائة عام فان قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهو قوله اذا رأتهم قلت
يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها سمعوا لها تغيظا اي غليانا
كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب وزفيرا اي صوتا فان قلت كيف يسمع التغيظ قلت
معناه رأوا وعلموا تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر ورأيت زوجك في الوغى متقلدا
سيفا ورمحا اي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد قال عبيد بن عمير
تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر على وجهه واذا القوا منها
مكانا ضيقا قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين اي مصفدين قد قرنت
ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل دعوا هنالك ثبورا قال ابن
عباس ويلا وقيل هلاكا وفي الحديث ان اول ما يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه
ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه يا ثبوراه فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا
ثبورا كثيرا هكذا ذكره البغوي بغير سند وقيل معناه هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة
بل ادعوا ادعية كثيرة قوله عز وجل قل اذلك خير اي الذي ذكرته من صفة النار واهلها خير
ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء اي ثوابا ومصيرا اي مرجعا لهم فيها ما
يشاءون اي ان جميع المرادات تحصل لهم في الجنة لا في غيرها فان قلت قد يشتهي الانسان شيئا
ولا يحصل في الجنة كما انه يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر
عن اهل الجنة بل كل واحد من اهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات المشغلة عن الالتفات
الى غيره خالدين اي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم ان يكون ابدا اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب
من الغم وانشد في هذا المعنى اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا كان على ربك
وعدا مسئولا اي مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا وآتنا ما
وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في
الدنيا ومسألتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم قوله عز وجل ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله
يعني من الملائكة والجن والانس مثل الذين عبدوا عيسى والعزير وقيل يعني الاصنام ثم يخاطبهم
فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اي اخطأوا الطريق قالوا يعني
المعبودين سبحانك نزهوا الله من ان يكون معه اله ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من

دونك من أولياء يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا
أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ولكن متعتهم وآباءهم بطول العمر والصحة والنعمة
في الدنيا حتى نسوا الذكر أي تركوا المواعظ والإيمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه وكانوا
قوما بورا أي هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان فقد كذبوكم هذا خطاب من المشركين أي كذبكم
المعبودون بما تقولون أي أنفسهم الآلهة فما يستطيعون يعني الآلهة صرفا أي صرف العذاب
عن أنفسهم ولا نصرا أي ولا نصر أنفسهم وقيل ولا نصركم بل وقيل يصرف العذاب عنكم
ومن يظلم منكم أي يشرك نذقه عذابا كبيرا قوله عز وجل وما أرسلنا قبلك من المرسلين
إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق أنزل الله هذه الآية والمعنى
أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا إلا رسول وما كنت
بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة أي بلية قال ابن عباس أي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم
وترون من خلافهم وتتبعون الهدى وقيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك أن
الشريف إذا أراد أن يسلم ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال أسلم بعده فيكون له السابقة
والفضل علي فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام فذلك افتتان بعضهم لبعض وقيل نزلت في أبي جهل
والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث وذلك أنهم رأوا أبا ذر وابن
مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة ودونهم قد أسلموا قبلهم فقالوا
نسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت في ابتلاء فقراء المسلمين فعلون بالمستهزئين من قريش
كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا وأراذلنا
فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين أتصبرون على هذه الحالة من الفقر والشدة والأذى وقيل
أن فتنة الفقير يقول ما لي لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع
وكان ربك بصيرا أي بمن صبر وبمن جزع عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم
قال إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى ما هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري
ولمسلم انظروا إلى ما هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله
عليكم قوله عز وجل وقال الذين لا يرجون لقاءنا أي لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة
تهامة لولا أنزل علينا الملائكة أي فتخبرنا أن محمدا صادق أو نرى ربنا أي فيخبرنا بذلك
والبحث وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به لقد استكبروا أي تعظموا في أنفسهم
بهذه المقالة وعتوا عتوا أي طغوا وقيل غلوا في القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم
طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به كبيرا يوم يرون الملائكة أي عند الموت وقيل يوم
القيامة لا بشرى يومئذ للمجرمين وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة

أي بالعجز

ويقولون

ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المومنين **ويقولون حجرا محجورا**
قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله وقيل انه اذا خرج
الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حرام محرم عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار
للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة او راوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم
يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة **وقدمنا الى ما عملوا من عمل** يعني من اعمال البر التي عملوها
في حال الكفر **فجعلناه هباء منثورا** اي باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث
الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد والهباء ما يرى في الكوى كالغبار اذا وقعت الشمس
فيها فلا تمس بالايدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح
وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الخيل عند السير من الغبار قوله الدواب
تعالى **اصحاب الجنة يومئذ** اي يوم القيامة **خير مستقرا** اي من هؤلاء المشركين المستكبرين
واحسن مقيلا اي موضع القايلة وذلك ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر ما
اول النهار الى وقت القايلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف
النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والقيلولة الاستراحة
نصف النهار وان لم يكن معها نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وقال
ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في اوله ويروى ان يوم القيامة يقصر على المومنين حتى يكون
كما بين العصر الى غروب الشمس قوله تعالى **ويوم تشقق السماء بالغمام** اي عن الغمام وهو
غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسراءيل في تيههم **ونزل الملائكة تنزيلا**
قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الانس والجن
ثم تنشق الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السماء الدنيا من الجن والانس ثم كذلك
تنشق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على اهل السماء التي قبلها ثم تنزل
الكروبيون ثم حملة العرش **الملك يومئذ الحق للرحمان** اي الملك الذي هو الملك حقا ملك
الرحمان يوم القيامة قال ابن عباس يريد ان يوم القيامة لا ملك يقضي غيره **وكان يوما**
على الكافرين عسيرا اي شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المومنين عسيرا وجاء
في الحديث انه يهون يوم القيامة على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا قوله تعالى **ويوم يعض الظالم على يديه** اراد بالظالم عقبة ابن ابي معيط وذلك انه
كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى
الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد
ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما

فلما انتهى ابي بن خلف فقال له يا عقبة صبأت فقال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فأبى
ان ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا
بالذي ارضى عنك ابدا الا ان تاتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا القاك
خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله النبي
صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه
في وجهه فاحترق خداه وكان اثر ذلك فيه حتى قتل وقيل كان عقبة ابن ابي معيط خليل امية بن خلف
فاسلم عقبة فقال له امية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم
يعض الظالم يعني عقبة ابن ابي معيط بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه ندما واسفا على ما فرط
في جنب الله واوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطاء
ياكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم ياكلهما هكذا كلما نبتت يداه اكلهما تحسرا على ما فعل
يقول يا ليتني اتخذت اي في الدنيا مع الرسول سبيلا اي ليتني اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت
معه طريقا الى الهدى اية يا ويلتى دعا على نفسه بالويل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني ابي
ابن خلف لقد اضلني عن الذكر اي الايمان والقرءان بعد اذ جاءني يعني الذكر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس للانسان خذولا
اي كثير الخذلان يتركه ويتبرا منه عند نزول العذاب والبلاء وحكم الاية عام في كل خليلين ومتحابين
اجتمعا على معصية الله وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما
ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل اخرجه ابو داود والترمذي ولهما عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مومنا ولا ياكل طعامك الا تقي قوله عز وجل وقال الرسول يعني ويقول
الرسول في ذلك اليوم يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرءان مهجورا اي متروكا واعرضوا عنه ولم يومنوا
به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه شعر وسحر والمعنى انه
صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرءان مهجورا فعزاه الله
عز وجل فقال وكذلك جعلنا اي وكما جعلنا لك اعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين اي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا
من قومهم فاصبروا لامري كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهو قوله وكفى بربك هاديا
ونصيرا قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة اي كما انزلت التوراة
على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود عليهم الصلاة والسلام قال الله عز وجل فعلناه
كذلك لنثبت به فوادك اي انزلناه مفرقا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب

المتقدمة

العلة فيه انها نزلت على الانبياء يكتبون ويقرؤون وانه لما كان النبي عليه امينا لا يكتب ولا يقرأ وكان من
القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن امور تحدث في امور مختلفة ففرقناه
ليكون اوعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايسر على العمل به ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس
بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية ولا يأتونك
بالحجة يعني هؤلاء المشركين بمثل اي يضربونه لك في ابطال امرك الا جئناك بالحق اي بما يرد به
ما جاءوا به من المثل ويبطله فسمى ما يوردون به من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا
واحسن تفسيرا اي واحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر مآل هؤلاء المشركين فقال تعالى الذين اي هم
الذين يحشرون على وجوههم اي يساقون ويجرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا
اي منزلا ومصيرا واضل سبيلا اي اخطأ طريقا قوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه اخاه هارون وزيرا اي معينا وظهيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا
يعني القبط فدمرناهم فيه اضمار اي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا وقوم
نوح لما كذبوا الرسل اي رسلهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك
ذكره بلفظ الجمع اغرقناهم وجعلناهم للناس آية اي عبرة لمن بعدهم واعتدنا للظالمين
اي في الآخرة عذابا اليما اي سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا وعادا وثمودا اي واهلكنا
عادا وثمودا واصحاب الرس قال وهب كانوا اهل بئر قعودا عليها وكانوا اصحاب مواشي يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم واذوا شعيبا فبينما هم حول
البئر في منازلهم انهارت البئر فخسفت بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بئر بفلج اليمامة
قتلوا نبيهم فاهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه
فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة
يس وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا بين ذلك كثيرا اي واهلكنا قرونا
كثيرا بين عاد واصحاب الرس وكلا ضربنا له الامثال اي الاشباه في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم
الا بعد الانذار وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا ولقد اتوا على القرية التي امطرت
مطر السوء يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى اهلك الله منها اربعا ونجت
واحدة وهي صغر وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث افلم يكونوا يرونها يعني اذا مروا بهم
في اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم الى الشام
بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا يخافون بعثا قوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا
نزلت في ابي جهل كان اذا مر مع اصحابه قال مستهزئا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد
ليضلنا اي قارب ان يضلنا عن عبادتها آلهتنا لولا ان صبرنا عليها اي على عبادتها والمعنى
لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب اي في الآخرة عيانا
من اضل سبيلا اي اخطأ طريقا ارايت من اتخذ الهه هواه وذلك ان الرجل من المشركين

كان يعبد حجرا فاذا راى حجرا احسن منه رماه واخذ الاحسن وعبده قال ابن عباس ارايت من ترك
عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد **افانت تكون**
عليه وكيلا اي حافظا تحفظه من اتباع هواه وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك
وقال الكلبي نسختها آية القتال **ام تحسب ان اكثرهم يسمعون** اي ما تقول سماع طالب الافهام **او**
يعقلون اي ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم
لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكانهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم
بالانعام فقال تعالى **ان هم** اي ما هم **الا كالانعام** اي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر
والتفكر ثم قال تعالى **بل هم اضل سبيلا** لان البهائم تهتدي الى مراعيها ومشاربها وتنقاد
لاربابها التي تتعاهدها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طرق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم
ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك قوله عز وجل **الم تر الى ربك كيف مد**
الظل هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه **ولو شاء لجعله**
ساكنا اي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** معنى دلالتها انه لو
لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف باضدادها **ثم قبضناه** يعني الظل
الينا قبضا يسيرا اي بالشمس التي تاتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا
طلعت الشمس قبض الله الظل جزءا فجزءا قبضا يسيرا **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا** اي سترا تستترون
به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على البدن **والنوم سباتا** اي راحة لابدانكم
وقطعا لعملكم **وجعل النهار نشورا** اي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء الرزق وطلب
الاشتغال **وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته** يعني المطر **وانزلنا من السماء ماء طهورا**
الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به يعني لما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي واراد به
المطهر والماء مطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير خاص بالماء وذهب
اصحاب الراي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل
الخل والريق ونحوهما ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى ان الطهور
ما يتكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء الذي توضئ به مرة وان وقع في الماء
شيء غير طعمه او لونه او ريحه هل تزول الطهورية نظر ان كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه
كالطين والتراب واوراق الاشجار فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه
ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة
وان كان شيئا يمكن صون الماء عنه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما تزول الطهورية فلا يجوز الوضوء
به فان لم يتغير احد اوصافه نظر ان كان الواقع شيئا طاهرا لا يزيل الطهورية يجوز الوضوء به سواء
كان الماء قليلا او كثيرا وان كان الواقع شيئا نجسا نظر فيه فان كان الماء اقل من قلتين ينجس الماء وان

كان اكثر

كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادي فيه يحيد ماء
روي ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الماء يكون في الفلاة يرده من السباع
والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث اخرجه ابو داود والترمذي وهذا قول الشافعي
واحمد واسحاق وجماعة من اهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه
ما لم يتغير احدى اوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير
طعمه او لونه او ريحه وهو قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روي عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله انتوضأ من بير بضاعة وهي بير يلقى فيه لحوم
الكلاب وخرق الحيض وعذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه
شيء. وفي رواية قال قيل يا رسول الله انتوضأ من بير بضاعة وهي بير تطرح فيه الحيض والخرق
ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء. اخرجه ابو
داود وقوله تعالى **لنحيي به** اي بالمطر **بلدة ميتا** قيل اراد به موضع البلدة **ونسقيه مما**
خلقنا انعاما اي نسقي من ذلك الماء انعاما **واناسي كثيرا** اي بشرا كثيرا والاناسي جمع اناس
انسي وقيل جمع انسان قوله تعالى **ولقد صرفناه بينهم** يعني المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة اخرى
وقال ابن عباس ما عام بامطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرا هذه الاية وهذا كما روي مرفوعا
ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء. وروي عن ابن مسعود
يرفعه قال ليس من سنة بامطر من اخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا
في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك
الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والبحار وقيل المراد بالتصريف المطر تصريفه
وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح **ليذكروا** اي ليتذكروا ويتفكروا في
قدرة الله تعالى **فابى اكثر الناس الا كفورا** اي جحودا وذلك انهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا
وعن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية
في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله
اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي
وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكواكب قوله عز وجل **ولو شئنا**
لبعثنا في كل قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة
لتستوجب بصبرك ما اعتدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة **فلا تطع الكافرين** اي فيما يدعونك
اليه من موافقتهم ومداهنتهم **وجاهدهم به** اي بالقران **جهادا كبيرا** اي شديدا **وهو الذي**
مرج البحرين اي خلطهما وافاض احدهما على الاخر وقيل ارسلهما في مجاريهما وخلاهما **هذا عذب**
فرات اي شديد العذوبة يميل الى الحلاوة **وهذا ملح اجاج** اي شديد الملوحة وقيل مر **وجعلنا**
بينهما برزخا اي حاجزا بقدرته فلا يختلطان ولا يفسد الملح العذب **وحجرا محجورا** اي سترا

بلا نقى

ممنوع فلا يبغي احدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب قوله عز وجل **وهو الذي خلق من الماء بشرا**
اي من النطفة **فجعله نسبا وصهرا** اي جعله ذا نسب وصهر قيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر
ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة
التي تشبه القرابة وهي السبب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعها
قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم الآية وقد تقدم تفسيرها وبيانه في تفسير سورة النساء. **وكان ربك**
قديرا اي على ما اراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى **ويعبدون من**
دون الله يعني هؤلاء المشركين **ما لا ينفعهم** اي ان عبدوه **ولا يضرهم** اي ان تركوا **وكان الكافر على**
ربه ظهيرا اي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان وقيل معنى
ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت به اذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت اليه قيل اراد بالكافر
ابا جهل والاصح انه عام في كل كافر قوله تعالى **وما ارسلناك الا مبشرا** اي بالثواب على الايمان
والطاعة **ونذيرا** اي منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية **قل ما اسالكم عليه** اي على تبليغ
الوحي **من اجر** اي فتقولون انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه **الا من شاء ان يتخذ**
الى ربه سبيلا معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاقه ماله سبيلا الى ربه فعل ذلك والمعنى
لا اسالكم لنفسي اجرا ولكن لا امنع من انفاق المال في طلب مرضات الله واتخاذ السبيل الى جنته
وتوكل على الحي الذي لا يموت معناه انه سبحانه وتعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بانه لا يطلب
منهم اجرا البتة امره ان يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي
يموت انقطع توكله من توكل عليه بموته واما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع توكل
من توكل عليه ولا يضيع البتة **وسبح بحمده** اي ما له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله
والحمد لله **وكفى به بذنوب عباده خبيرا** يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها
وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافاتهم وفيه وعيد وتهديد
كانه قال ان اقدمتم على مخالفة امره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة قوله عز وجل
الذي خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به
خبيرا اي فسئل الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السماوات والارض والاستواء على العرش وقيل
معناه ايها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل معناه فسئل به خبيرا وهو الله تعالى
وقيل جبريل عليه السلام **واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن** اي ما نعرف الرحمن الا
رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة **انسجد لما تامرنا** انت يا محمد
وزادهم اي قول القائل **نفورا** اي عن الايمان والسجود **فصل** وهذه السجدة من عزائم السجود ان
يسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها وسماعها قوله تعالى **تبارك الذي جعل في السماء**
بروجا قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال
ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور

والجوزاء

والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والجدي والدلو والحوت سميت
بالبروج التي هي القصور العالية لأنها للكواكب كالمنازل لسكانها وجعل فيها سراجا
يعني الشمس وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال ابن عباس خلفا وعوضا يقوم
أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فقال فاتتني الصلاة الليلة فقال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فإن الله تعالى جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا
أبيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة
والنقصان قوله عز وجل وعباد الرحمن قيل هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل وإلا فالخلق كلهم
عباد الله الذين يمشون على الأرض هونا أي بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين
ولا مرحين ولا متكبرين وقيل علماء حلماء أصحاب وقار وعفة وإذا خاطبهم الجاهلون يعني
السفهاء بما يكرهونه قالوا سلاما أي سدادا من القول يسلمون فيه من الإثم وإن سفه
عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسختها
آية القتال وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم إذا قرأ
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة
سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر
فقد بات لله ساجدا وقائما عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان
كقيام ليلة والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما أي ملحا
دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار عن ثمن نعمه فلم
يؤدوها فأغرمهم فبقوا في النار وقيل كل غريم مفارق غريمه إلا جهنم وقيل الغرام الشر
اللازم والهلاك الدائم إنها يعني جهنم ساءت أي بئست مستقرا ومقاما أي موضع قرار وإقامة
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قيل الإسراف النفقة في معصية الله وإن قلت
والإقتار منع حق الله وهو قول ابن عباس وقيل الإسراف مجاوزة الحد في الإنفاق حتى يدخل في
حد التبذير والإقتار التقصير عما لا بد منه وهو أن لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة
يقول الناس قد أسرف وكان بين ذلك قواما أي قصدا وسطا بين الإسراف والإقتار حسنة
بين السيئتين قيل هذه الآية في صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم
واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يأكلون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على
عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر العورة ويكنهم عن الحر والبرد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كفى سرفا أن لا يشتهي شيئا إلا اشتراه فأكله قوله عز وجل والذين لا يدعون مع الله إلها
آخر الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا

لمن أراد أن يذكر
أو أراد شكورا

وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما
عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
ونزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعوا
لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة
جارك فانزل الله تصديقه والذين لا يدعون مع الله الها اخر **ولا يقتلون النفس التي حرم الله**
الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ومعنى الاية ومن يفعل شيئا من ذلك يلق اثاما قال
ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام واد في جهنم ويروى في الحديث ان الغي والاثام
بيران يسيل فيهما صديد اهل النار **يضاعف له العذاب يوم القيامة** قيل السبب في تضعيف العذاب
ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العقوبة على شركه وعلى معاصيه **ويخلد فيه**
مهانا اي ذليلا قوله تعالى **الا من تاب** اي من ذنبه **وامن** بربه **وعمل عملا صالحا** اي فيما بينه وبين
ربه روي عن ابن عباس قال قرانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا يدعون مع
الله الها اخر ثم نزلت الا من تاب فما رايت النبي صلى الله عليه وسلم فرح لشيء فرحه بها وفرحه
بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قوله تعالى **فاولئك يبدل الله**
سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك
محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المومنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا
وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة م عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر رجل يخرج من النار يوتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه
صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا ويوم كذا وكذا
كذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبائر ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان
كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت اشياء لا اراها هاهنا قال فلقد رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه يمحوا بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل
سيئة حسنة **ومن تاب وعمل صالحا** يعني الى ما بقي منهم لم يقتل ولم يزن **فانه يتوب الى الله**
اي يعود اليه بعد الموت **متابا** اي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالاية الاولى وهو قوله ومن
تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافات وقيل هذه الاية في التوبة
عن جميع السيئات ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى
الامر اي تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله قوله تعالى **والذين لا يشهدون الزور**
يعني الشرك وقيل يعني شهادة الزور خ عن ابي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت

وقال عمر

وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة وجهه ويطاف به في الاسواق وقيل
لا يشهدون الزور يعني اعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم
وقيل الزور اللهو واللعب والغنا قال ابن مسعود الغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الما الزرع
واصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم
انه حق واذا مروا باللغو وهو كل ما يجب ان يلغى ويترك مروا كراما يعني اذا سمعوا من الكفار
الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وهذا على قول بعض المفسرين تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل
اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما اي مسرعين معرضين
عنه وهواه يكرمون انفسهم ويكرمونها عن هذه المجالس السيئة والذين اذا ذكروا بآيات
ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قيل معناه انه ليس فيه نفي الخرور وانما هو اثبات له
ونفي الصمم والعمى والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها خاشعين باذان واعية واقبلوا
على المذكر بها بعيون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا اي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميا
كالذين هم صم عمي يسمعون ما يذكرون به فيسمعونه ويرون الحق فيتبعونه قوله عز وجل
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين اي ابرارا اتقيا صالحين فتقر
اعيننا بذلك قيل ليس شيء اقر لعين المومن ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل ويطمع
ان يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند
السرور والفرح ومعناه سخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند
الحزن حار وقيل معنى قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه عن النظر الى غيره واجعلنا
للمتقين اماما اي ائمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون
وقال ابن عباس اجعلنا ائمة هداة وقيل معناه انهم سالوا الله ان يبلغهم في الطاعة المبلغ
الذي يقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب
فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين موتمين بهم
اولئك يجزون اي يثابون الغرفة اي الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل هي غرف
الدر والزبرجد واللولو والياقوت في الجنة بما صبروا اي على طاعة الله واوامره وعلى
اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها تحية اي ملكا وقيل بقاء دائما
وسلاما اي يسلم بعضهم على بعض ويرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما اي سلامة
من الآفات خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة قوله تعالى قل ما
يعبؤا بكم ربي اي ما يصنع وما يفعل بكم بوجودكم وعدمكم سوا وقيل معناه اي وزن ومقدار
لكم عنده لولا دعاؤكم اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل معناه لولا دعاؤه
اياكم الى الاسلام فاذا امنتم ظهر لكم قدر وقيل معناه ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم
وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لعبادته وطاعته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبؤا

أي ما يبالي بكم ربي لولا دعاؤكم معه الآلهة وقيل معناه ما خلقتكم وبي إليكم حاجة إلا أن تسألوني
فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم فقد كذبتم يعني أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني أن الله دعاكم
إلى توحيده وعبادته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه إلى الإيمان
فسوف يكون لزاما هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبكم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل
قتلا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا
دائما وهلاكا لازما يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو
قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر
في رواية الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام

تفسير سورة الشعراء

مكية إلا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهي مائتان
وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح
موسى عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم قال ابن عباس
طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه أنه قسم وهو من أسماء الله وقيل اسم
من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه تلك آيات أي هذه
الآيات آيات الكتاب المبين قيل هذا القرآن فيه دلائل التوحيد والإعجاز الدال على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ودلائل الأحكام أجمع فثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الأحكام
لعلك باخع نفسك أي قاتل نفسك ألا يكونوا مؤمنين أي إن لم يكونوا مؤمنين وذلك حين كذبه
أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على إيمانهم فأنزل الله هذه الآية إن نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين أي لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون
بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله وقيل معناه لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل
أحد منهم بعده معصية فإن قلت كيف صح خاضعين خبرا عن الأعناق قلت أصل
الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله ولما
وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم أي
فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل أراد بالأعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أي جماعة
وما يأتيهم من ذكر من الرحمن أي وعظ وتذكير محدث أي محدث إنزاله فهو أحداث من
الأول إلا كانوا عنه معرضين أي عن الإيمان به فقد كذبوا فسيأتيهم أي فسوف يأتيهم أنباء
أي أخبار وعواقب ما كانوا به يستهزئون أولم يروا يعني المشركين إلى الأرض كم أنبتنا
فيها أي بعد أن لم تكن فيها نبات من كل زوج كريم أي جنس ونوع وصنف حسن من النبات
مما يأكل الناس والأنعام قال الشعبي الناس نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار

فهو لئيم

مليح كريم **ان في ذلك** اي الذي ذكرت **لآية** اي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا للكافرين وفي كل شيء له
آية تدل على انه واحد **وما كان اكثرهم مؤمنين** اي سبق علمي فيهم انا اكثرهم لا يؤمنون ولا
يصدقون **وان ربك لهو العزيز** اي المنتقم من اعدائه **الرحيم** اي بالمؤمنين ولبيان قوله تعالى
واذ نادى اي واذكر يا محمد اذ نادى **ربك موسى** اي حين رأى الشجرة والنار **ان ائت القوم الظالمين**
يعني الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم وسومهم
سوء العذاب **قوم فرعون** يعني القبط **الا يتقون** اي يصرفون عن انفسهم عقوبة
الله بطاعته والايمان به **قال** يعني موسى **رب** اي يا رب **اني اخاف ان يكذبون ويضيق**
صدري اي بتكذيبهم اياي **ولا ينطلق لساني** اي للعقدة التي كانت على لسانه **فارسل** رسل
الى هارون اي ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة **ولهم علي ذنب** اي دعوى ذنب وهو
قتله القبطي **فاخاف ان يقتلون** اي به **قال** الله عز وجل **كلا** اي لن يقتلوك **فاذهبا بآياتنا**
انا معكم مستمعون اي سامعون ما يقولون وما يقال لكم **فان قلت** كيف ذكرهما بلفظ الجمع
في قوله معكم وانما هما اثنان **قلت** اجراهما مجرى الجماعة وذلك جائز في لغة العرب **فأتيا فرعون**
فقولا انا رسول رب العالمين فان **قلت** هلا ثنى الرسول كما في قوله فأتياه فقولا انا رسولا
ربك **قلت** الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من
تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية
والجمع والمعنى انا ذوو رسالة كما قال الشاعر لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بشيء ولا ارسلتهم
برسول اي برسالة وقيل انهما لاتفاقهما في الرسالة والشريعة والاخوة صارا كأنهما رسول واحد
وقيل معناه كل واحد منا رسول رب العالمين **ان ارسل معنا بني اسرائيل** اي خلهم واطلقهم
معنا الى ارض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك
الوقت ستمائة وثلاثين الفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مصر وهارون بها فاخبره بذلك وفي
القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه والمكتل معلق في رأس
العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هارون بان الله قد ارسلني الى فرعون وارسل اليك
حتى تدعوا فرعون الى الله تعالى فخرجت امهما وصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فلو
ذهبتما اليه قتلكما فلم يمتنع بقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك ليلا فدق الباب ففزع البوا بون
وقالوا من بالباب فقال موسى انا رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب
يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم
يؤذن له سنة في الدخول فدخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب
العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون واديا رسالة الله تعالى فعرف
فرعون موسى لانه نشأ في بيته فقال له **الم نربك فينا وليدا** اي صبيا **ولبثت فينا من عمرك**
سنين يعني ثلاثين سنة **وفعلت فعلتك التي فعلت** يعني قتل القبطي **وانت من الكافرين**

قال اكثر المفسرين اي من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي يقول ربيناك فينا وليدا فكافأتنا ان قتلت منا
نفسا وكفرت بنعمتنا وهذه رواية عن ابن عباس وقال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر
غير جائز على الانبياء قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وانت من الكافرين بفرعون والوهيته
قال يعني موسى فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين بان ذلك يؤدي الى قتله لانه فعل الوكزة على
وجه التاديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من الخاطئين ففررت
منكم لما خفتكم اي الى مدين فوهب لي ربي حكما يعني النبوة وقيل العلم والفهم وجعلني من
المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا قيل هذا من موسى
نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بني اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني
اسرائيل فيكون معنى الاية وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني وقيل
هو على طريق الانكار ومعنى الاية وتلك نعمة على طريق الاستفهام بحذف الالف كما قال عمر بن ابي ربيعة
لم انس يوم الرحيل وقفتها وطرفها في دموعها غرق وقولها والركاب واقفة تتركني هكذا وتنطلق
اي اتتركني والمعنى اتمن علي ان ربيتني وتنسى جنايتك على بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملات
القبيحة او يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه فقد ذل فتعبيدك
بني اسرائيل قد احبط حسناتك الي ولو لم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لم ارفع اليك حتى تربيني
وتكفلني ولكان لي من اهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين يقول اي
شيء رب العالمين الذي تزعم انك رسوله فاستوصفه الاله الذي ارسله اليه وهو سؤال عن
جنس الشيء والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله
واثار قدرته التي يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها قال رب السماوات والارض وما بينهما ان كنتم
موقنين انه خالقهما اي عرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان ايقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا
انه لا جواب عن هذا السؤال الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعاني اي كما توقنون هذه الاشياء
التي تعاينونها فايقنوا ان اله الخلق هو الله تعالى الذي خلقهما وجميع ما بينهما فلما قال ذلك موسى
تحير فرعون في جواب موسى ف قال لمن حوله اي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة
رجل عليهم الاسورة الا تستمعون وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى
يعني انا اطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بافعاله واثاره وقيل انهم كانوا
يعتقدون ان الهتهم ملوكهم ثم زاد لهم موسى في البيان ف قال ربكم ورب ابائكم الاولين يعني ان
موسى ذكر ما هو اقرب الى الفهم فقال ربكم يعني انه خالقكم وخالق ابائكم الاولين قال يعني فرعون ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالاثار
الخارجية وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب
عنه ويتكلم بكلام لا يعقله ولا يعرف ما حكمه وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدونه ليس
بعاقل فزاد في البيان ف قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون بعمل الوهم يوثالث

اوضح من

اوضح من الثاني ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم انه لا جواب عن سؤالكم الا ما ذكرت قال
فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين قيل كان سجن فرعون اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه في مكان تحت
الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه قال له موسى حين توعده بالسجن اولو جئتك
بشيء مبين اي باية بينة والمعنى اتفعل ان جئتك بشيء مبين وانما قال ذلك موسى لان من اخلاق
الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان قال يعني فرعون فات به اي ان الذي
تسمى جئتني ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قيل انها لما
صارت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال يا موسى بالذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها موسى فصارت عصى كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم واراه يده ثم
ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين يعني ذلك قال فرعون للملأ حوله ان هذا
يعني موسى لساحر عليم وكان زمان السحرة فلذلك راوح فرعون هذا القول على قومه ثم قال يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره قال هذا القول على سبيل التشنيع فلما يقبلوا قول موسى فماذا
تامرون يعني ما رايكم فيه وما الذي اعمله فيه ثم بعد ذلك قالوا ارجه واخاه اي اخره واخر امره
وابعث في المدائن حاشرين ياتوك بكل سحار عليم قيل ان فرعون اراد قتل موسى فقالوا لا تفعل
فانك ان قتلته ادخلت على الناس شبهة في امره ولكن اخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا يثبت
له عليك حجة قوله عز وجل فجمع السحرة لميقات يوم معلوم يعني يوم الزينة قال ابن عباس
وافق ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل للناس هل انتم مجتمعون اي
لتنظروا الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لموسى وقيل اراد بالسحرة موسى وهارون وقالوا ذلك على طريق الاستهزاء فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين طلبوا من فرعون الجزاء وهو اما المال
او الجاه فبذل لهم ذلك واكده بقوله قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون اي بعظمة فرعون انا لنحن الغالبون
فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم
قيل ان عصى موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها موسى فاذا
هي كما كانت اول مرة فالقي السحرة ساجدين قيل انهم لما راوا ما جاء وراه السحرة علموا انه
ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
وانما قالوا رب موسى وهارون لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله قال امنتم له قبل ان
اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون فيه وعيد مطلق وتهديد شديد
ثم بين ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا

لا ضير انا الى ربنا منقلبون اي ضر علينا فيما يلحقنا في الدنيا لانا ننقلب ونصير الى ربنا في
الاخرة مومنين عفي عنه وهو قوله انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي الكفر والسحر ان اي لان
كنا اول المومنين اي من اهل زمننا وقيل اول المومنين اي من الجماعة الذين حضروا ذلك المجمع
قوله عز وجل واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده
ليحيلوا بينكم وبين الخروج وقيل اوحى الله الى موسى ان اجمع بني اسراءيل كل اهل اربعة ابيات
في بيت ثم اذبحوا اولاد الضان واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة بقتل ابكار ال
فرعون من انفسهم واموالهم وامرهم الله ان يخلوا بيوتا على ابوابهم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع
لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي البحر فياتيك امري ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم
فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل
الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا ابكارنا من اموالنا
وانفسنا واخذوا اموالنا فارسل فرعون في المداين حاشرين يعني الشرط يحشرون
الجيش قيل كانت المداين الف مدينة واثنا عشر الف قرية وارسل فرعون في اثر موسى
وقومه الف الف وخمسماية الف وخرج فرعون في الكرسي العظيم في ماية الف ملك مسومين
مع كل ملك الف فلما ذلك قال ان هولاء لشرذمة قليلون قال اهل التفسير كانت الشرذمة
الذين قللهم فرعون ستماية الف مقاتل ليس فيهم دون العشرين ولا فوق الستين سنة وقال
ابن مسعود كانوا ستماية الف وسبعين الفا ولا يحصى عدد اصحاب فرعون وانهم لنا لغائظون
الغيظ الغضب يعني انهم اغضبونا بمخالفتهم دينا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا
التي استعاروها وخروجهم من ارضنا بغير اذننا وانا لجميع حاذرون اي خائفون حتى
نشرهم ومن قرأ حذرون اي ذو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذر الان
والحذر الذي لا يلقاه الا خائفا فاخرجناهم من جنات وعيون قيل كانت البساتين ممتدة
الى حافتي النيل فيها عيون وانهار جارية وكنوز يعني الاموال الظاهرة من الذهب
والفضة وسماها كنوزا لانهم لم يودوا حق الله منها وكل مال لم يعطه ولم يود حق الله
منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانماية الف غلام كل غلام على فرس عتيق
في عنق كل فرس طوق من الذهب ومقام كريم اي مجلس حسن قيل اراد مجالس الامراء والرو
والروساء التي كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثماية كرسي
من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم اقبية الديباج مخوصة
بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون واموالهم ومجالسهم
الحسنة كذلك اي كما وصفنا واورثناها بني اسراءيل وذلك ان الله عز وجل رد بني
اسراءيل بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال
والمساكن الحسنة فاتبعوهم مشرقين اي لحق فرعون وقومه موسى واصحابه وقت شروق

واقرة

الشمس

الشمس وتراصا . فلما ترا الجمعان اي تقابلا بحيث يرا كل من فريق صاحبه قال اصحاب
موسى انا لمدركون اي سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم قال يعني موسى ثقة بوعد الله اياه
كلا اي لن يدركنا ان معي ربي سيهدين اي يدلني على طريق النجاة فاوحينا الى موسى ان اضرب
بعصاك البحر فانفلق اي ضربه فانشق فكان كل فرق اي قطعة من الماء كالطود اي الجبل
العظيم وقيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الريح وكان البحر يرمي بموج كالجبال
قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى هاهنا
فخاض يوشع البحر لا يتوارى حافر دابته وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت فقال
هاهنا فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب
القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب
بعصاك فضرب فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وازلفنا ثم
الاخرين اي قربنا فرعون وقومه الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني
اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم اولكم ويقول للقبط رويدا
ليلحق اخركم اولكم وكان بنوا اسرائيل يقولون ما راينا احسن سياقة من هذا الرجل وكان
قوم فرعون يقولون ما راينا ازعة من هذا وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين
يعني انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه واغرق فرعون وقومه لما تكاملوا
في البحر انطبق عليهم فاغرقهم ان في ذلك لاية يعني ما حدث في البحر من انفلاقه . اية من
الايات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام وما كان اكثرهم مومنين
يعني اهل مصر قيل لم يومن منهم الا . اسية امراة فرعون وحزبيل مومن . ال فرعون
ومريم بنت ماموسا التي دلتنا على قبر يوسف حين اخرجه موسى من البحر وان ربك لهو العزيز
الرحيم قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون وفي اي شيء
تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه انهم عبدة الاصنام ليريهم انما يعبدونه ليس من
استحقاق العبادة في شيء . قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اي نقيم على عبادتها
وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اي يسمعون
دعاءكم اذ تدعون او ينفعونكم قيل بالرزق او يضرون اي ان تركتم عبادتها واذا لم يسمعوا
ذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لزمتهم الحجة القاطعة قالوا بل وجدنا اباءنا
كذلك يفعلون والمعنى انها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا لكن اقتدينا
باباءنا في ذلك وفي الاية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال
قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون اي الاولون فانهم عدو لي اي
اعداء لي وانما وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة
وهي جمادات لا تعقل قلت فانهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان

الكفار لما عبدوها وهي لو عبدها من له الحياء العقلاء المكلفون ابراهيم لبطل العداوة عليها وقيل هو من
المقلوب اراد فاني عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك الا رب العالمين اي لكن رب العالمين
فانه ربي ووليي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله فقال ابراهيم كل من تعبدون
اعداء لي الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال الذي خلقني فهو يهدين
اي الى طريق النجاة والذي هو يطعمني ويسقين اي يرزقني ويغذيني بالطعام والشراب اي
واذا مرضت اضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفاء من الله فهو
يشفين اي يبريني ويعافيني من المرض والذي يميتني ثم يحيين اي يميتني في الدنيا ثم يحييني
في الاخرة والذي اطمع اي ارجو ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اي يوم الجزاء والحساب قيل
خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها ثم عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا
رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه
انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه
لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال رب هب لي حكما قال ابن عباس معرفة حدود الله
واحكامه وقيل العلم والفهم والحقني بالصالحين اي بمن سبقني من الانبياء في المنزلة
والدرجة العالية واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا
عاما في الامم التي تجيء بعدي فاعطاه ذلك وجعل كل اهل الاديان يقولونه ويثنون عليه
واجعلني من ورثة جنة النعيم اي ممن تعطيه جنة النعيم نعم السعادة الكبرى واغفر
لابي انه كان من الضالين قيل دعاء لابيه رجاء انه يسلم فيغفر له فلما تبين له انه عدو
لله تبرأ منه ولا تخزني اي لا تفضحني يوم يبعثون هو يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم اي خالص من الشك والشرك فاما الذنوب فلم يسلم منها احد قال
سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر والمنافق مريض
وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المطمئن الى السنة وازلفت الجنة اي قربت
الجنة للمتقين وبرزت اي اظهرت الجحيم للغاوين اي الكافرين وقيل لهم يعني يوم القيامة اين
ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم اي يمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون اي لانفسهم
فكبكبوا قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرح بعضهم على بعض وقيل القوا على رؤوسهم
فيها اي في الجحيم هم والغاوون يعني الالهة والعابدون وقيل الجن والكفار وجنود ابليس
اجمعون يعني اتباعه ومن اطاعه من الانس وقيل ذريته قالوا وهم فيها يختصمون يعني
العابدين والمعبودين ثم قالوا تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
صح اي نعدلكم
فنعبدكم وما اضلنا يعني دعانا الى الضلال الا المجرمون يعني من دعاكم الى عبادة الاصنام
من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن ادم الاول وهو
قابيل وهو اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين يعني من يشفع لنا

يعني

يعني فما لنا من شافعين من الملائكة والنبيين ولا صديق حميم اي قريب يشفع
لنا يقول ذلك الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمومنون والصديق هو الصادق
في المودة مع موافقة الدين عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول
الله عز وجل اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المومنين
فان لهم شفاعة يوم القيامة فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون
من المومنين اي انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مومنين اي مع هذه الدلائل والآيات وان ربك لهو
العزيز الرحيم اي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم قوله عز وجل
كذبت قوم نوح المرسلين اي كذبت جماعة قوم نوح وقيل القوم مونثة وتصغيرها قويمة فان
قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل
واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم اذ
قال لهم اخوهم نوح يعني اخوهم في النسب لا في الدين الا تتقون اي الا تخافون فتتركوا الكفر
والمعاصي اني لكم رسول امين اي على الوحي وكان معروفا عندهم بالامانة فاتقوا الله اي
بطاعته وعبادته واطيعون اي فيما امركم به من الايمان والتوحيد وما اسئلكم عليه من
اجر اي جعل وجزاء ان اجري اي ثوابي الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قيل كرره
ليوكده عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الا تتقون الله في مخالفتي وانا
رسول الله ومعنى الثاني الا تتقون الله في مخالفتي وانا لست اخذ منكم اجرا قالوا انومن لك
واتبعك الارذلون اي السفلة قال ابن عباس يعني الباعة وقيل هم الحاكة والاساكفة قال يعني
نوحا وما علمي بما كانوا يعملون اي ما اعلم اعمالهم وصنائعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم
الى واحوالهم شيء انما كلفت ان ادعوهم الى الله ولي منهم ظواهر امرهم قال الزجاج الصناعات
لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلهم ويوفقهم ويخذلهم ان حسابهم
الا على ربي لو تشعرون اي لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم وما انا بطارد المومنين
اي معنى وقع . امعوا ان انا الا نذير مبين اي اخوف من كذبني فمن امن فهو القريب مني ومن لم يومن
فهو البعيد مني قالوا لئن لم تنته يا نوح اي عما تقول لتكونن من المرجومين اي من المقتولين
بالحجارة وهو اسوأ القتل وقيل من المشتومين قال رب ان قومي كذبون فافتح اي فاحكم
بيني وبينهم فتحا اي حكما ونجني ومن معي من المومنين فانجيناه ومن معه من المومنين
في الفلك المشحون اي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد
نجاة نوح ومن معه ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين

اي امين على الرسالة فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع قال ابن عباس اي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع آية اي علامة وهي العلم تعبثون اي بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فانكر عليهم هود اتخاذها ومعنى تعبثون بالحمام وتتخذون مصانع قال ابن عباس ابنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل مآخذ الماء يعني الحياض لعلكم تخلدون اي كانكم تبقون فيها خالدين لا تموتون واذا بطشتم اي اخذتم وسطوتم بطشتم جبارين اي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر فاتقوا الله واطيعون فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما اعطاهم فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فيه التنبيه على نعمة الله عليهم اني اخاف عليكم قال ابن عباس ان عصيتموني عذاب يوم عظيم فكان جوابهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اي انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده من المواعظ كلام يليق الغلبة بذكر الوعد والوعيد ان هذا الا خلق الاولين قرئ بفتح الخاء اي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام اي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم وما نحن بمعذبين اي انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكار المعاد فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما هاهنا اي في الدنيا آمنين اي من العذاب في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها اي ثمرها الذي يطلع منها هضيم قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج والنعومة وقيل هو المدرك وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين وقرئ فرهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره الاشر قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرهين معجبين بصنعتهم فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن عباس اي المشركين وقيل التسعة الذين عقروا الناقة الذين يفسدون في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون اي ولا يطيعون الله فيما امرهم به قالوا انما انت من المسحرين اي من المسحورين المخدوعين قال ابن عباس اي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ما انت الا بشر مثلنا والمعنى انك بشر مثلنا وليست بملك فات بآية على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين يعني انك رسول الله الينا قال هذه ناقة لها شرب اي حظ من الماء ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء اي بعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين اي على عقرها لما راوا العذاب فاخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل

كذبت

كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من
العالمين يعني نكاح الرجال من بني ادم وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعني تتركون الفروج المباح
من النساء وتميلون الى ادبار الرجال بل انتم قوم عادون اي معتدون متجاوزون الحلال
الى الحرام قالوا لين لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من قريتنا قال اني لعملكم من القالين
اي من المبغضين رب نجني واهلي مما يعملون اي من العمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا يعني امراته في الغابرين اي بقيت في الهالكين ثم دمرنا الاخرين يعني
اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا يعني الحجارة والنار فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذب اصحاب ليكة المرسلين اي الغيضة
الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد اذ قال لهم شعيب لم يقل اخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان
من مدين وهو مرسل اليهم الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين انما كانت دعوة كل هولاء الانبياء فيما حكى الله عنهم
على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر
على تبليغ الرسالة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي الناقصين لحقوق الناس من الكيل والوزن
وزنوا بالقسطاس اي بالميزان العدل المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض
مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يعني الخليقة والامم المتقدمين قالوا انما انت
من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا اي قطعا
من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون اي من نقصان الكيل والوزن
وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الي وما علي الا الدعوة والتبليغ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم
الظلة وذلك انهم اصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها اشد حرا من ذلك
فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا انه كان عذاب
يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقد تقدم الكلام
على هذه القصص في سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله اعلم قوله عز وجل وانه يعني
القران لتنزيل رب العالمين يعني ان فيه من اخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين
نزل به الروح الامين يعني جبريل عليه السلام وسماه روحا لانه خلق من الروح وسماه امينا
لانه موتمن على وحيه الى انبيائه على قلبك يعني حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب
لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وساير الاعضاء مسخرة له يدل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد
كله الا وهو القلب اخرجاه في الصحيحين ومن المعلوم ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب
وانه اذا فرح القلب او حزن يتغير ساير الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو

الغلبة على الصحيح من القولين وإذا أثبتنا ذلك كان القلب هو المخاطب في الحقيقة وهو المطالب لأن التكليف مشروط
بالعقل والفهم وقوله تعالى لتكون من المنذرين أي المخوفين بلسان عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش
ليفهموا ما فيه وإنه يعني ذكر القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته لفي زبر أي كتب
الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه يعني يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علماء بني إسرائيل قال ابن عباس
بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا لزمانه وإنا
نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن
سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد قوله تعالى ولو نزلناه يعني القرآن على بعض الأعجمين
جمع الأعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربيا في النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن
على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم يعني القرآن ما كانوا به مؤمنين أي فقالوا ما نفقه قولك
وقيل معناه لو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب كذلك سلكناه قال ابن عباس يعني أدخلنا
الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به أي بالقرآن حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم
بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أي لنؤمن ونصدق فيتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم أفبعذابنا
يستعجلون قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب فقالوا متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا
العذاب قال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين أي الكفار ومكنهم في الدنيا ولم
نعاجلهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون أي في تلك
السنين الكثيرة والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع
عنهم شيئا ويكونون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون أي رسل ينذرونهم
ذكرى أي تذكرة وما كنا ظالمين أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وما تنزلت به الشياطين
يعني المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم
ذلك وما ينبغي لهم أي أن ينزلوا بالقرآن وما يستطيعون أي ذلك ثم ذكر سبب ذلك فقال
إنهم عن السمع لمعزولون أي محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون إلى استراق السمع فلا تدع
مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لأنه معصوم من
ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك قوله
عز وجل وأنذر عشيرتك الأقربين روى محمد بن إسحاق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين دعاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت
أني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت حتى جاءني جبريل فقال يا محمد إلا تفعل ما تؤمر
يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد
المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون
رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام

الذي صنعت

الذي صنعت فجئت به فلما تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم
القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وايم الله ان كان الرجل
الواحد لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم
الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال سحركم
صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى
ما سمعته من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم فجعلت
ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم
يوازرني على امري هذا ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا
فقلت انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا
له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيع وعن ابن عباس
لما انزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني
فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا
لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم
مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم
الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية
للبخاري لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى صعد الصفا فهتف يا صاحباه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه وذكر نحوه وعن ابي هريرة
قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش او كلمة
نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اغني عنك من الله شيئا وعن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت وانذر عشيرتك
الاقربين انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا اعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد منافاه اني
نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يربأ اهله فخشي ان يسبقوه فجعل
يهتف يا صاحباه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه اولا وبالاقرب فالاقرب من اهله ثم بالعام لم يكن
لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك
من المؤمنين المصدقين بقلوبهم والسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم وهم المنافقون فان عصوك
اي فيما تامرهم به فقل اني بريء مما تعملون اي من الكفر والعناد وتوكل على العزيز الرحيم
التوكل عبارة عن تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز
الذي يقهر اعداءك الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته الذي يراك حين تقوم اي الى صلواتك

وقيل يراك اين ما كنت وقيل يراك حين تقوم الى عبادتك **وتقلبك في الساجدين** قال ابن عباس اي
ويرى تقلبك في صلواتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقيل مع المصلين في الجماعة يقول يراك
اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك في المصلين فانه صلى الله عليه وسلم كان يبصر
من خلفه كما يبصر من قدامه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي
ها هنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم وركوعكم واني اراكم من وراء ظهري وقيل معناه من انت معه
وذهابك ومجيئك في اصحابك المومنين وقيل تصرفك في احوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن
عباس ورواه وتقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجك في هذه الامة **انه هو السميع** اي
لقولكم ودعائكم **العليم** اي بنيتك وعملك **هل انبئكم** اي هل اخبركم **على من تنزل الشياطين**
هذا جواب قولهم تتنزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل عليهم الشياطين فقال تعالى **تنزل على كل افاك**
اي كذاب **اثيم** اي فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين تسترق السمع ثم يلقون ذلك الى اوليائهم
من الانس وهو قوله **يلقون السمع** اي ما يسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة **واكثرهم كاذبون**
لانهم يخلطون به كذبا كثيرا قوله عز وجل **والشعراء يتبعهم الغاوون** قال اهل التفسير اراد
شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وهبيرة
ابن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وامية ابن ابي الصلت
الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد قالوا الشعر واجتمع اليهم غواة
قومهم يستمعون اشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك
قوله يتبعهم الغاوون هم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم
السفهاء الضالون وفي رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية **الم تر انهم في كل واد** اي من اودية
الكلام **يهيمون** بمعنى حائرين وعن طريق الحق جائرين والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له
قال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون
الشيء ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل لفنون الكلام والتعدي على الغائب والقوافي
وانهم يقولون ما لا يفعلون اي انهم يكذبون في شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون
عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شيء صدر منهم وعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلئ
شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الكفار ويهجون الكفار وينافحون
عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى **الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات** روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد انزل في الشعر
ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم
به نضح النبل وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه

وهو يقول

وهو يقول خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل
الخليل عن خليله فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل اخرجه الترمذي والنسائي
قال الترمذي وقد روي في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب
ابن مالك بين يديه وهذا اصح عند بعض اهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة
القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة كانت سنة
ثمان والله اعلم وعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين
فان جبريل معك خ م وعن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد
عليها من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فارسل الى كعب بن مالك ثم ارسل
الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع
لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع
فقال والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت
وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى قال حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه ، وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا ، رسول الله شيمته الوفاء
فان ابي ووالده وعرضي ، لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي ان لم تروها ، تثير النقع من كنفي كداء
يبارين الاعنة مصعدات ، على اكتافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ، تلطمهن بالخمر النساء
فان اعرضتم عنا اعتمرنا ، وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم ، يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد ارسلت عبدا ، يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جندا ، هم الانصار عرضتها اللقاء
تلاقي كل يوم من معد ، سباب او قتال او هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ، ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ، وروح القدس ليس له كفاء

فصل

في مدح الشعر عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة وعن ابن عباس قال جاء
اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما اخرجه

ابو داود وغيره عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل لك
معك من شعر امية ابن ابي الصلت شيء. قلت نعم قال هيه فانشدته مائة بيت زاد في رواية لقد
كاد يسلم في شعره. عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان
اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت فربما يتبسم معهم اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن
ودع القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة
وروي عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده فروي انه دعا عمر بن ابي
ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها امن ال نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح
فمهجر فانشده القصيدة الى اخرها وهي قريب من سبعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة
جميعا وكان حفظها بمرة واحدة وقوله تعالى وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن
ذكر الله تعالى وانتصروا من بعد ما ظلموا اي انتصروا من المشركين لانهم بدؤوا بالهجاء ثم
اوعد شعراء المشركين فقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجاء اي منقلب ينقلبون اي اي مرجع يرجعون اليه بعد
الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير والله اعلم. تفسير سورة النمل وهي مكية
وهي ثلاث وقيل اربع وتسعون اية والف وماية وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبعماية وتسعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل طس تلك ايات القران اي هذه ايات القران وكتاب مبين اي وايات
كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين اي هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة الذين يقيمون
الصلاة اي الخمس بشرائطها ويؤتون الزكاة اي اذا وجب عليهم طيبة بها انفسهم
وهم بالاخرة هم يوقنون يعني ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة
ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة حتى راوها حسنة وقيل ان التزيين
هو ان يخلق الله في قلبه العلم بما فيه من المنافع واللذات ولا يخلق فيه العلم بما فيه من
المضار والافات فهم يعمهون اي يترددون فيها متحيرين اولئك الذين لهم سوء
العذاب اي اشده وهو القتل والاسر وهم في الاخرة هم الاخسرون اي انهم خسروا انفسهم
واهليهم وصاروا الى النار وانك لتلقى القران اي تؤتاه وتلقنه وحيا من لدن حكيم
اي حكيم عليم اي عليم فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم
بالامور العلمية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون علميا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية اشرف
قوله عز وجل اذ قال اي اذكر يا محمد اذ قال موسى لاهله اي في مسيره من مدين الى مصر اني
انست اي ابصرت نارا سآتيكم منها بخبر اي امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وكان
قد ترك الطريق او آتيكم بشهاب قبس الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة

منها

منها او قيل القبس هو العود الذي في احد طرفيه نار **لعلكم تصطلون** اي تستدفيون من البرد وكان
في شدة الشتاء **فلما جاءها نودي ان بورك من في النار** اي بورك على من في النار وقيل البركة
راجعة الى موسى والملايكة والمعنى بورك من في طلب النار وهو موسى **ومن حولها** وهم
الملايكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد بالنار النور
ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملايكة وذلك ان النور الذي راه
موسى كان فيه ملايكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب
منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك في النار
ومن حولها وهم الملايكة وموسى وروي عن ابن عباس في قوله بورك من في النار وهو الله
تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى واسمعه من جهتها كما روي انه مكتوب في التوراة
جاء الله من سيناء واشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثه
موسى منه ومن ساعير بعثه المسيح منه ومن جبال فاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها
وهي احدى حجب الله عز وجل كما جاء في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما
انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله تعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى **وسبحان
الله رب العالمين** ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال تعالى **يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم**
قيل معناه ان موسى قال من المنادي فقال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على
يده من المعجزات والمعنى انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو
قوله تعالى **والق عصاك** لتنجي [illegible] فالقاها فصارت حية **فلما راها تهتز** اي تتحرك **كانها
جان** وهو الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها **ولى مدبرا** اي هاربا من الخوف **ولم يعقب**
اي لم يرجع ولم يلتفت قال الله عز وجل **يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون** يريد
اذا امنتهم لا يخافون اما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه
وسلم انا اخشاكم لله **الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم** قيل هو ما يصدر
من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل ان يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى
من قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى اني ظلمت نفسي ثم
انه خاف من ذلك فتاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له قال ابن جريج قال الله
لموسى انما اخفتك لقتلك النفس ومعنى الاية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه
احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا التاويل يكون صحيحا وتناهى النفي عن الرسل
عند قوله الا من ظلم ثم ابتدا الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفي الاية استغنى عن
ذكره بدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل
ليس هذا استثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك معناه لا يخاف
لدي المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهو من الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم

من سائر الناس فإنهم يخافون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم أي أغفر له وأزيل خوفه
وقيل إلا هاهنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني
غفور رحيم يعني تاب من بعد ظلمه فإني غفور رحيم ثم إن الله تعالى أراه آية أخرى فقال عز وجل
وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا أزرار فأدخل
يده في جيبها وأخرجها فإذا هي تبرق مثل شعاع الشمس أو البرق من غير سوء أي من غير برص
في تسع آيات أي هذه آية من تسع آيات أنت مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات إحدى
عشر العصا واليد والسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في
بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من أي من تسع آيات فتكون اليد والعصا من
التسع إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين أي خارجين عن الطاعة فلما جاءتهم
آياتنا مبصرة أي بينة واضحة يبصر بها قالوا هذا أي الذي نراه سحر مبين أي ظاهر
وجحدوا بها أي كذبوا أي أنكروا الآيات ولم يقروا أنها من عند الله واستيقنتها أنفسهم
أي علموا أنها من عند الله والمعنى أنهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم
ظلما وعلوا أي شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
يعني الغرق قوله عز وجل ولقد آتينا داود وسليمان علما أي علم القضاء والسياسة
وعلم داود تسبيح الجبال والطير وعلم سليمان منطق الطير والجبال والدواب وقالا
الحمد لله الذي فضلنا أي بالنبوءة والكتاب والملك وتسخير الإنس والجن على كثير
من عباده المؤمنين أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما أو لم يؤت مثل علمهما
وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل إنهما لم يفضلا أنفسهما
على الكل وهذا يدل على حسن التواضع قوله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوءته
وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطي سليمان
ما أعطي داود وزيد له تسخير الريح والجن والإنس والشياطين قال مقاتل كان سليمان
أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان
شاكرا لأنعم الله وقال يعني سليمان يا أيها الناس علمنا منطق الطير سمى صوت
الطير منطقا لحصول الفهم منه روى عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال صاح ورشان
عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب
وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح
طاووس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدين تدان وصاح صرد فقال أتدرون
ما يقول قالوا لا قال إنه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول
قالوا لا قال فإنها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول
قالوا لا قال إنه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها

تقول

تقول سبحان ربي الاعلى ملء سماواته وارضه وصاح قمري فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان
ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحداة تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت
سلم والببغا تقول ويل لمن همه الدنيا والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي
وبحمده والضفدع ايضا تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان
فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر
سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل
قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروي ان جماعة من اليهود قالوا
لابن عباس انا سائلوك عن سبعة اشياء فان اخبرتنا امنا وصدقنا فقال سلوا تفقها لا تعنتا
قالوا اخبرنا ما يقول القنبر في صفيره والديك في صقيعه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه
والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج فقال نعم اما القنبر فانه يقول اللهم العن
مبغض محمد وال محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين واما الضفدع فانه يقول سبحان الله
المعبود في البحار واما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار واما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان
سبوح قدوس رب الملائكة والروح واما الزرزور فانه يقول اللهم اني اسالك قوت يوم بيوم
يا رزاق واما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم اولئك اليهود وحسن
اسلامهم وروي عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده الحسين بن علي رضي الله عنه قال اذا
صاح النسر قال ابن ادم عش ما شئت اخره الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس
انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغضي ال محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين
كما يمد القارئ وقوله **واوتينا من كل شيء** اي مما اوتي الانبياء والملوك قال ابن عباس من امر
الدنيا والاخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين **ان هذا لهو
الفضل المبين** اي الزيادة الظاهرة على ما اعطي غيرنا روي ان سليمان اعطي مشارق الارض
ومغاربها فملك ذلك اربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب
والسباع واعطي مع هذا كله منطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنايع العجيبة قوله تعالى
وحشر اي وجمع **لسليمان جنوده من الجن والانس والطير** من الاماكن المختلفة في مسير له
فهم يوزعون اي يحبسون حتى يرد اولهم على اخرهم قيل كان على جنوده وزعة وهم النقباء
ترد اولاها على اخراها لئلا تتقدم في السير قال محمد بن كعب القرظي قال عسكر سليمان مائة
فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش
وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان
يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على
كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حولهم والجن والشياطين حول الناس
والوحش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وكان له الف بيت من قوارير على

الخشب فيه ثلاثمائة صريحة يعني حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر
الرخاء فتمشي به واوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد
من الخلائق بشيء الا جاءت الريح فاخبرتك به قوله عز وجل حتى اذا اتوا على واد النمل اي
اشرفوا على واد النمل روي عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه
وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد وقدور عظام تسع كل قدر عشرة من الابل
فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين
يديه والريح تهوي به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله
عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في اخر الزمان طوبى لمن امن
به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة راى حول البيت اصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه
بكى البيت فاوحى الله اليه ما يبكيك فقال يا رب ابكاني ان هذا نبي من انبيائك ومعه قوم من
اوليائك مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى اليه
لا تبك فاني سوف املا وجوهك سجدا وانزل فيك قرانا جديدا وابعث منك نبيا في اخر
الزمان احب انبيائي الي واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وافرض على عبادي فريضة يدفون
اليك دفيف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك
من الاوثان وعبدة الشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فاتى على وادي
النمل كذا قال كعب وقيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل ان ذلك النمل
امثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور انه النمل الصغير قالت نملة قيل كانت عرجاء وقيل
كان لها جناحان وقيل اسمها طاحية وقيل جرما يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولم يقل ادخلن
كانه جعل لهم عقولا كالادميين فخوطبوا خطاب الادميين وهذا ليس بمستبعد ان يخلق الله
فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك لا يحطمنكم اي يكسرنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
قال اهل التفسير علم النمل ان سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم ومعنى الاية انكم
لو لم تدخلوا حطموكم ولم يشعروا وقيل فسمع سليمان قولها من ثلاثة اميال وكان لا يتكلم احد الا حملته
الريح حتى تلقيه في مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم
فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهم فوق البساط على متن الريح قلت
اراد والنزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت النملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم
ما داموا على الريح يحملهم في الهوى لا يخاف حطمهم فتبسم ضاحكا من قولها قيل اكثر ضحك الانبياء
التبسم ومعنى ضاحكا متبسما وقيل كان اوله التبسم واخره الضحك عن عائشة
قالت ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى لهواته انما كان
يتبسم عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان قلت ما سبب ضحك سليمان قلت شيئان احدهما ما دل من قولها على ظهور رحمته

ورحمة جنوده

وحطمة جنوده وشفقتها وذلك قوله وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا الثاني سروره
بما اتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه سمعه ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا راى او سمع ما لا عهد
له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم عليه وقال رب اوزعني اي الهمني ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اي ادخلني
في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين
قوله عز وجل وتفقد الطير اي طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير فقال
ما لي لا ارى الهدهد وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاله بالنوبة وذلك
ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنده الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدهد
فنظر فرآه خاليا وروي عن ابن عباس ان الهدهد كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف
موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر الارض
ثم تجيء الشياطين فيسلخونه ويستخرجونه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا
قال له نافع بن الازرق يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب
فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال
دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا
واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدل سليمان على الماء فقال ما لي لا ارى
الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه ادركه الشك فقال ام كان من الغائبين
اي اكان وقيل بل كان من الغائبين ثم اوعده على غيبته فقال لاعذبنه عذابا شديدا
قيل هو ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل
لاودعنه في القفص او لاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه او لاذبحنه
او ليأتيني بسلطان مبين اي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد
على ما ذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم
فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما اتى الحرم
اقام ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف
ثور وعشرين الف شاة وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته
كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في
الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يدين يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى
لمن ادركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار الف سنة فليبلغ
الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من
مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسنة

نزلهم حيث تعرف ما يجب النزول بها ببصره ويتعرف لما نزل قال الهدهد قد اشتغل سليمان بالنزول
فارتفع نحو السماء فانظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا راى بستانا
لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد اخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن يعفير
فقال عفير ليعفور من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود
قال ومن سليمان قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش والرياح فمن انت قال عفير
انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امراة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس
ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها اربع ماية ملك كل ملك على كورة مع كل ملك
اربعة الاف مقاتل ولها ثلاثماية وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر قائدا مع كل قائد اثنا عشر الف
مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا
احتاج الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك لا يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق
ونظر الى بلقيس وملكها واقبل سليمان فانه نزل على غير ماء فسال عن الهدهد الجن والانس
فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال
اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الاية
ثم دعا العقاب وهو اشد الطير فقال علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب في الهوى حتى
نظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فاذا الهدهد مقبلا من نحو
اليمن فانقض العقاب يريده وعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال بحق الله الذي قواك
علي واقدرك علي الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال له ويلك ثكلتك امك ان
نبي الله قد حلف ان يعذبك او يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر
تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك اين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله واخبروه
بما قال سليمان فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال الا ان ياتيني بسلطان مبين
قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك
به يا نبي الله فلما دنا منه الهدهد رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا
لسليمان فلما دنى منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي
الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم ساله ما الذي ابطاك
عني فقال الهدهد ما اخبر الله عنه في قوله **فمكث غير بعيد** اي غير طويل **فقال احطت بما لم تحط**
به اي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ انت وجنودك الهم الله الهدهد هذا الكلام وكلم سليمان
تنبيها على ان ادنى خلقه قد احاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة
بالشيء علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم **وجئتك من سبا** قيل هو
اسم للبلد مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال كان رجلا له عشرة من البنين تيامن منهم اربعة وتشاءم

اربعة

اربعة **بنبإ** اي بخبر **يقين** فقال سليمان وما ذاك قال **اني وجدت امراة تملكهم** يعني بلقيس
بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو
اخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج
فيهم فخطب الى الجن فزوجوه امراة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن فقيل في سبب
وصوله الى الجن حتى خطب اليهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صور الظباء فخلى
عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل
انه خرج متصيدا فراى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء
فقتل السوداء اعني البيضاء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت فاطلقها فلما رجع الى
داره جلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه فقال لا تخف انا الحية البيضاء
التي احييتني والاسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال
فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس
وجاء في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في
الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وابى اخرون وملكوا عليهم رجلا
اخر يقال له ابن اخ الملك وكان خبيثا اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده
الى حرم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رات بلقيس
ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني
ان ابتدئك بالخطبة الا الياس منك فقالت لا ارغب عنك لانك كفو كريم فاجمع رجال
اهلي واخطبني بجمعهم فخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال بلى انها رغبت في فذكروا ذلك
لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في اناس كثير من حشمها وخدمها
ولما خلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت راسه وانصرفت الى منزلها من
الليل فلما اصبحت ارسلت الى وزرائه واحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من يانف
لكريمته او كرائم عشيرته ثم اروتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم
فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها وفي خبر
عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت
كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة **واوتيت من كل شيء** يعني ما يحتاج اليه الملوك
من الالة والعدة **ولها عرش عظيم** اي سرير ضخم حال فان قلت كيف استعظم
الهدهد عرشها مع ما راه من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل انه استعظم
ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله كما ينبغي ان يكون
لبعض الامراء شيء لا يكون للملك مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر و
الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه

سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثون ذراعا وقيل
كان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه
ثلاثون ذراعا قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس من
دون الله وذلك انهم كانوا مجوسا يعبدون الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم التي هي سجود
الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الغوا فصدهم عن السبيل اي عن طريق
الحق الذي هو الاسلام فهم لا يهتدون اي الى الصواب الا يسجدوا قرئ بالتخفيف ومعناه الا
ايها الناس اسجدوا وهو امر من الله مستانف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان
اعمالهم لان لا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء يعني الخبا المختفي في السماوات والارض فخبء
السماوات المطر وخبء الارض النبات ويعلم ما يخفون وما يعلنون والمقصود من هذا الكلام
الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على ما في السماوات
والارض عالم بجميع المعلومات الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اي مستحق العبادة والسجود
له هي له فصل وهذه السجدة من عزايم السجود يستحب للقارئ والمستمع
ان يسجد عند قراءتها فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم
فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى امثالها
من ملوك الدنيا واما وصف عرش الله تبارك وتعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات
من السماوات والارض فحصل الفرق فلما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان سننظر
اصدقت اي فيما اخبرت ام كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا
الركايا وروي الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من سليمان بن داود الى بلقيس
ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا
علي واتوني مسلمين قيل لم يزد سليمان على ما قص الله كتابه وكذلك الانبياء كانوا
كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه
بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه
جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قال فالقه
الى الذين هذا دينهم ثم تول عنهم اي تنح عنهم فكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون
اي يردون من الجواب وقيل فيه تقديم في الاية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم
اي انصرف اليه فاخذ الهدهد الكتاب واتى الى بلقيس وكانت بارض مارب اليمن على من
ثلاث مراحل من صنعا فوجدها نايمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت راسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فالقى الكتاب على نحرها
وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المراة وحولها القادة والوزراء فرفرف
ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس راسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب

ابن منبه

ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت
لها فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس
قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارية فلما رأت الخاتم
ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا
منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها
وجمعت الملأ من قومها وهم الأشراف قال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة
ألف والقيل الملك دون الملك الأعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا
كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل فجاؤوا وأخذوا مجالسهم فقالت لهم بلقيس يا أيها الملأ
إني ألقي إلي كتاب كريم قيل سمته كريما لأنه كان مختوما روى ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه قال ابن عباس كريم أي شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن
الكتاب فقالت إنه من سليمان وبينت المكتوب فقالت وإنه بسم الله الرحمن الرحيم
فإن قلت لم قدم اسم سليمان على اسم الله تعالى قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ
سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وإنما ذكرت بلقيس أن هذا الكتاب من
سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت إنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي قال
ابن عباس لا تتكبروا علي والمعنى لا تمتنعوا من الإجابة فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر
وأتوني مسلمين أي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد قالت يا أيها الملأ
أفتوني في أمري أي أشيروا علي فيما عرض لي ما كنت قاطعة أي قاضية وفاصلة أمرا حتى
تشهدون أي تحضرون قالوا يعني الملأ مجيبين لها نحن أولوا قوة أي في الجسم على القتال وأولوا
بأس شديد أي عند الحرب وقيل أراد بالقوة كثرة العدد والبأس الشجاعة وهذا تعريض
منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا والأمر إليك أيتها الملكة أي في القتال وتركه فانظري
ماذا تأمرين أي تجدينا مطيعين لأمرك قالت بلقيس مجيبة لهم عن التعرض للقتال وما يؤول
إليه أمره إن الملوك إذا دخلوا قرية أي عنوة أفسدوها أي خربوها وجعلوا أعزة
أهلها أذلة أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر ثم حذرتهم بذلك مسير
سليمان إليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عندها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى وكذلك
يفعلون أي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قول الهدهد وهو كالتأكيد لما قالت ثم قالت وإني
مرسلة إليهم أي إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه بها على ملكي وأختبره بها أملك هو
أم نبي فإن كان ملكا قبل الهدية ورجع وإن كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نتبعه
على دينه وهو قولها فناظرة بم يرجع المرسلون وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة
قد ساست الأمور وجربتها وبعثت وصايف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة
وقال وهب وغيره عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري لباس الغلمان

الاقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في ايديهم اساور الذهب وفي اعناقهم
اطواق الذهب وفي اذانهم اقرطة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسماية
برذون على كل برذون سرج من الذهب مرصع بالجوهر واغشيته الديباج وبعثت اليه لبنات من
ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وارسلت بالمسك والعنبر والعود
والالنجوج واعتمدت الى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة
الثقب وبعثت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها
احكماء عقلاء ورايا وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء
والوصايف واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل في الخرزة خيطا
من غير علاج انس ولا جن وامرت الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث
وتخنيث يشبه كلام النساء وامرت الجواري ان يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم
قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا
يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي فتفهم قوله ورد الجواب
فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن
ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم ميدانا مقداره فرسخ في فرسخ وان يفرشوا فيه
لبن الذهب والفضة وان يخلوا قدر تلك اللبنات التي معهم وان يعملوا حول الميدان حايطا مشرفا
من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اي الدواب البر والبحر احسن فقالوا يا نبي الله ما راينا احسن من دواب
في البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي قال علي بها الساعة فاتوه
بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن علي باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم
على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع اربعة الاف كرسي على يمينه
وشماله وامر الجن والانس والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه
وشماله فلما دنى القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث
على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا ما معهم من الهدايا وقيل ان سليمان
لما امرهم بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبنات
فلما راى الرسول موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن
في ذلك الموضع ولما نظروا الى الشياطين هالهم ما راوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين
جوزوا فلا باس عليكم وكانوا يمرون على كراديس الجن والانس والوحش والطير حتى وقفوا بين
يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملتقا حسنا وسالهم عن حالهم فاخبره
رئيس القوم بما جاءوا فيه واعطوه كتاب الملكة ونظر فيه وقال اين الحقة فاتي بها فحركها
فجاءه جبريل فاخبره بما فيها فقال لهم ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة معوجة
الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي بثقبها

وسال الجن والانس

وسال الجن والانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال الشياطين فقالوا نرسل الى الارضة فلما جاءت
الارضة اخذت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما
حاجتك فقالت يصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء
انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب
الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت يكون رزقي في الفواكه فقال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان
والجواري بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تاخذ الماء بيدها وتجعله
بيدها الاخرى وتغسل وجهها والغلام ياخذ الماء بيده ويضرب به وجهه وكانت الجارية
تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظهره فميز بذلك بين الغلمان والجواري ثم رد
سليمان الهدية كما اخبر الله تعالى فقال تعالى **فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني الله**
اي ما اعطاني من الدين والنبوءة والحكمة والملك **خير** اي افضل **مما اتاكم بل انتم**
بهديتكم تفرحون معناه انكم اهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا تفرحون باهداء بعضكم
الى بعض واما انا فلا افرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد اعطاني منها ما لم يعط
احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوءة قال للمنذر بن عمرو امير الوفد **ارجع اليهم** اي بالهدية
فلناتينهم بجنود لا قبل اي لا طاقة **لهم بها ولنخرجنهم** اي من ارض سبا **منها**
اذلة وهم صاغرون اي ان لم ياتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتب لما رجعت رسل
بلقيس اليها من عند سليمان وبلغوها ما قال قالت والله قد عرفت ما هذا بملك وما لنا
به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما الذي تدعو
اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته في اخر سبعة ابيات بعضها داخل بعض ثم اغلقت
عليه السبعة الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ
بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه احد ثم امرت مناديا ينادي في اهل مملكتها تؤذنهم
بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة
قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدئ بشيء حتى يكون هو يسال
عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فسمع رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت
منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده و **قال يا ايها**
الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال ابن عباس يعني طائعين وقيل
مومنين وقيل غرض سليمان في احضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى واظهار معجزة
دالة على نبوءته وقيل اراد ان ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان
علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه لانه اعجبه
صفته لما وصفه الهدهد له وقيل اراد ان يعلم قدر ملكها لان قدر السرير على قدر المملكة
قال عفريت من الجن وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه

شوهني وقيل داهي وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبال يضع قدمه عند منتهى طرفه **انا**
آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك للقضاء قال ابن عباس وكان له كل غداة مجلس يقضي
فيه الى متسع النهار وقيل نصفه **واني عليه** اي على حمله **لقوي امين** اي على ما فيه من الجواهر وغيرها
قال سليمان اريد اسرع من ذلك **قال الذي عنده علم من الكتاب** قيل هو جبريل وقيل هو
ملك ايد الله به سليمان وقيل آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا
دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه اعلم بني اسرائيل بالكتاب
وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون الخطاب للعفريت الذي كلمه فاراد سليمان اظهار معجزته
فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتاتى له من سرعة الاتيان ما لا يتاتى للعفريت قيل
كان الدعاء الذي دعا به يا ذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم وروي نحو ذلك عن عائشة وروي
عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا
انت ائتني بعرشها **قال** ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى
ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة
فحملوا السرير يجرون به تحت الارض حتى نبع بين يدي سليمان وقيل خر آصف ساجدا
ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان وقيل طارت
انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال سليمان هات قال انت النبي بن النبي وليس
احد اوجه عند الله منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل فجيء بالعرش
في الوقت **فلما رآه** يعني رأى سليمان العرش **مستقرا عنده** اي محمولا اليه من مارب الى الشام
في قدر ارتداد الطرف **قال هذا من فضل ربي** يعني التمكن من حصول المراد **ليبلوني ءاشكر**
اي نعمته علي **ام اكفر** اي فلا اشكرها **ومن شكر فانما يشكر لنفسه** اي يعود نفع شكره
اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد
النعمة المفقودة **ومن كفر فان ربي غني** اي عن شكره لا يضره ذلك الكفران **كريم** اي في الافضال
عليه لا يقطع نعمه عليه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة **قال نكروا لها عرشها**
يعني غيروا السرير الى حال تنكره اذا راته قيل هو ان يزاد فيه وينقص منه وقيل انه جعل
اسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر **ننظر اتهتدي** اي الى معرفة عرشها
ام تكون من الذين لا يهتدون اي الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب
وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه اسرار الجن لان امها
كانت جنية واذا اولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤوا الثناء
عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمير وانها شعراء الساقين
فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح **فلما جاءت قيل**
اهكذا عرشك قالت كانه هو قيل انها عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا

عليها

عليها وقيل انه كانت حكيمة فلم تقل نعم خوفا من الكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب ايضا وقالت
كانه هو فعرف بذلك سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها امر
العرش لانها تركته في بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح قيل لها فانه عرشك
فما اغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت **واوتينا العلم** اي بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات
المتقدمة من امر الهدهد والرسل **من قبلها** اي من قبل الآية في العرش **وكنا مسلمين**
اي منقادين طائعين لامر سليمان وقيل قوله واوتينا العلم من قبلها هو من قول سليمان
ومعناه واوتينا بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المراة وكنا مسلمين ويكون الغرض
من هذا الشكر نعمة الله عليه ان خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه واوتينا
العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين له قوله عز وجل
وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة
الله وقيل معناه وصدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه **انها
كانت من قوم كافرين** اخبر الله انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم
ولم تعرف الا عبادة الشمس **قيل لها ادخلي الصرح** وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها
بتنكير العرش اراد ان ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان يسال لها كشفهما لما اخبرته
الجن ان رجليها كحافر الحمار ومشعرة الساقين فامر الشياطين فعملوا له قصرا من زجاج
ابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته الماء والقى فيه السمك والضفادع
وغيرها من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح
ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفاء والوصائف فلما جلس على السرير دعا بلقيس
فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح **فلما راته حسبته لجة** اي ماء عظيما **وكشفت عن
ساقيها** لتخوض الماء الى سليمان فنظر سليمان فاذا هي احسن النساء ساقا وقدما
الا انها كانت شعراء الساقين فلما راى سليمان ذلك صرف بصره عنه **قال انه صرح ممرد**
اي مملس **من قوارير** اي زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك
وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة **فقالت رب
اني ظلمت نفسي** بعبادة غيرك **واسلمت مع سليمان لله رب العالمين** اي اخلصت
له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح فظنته لجة قالت في نفسها سليمان
يريد ان يغرقني وكان القتل اهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت
نفسي اي بذلك الظن **واختلفوا** في امر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى
امرها الى قولها اسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في
خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها وكره ما راى من كثرة شعر ساقيها فقال للانس ما يذهب
بذلك فقالوا الموسى فقالت المراة اني لم يمسني حديدة قط فكره سليمان الموسى

وقال انما نقطع سافيها فسال الجن فقالوا لا ندري فسال الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون
كالفضة البيضاء فاتخذ النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ ولما تزوجها
سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة
حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها
في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام يتنقل من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت
له فيما ولد ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري
رجلا من قومك حتى ازوجكه اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي الملك
والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله لك فقالت فان
كان لا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وردها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع اليمن
ودعا زوبعة ملك جن اليمن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى
ان مات سليمان وحال الحول وتيقنت الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن
صرخ باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم
وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث
عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل **ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان
اعبدوا الله** اي وحدوه ولا تشركوا به شيئا **فاذا هم فريقان** اي مومن وكافر **يختصمون** اي في
الدين كل فريق يقول الحق معنا **قال** يعني صالحا للفريق المكذب **يا قوم لم تستعجلون بالسيئة**
اي البلاء والعقوبة **قبل الحسنة** اي العافية والرحمة **لولا** اي هلا **تستغفرون الله** اي
بالتوبة اليه من الكفر **لعلكم ترحمون** اي لا تعذبون في الدنيا **قالوا اطيرنا** اي تشاءمنا **بك وبمن معك**
قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك المطر عنهم فقالوا انما اصابنا هذا الضر والشدة
من شومك وشوم اصحابك **قال طائركم عند الله** اي ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله وهو مكتوب
عليكم سمي الشوم الذي اتاهم من عند الله بفعلكم وقيل طائركم اي عملكم عند الله سمي طائرا
لسرعة صعوده الى السماء **بل انتم قوم تفتنون** قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر
وقيل معناه تعذبون قوله تعالى **وكان في المدينة** يعني مدينة ثمود وهي الحجر **تسعة رهط**
يعني من ابناء اشرافهم **يفسدون في الارض** اي بالمعاصي **ولا يصلحون** اي لا يطيعون وهم
غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف **قالوا تقاسموا بالله** يعني
يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم **لنبيتنه** اي لنقتلنه بياتا **واهله** اي وقومه
الذين امنوا به **ثم لنقولن لوليه** اي لولي دمه **ما شهدنا** اي ما حضرنا **مهلك اهله** اي لا ندري
من قتله ولا اهلاك اهله **وانا لصادقون** اي في قولنا ما شهدنا ذلك **ومكروا مكرا** اي غدروا
غدرا حين قصدوا تبييت صالح وقتله **ومكرنا مكرا** اي جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم **وهم
لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم** اي اهلكناهم يعني التسعة

قال ابن عباس

قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار
صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع
القوم بالصيحة وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا أي بظلمهم وكفرهم
إن في ذلك لآية أي لعبرة لقوم يعلمون أي قدرتنا وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
يقال إن الناجين كانوا أربعة آلاف قوله تعالى ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة أي
الفعلة القبيحة وأنتم تبصرون أي تعلمون أنها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل
معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم أئنكم لتأتون الرجال شهوة
من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فإن قلت إذ أنتم تبصرون بالعلم وقع قال
بعده بل أنتم قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين
وتعلمون أنها فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون يعني من
أدبار الرجال فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين أي قضينا عليها بأن
جعلناها من الغابرين أي الباقين في العذاب وأمطرنا عليهم مطرا أي حجارة فساء أي فبئس
مطر المنذرين قوله عز وجل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى هذا
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية وقيل
يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الأنبياء والمرسلين وقال ابن
عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وقيل هم جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين آلله خير أما تشركون فيه تبكيت
للمشركين وإلزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى الله خير لمن عبده أم الأصنام
لمن عبدها فإن الله أنجى من عبده وآمن به من الهلاك والأصنام لم تغن شيئا عن عابديها
عند نزول العذاب ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته فالنوع
الأول قوله تعالى أمن خلق السماوات والأرض ذكر أعظم الأشياء المشاهدة الدالة
على عظم قدرته والمعنى الله خير أم الذي خلق السماوات والأرض ثم ذكر نعمه فقال وأنزل
لكم من السماء ماء يعني المطر فأنبتنا به حدائق أي بساتين جمع حديقة وهو البستان
المحاط عليها فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة ذات بهجة أي ذات منظر حسن كان
والبهجة الحسن يبتهج به من يراه ما كان لكم أن تنبتوا شجرها يعني ما ينبغي لكم لأنكم لا تقدرون
على ذلك لأن الإنسان قد يقول أنا المنبت للشجر بأن أغرسها وأسقيها الماء فأزال
الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف
والطعوم والروائح تسقى بماء واحد لا يقدر عليه أحد إلا الله سبحانه وتعالى ولا يتأتى لأحد
وإن تأتى ذلك لغيره محال أإله مع الله يعني هل معه معبود أعانه على صنعه بل يعني

ليس معه اله ولا له شريك بل هم قوم يعني كفار مكة يعدلون يشركون وقيل يعدلون عن هذا
الحق الظاهر الى الباطل النوع الثاني قوله عز وجل امن جعل الارض قرارا اي دحاها وسواها
للاستقرار عليها وقيل لا تميد باهلها وجعل خلالها اي وسطها انهارا تطرد بالمياه
وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت وجعل بين البحرين يعني العذب والمالح حاجزا اي
مانعا لئلا يختلط احدهما بالآخر أاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون اي توحيده وقدرته
وسلطانه النوع الثالث قوله عز وجل امن يجيب المضطر اي المكروب المجهود وقيل
المضرور الحاجة المحوجة من مرض او نازلة من نوازل الدهر الجاته الى اللجا والالتجا
والتضرع الى الله وقيل هو المذنب اذا استغفر اذا دعاه يعني فيكشف ضره ويكشف
السوء اي الضر لانه لا يقدر على تحويل من فقر الى غنا ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر
الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع ويجعلكم خلفاء الارض اي سكانها وتملكه الله وورثهم
سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل اولادكم خلفاءكم وقيل جعلكم خلفاء الجن
في الارض أاله مع الله قليلا ما تذكرون اي تتعظون النوع الرابع قوله عز وجل امن
يهديكم في ظلمات البر والبحر اي يرشدكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين
في البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر أاله مع الله تعالى
الله عما يشركون النوع الخامس قوله تعالى امن يبدؤا الخلق اي نطفا في الارحام ثم
يعيده اي بعد الموت ومن يرزقكم من السماء يعني بالمطر والارض يعني النبات أاله مع الله
قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على قولكم ان مع الله الهة اخرى ان كنتم صادقين قوله عز وجل
قل لا يعلم من في السماوات والارض الغيب الا الله نزلت في المشركين حيث سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة والمعنى ان الله تعالى هو الذي يعلم الغيب وحده ويعلم
متى تقوم الساعة وما يشعرون ايان يبعثون يعني ان من في السماوات وهم الملائكة
ومن في الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون وان الله تفرد بعلم ذلك بل ادارك علمهم
اي بلغ ولحق علمهم في الآخرة وهو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا
في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله بل هم في شك منها اي هم
اليوم في شك من الساعة بل هم منها عمون جمع عم وهو عمى القلب وقيل معنى الآية
ان الله اخبر انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا به فيها من الثواب
والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله عز وجل وقال الذين كفروا يعني مشركي
مكة أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون اي من قبورنا احيا لقد وعدنا هذا اي هذا
البعث نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشيء ان هذا اي ما
هذا الا اساطير الاولين اي احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم اي على تكذيبهم اياك

حجم تعجمي

واعراضهم

واعراضهم عنك ولا تكن في ضيق مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب
مكة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم اي دنا وقرب
لكم وقيل معناه ردفكم بعض الذي تستعجلون اي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر قوله تعالى
وان ربك لذو فضل على الناس يعني على اهل مكة حيث لم يعجل بهم العذاب ولكن اكثرهم
لا يشكرون اي ذلك وان ربك ليعلم ما تكن اي تخفي صدورهم وما يعلنون اي من
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من غائبة اي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي
امر وشيء غائب في السماء والارض الا في كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ ان
هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اي يبين لهم اكثر الذي هم فيه يختلفون اي
من امر الدين وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا احزابا يطعن بعضهم
على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه وانه يعني القرآن لهدى ورحمة
للمومنين ان ربك يقضي بينهم اي يفصل ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة
بحكمه اي الحق وهو العزيز اي المنيع الذي لا يرد له امر العليم باحوالهم فلا
يخفى عليه شيء منها فتوكل على الله اي ثق به انك على الحق المبين اي البين
انك لا تسمع الموتى يعني موتى القلوب وهم الكفار ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين اي معرضين فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع سواء اقبل
او ادبر قلت هو تاكيد ومبالغة للاصم وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا فقد
يسمع برفع الصوت او يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انهم
لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه وكالاصم الذي لا يسمع
ولا يفهم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم معناه ما انت بمرشد من اعماه الله
عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان ان تسمع الا من يومن بآياتنا اي الا من يصدق
بالقرآن انه من الله فهم مسلمون اي مخلصون لله قوله عز وجل واذا وقع القول
عليهم يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة
عليهم وذلك اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك
في آخر الزمان قبل قيام الساعة اخرجنا لهم دابة من الارض عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال طلوع الشمس من مغربها
والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها
وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها
قريبا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها
خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو وجه المومن وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى

ان الاخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مومن وهذا يا كافر ويقول هذا يا كافر وهذا يا مومن اخرجه
الترمذي وقال هذا حديث حسن وروى البغوي باسناد الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية
ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو
ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم الناس يوما في اعظم المساجد على
الله حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو
كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسطه من ذلك فارفض
الناس عنها وتثبت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من
التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض
لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من
خلفه فتقول يا فلان الان تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس
في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المومن فيقال
للمومن يا مومن ويقال للكافر يا كافر وجا باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال من اعظم المساجد
حرمة على الله بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب
الارض وتنشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا اول ما يبدو منها راسها
ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مومنا وكافرا اما المومن
فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مومن واما الكافر فتكتب بين
عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروي عن ابن عباس انه قرع الصفا
بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة
جمع والناس يسيرون الى منى وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بيس الشعب
شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث
صرخات يسمعها من بين الخافقين وروي عن ابي الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس
الثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد
ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين
كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب
فيمس راسها السحاب ورجلاها في الارض وروي عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن
لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من راها ان
اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقوله تعالى **تكلمهم** اي بكلام عربي فصيح قيل
تقول هذا مومن وهذا كافر وقيل تقول ما اخبر الله **ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون**

تخبر الناس

تخبر الناس أن أهل مكة لا يؤمنون بالقرآن والبعث وفي تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح
قال ابن الجوزي سألت ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم أو تكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن
وتكلم الكافر قوله عز وجل ويوم نحشر من كل أمة فوجا أي نجمع من كل قرن جماعة ممن
يكذب بآياتنا فهم يوزعون أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى النار
حتى إذا جاءوا يعني يوم القيامة قال الله تعالى لهم أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها
علما أي ولم تعرفوها حق معرفتها أماذا كنتم تعملون أي حين لم تتفكروا فيها وقيل
معنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين
ووقع القول أي وجب العذاب عليهم بما ظلموا أي بما أشركوا فهم لا ينطقون أي بحجة
وقيل إن أفواههم مختومة ألم يروا أنا جعلنا أي خلقنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا أي مضيئا يبصر فيه وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لأن القادر على تقليب
الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الإعادة بعد الموت إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
أي يصدقون فيعتبرون قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور هو قرن ينفخ فيه إسرافيل
وقال الحسن الصور هو الصور ومعنى كلامه أن الأرواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب
الأرواح إلى الأجساد فتحيي بها الأجساد ففزع من في السماوات ومن في الأرض أي ماتوا
والمعنى أنه يلقي عليهم الفزع إلى أن يموتوا وقيل ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات
نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام إلى رب العالمين وقوله إلا من شاء الله
روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن قوله إلا من شاء الله قال
هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لأنهم
أحياء عند ربهم لا يصل إليهم الفزع وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت
فلا يبقى بعد النفخة الأولى إلا الأربعة ويروى أن الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس
إسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت
وتعاليت ذا الجلال والإكرام بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل
فيأخذ نفسه فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت
بقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول
تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني قال يا جبريل
لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق جناحيه فيروى أن فضل خلقه على ميكائيل كفضل
الطود العظيم على ضرب من الضراب ويروى أنه يبقى مع هؤلاء الأربعة حملة العرش فيقبض
روح جبريل ثم ميكائيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح إسرافيل ثم روح ملك الموت وإذا
لم يبق أحد إلا الله سبحانه وتعالى طوى السماوات كطي السجل للكتاب ثم يقول أنا الجبار
لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول تبارك وتعالى لله الواحد القهار وعز أي هي [illegible]

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الارض الا من شاء
الله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا انا بموسى اخذ بقائمة من قوائم العرش فلا
ادري اكان ممن استثناه الله عز وجل ام رفع راسه قبلي ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
وقيل الذين استثناهم الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقوله وكل اي الذين
احيوا بعد الموت اتوه اي جاءوه داخرين اي صاغرين قوله عز وجل وترى الجبال تحسبها
جامدة اي قائمة واقفة وهي تمر مر السحاب اي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض
فتستوي بها وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته
وعظمه وبعد ما بين اطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم
القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني
انه تعالى لما قدم ذكر هذه الاشياء التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء
التي اتقنها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة والصواب انه خبير بما تفعلون قوله
تعالى من جاء بالحسنة يعني بكلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وقيل الاخلاص
في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله تعالى فله خير منها قال ابن عباس فمنها يصل
الخير يعني انه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب اما ان
يكون له شيء خير من الايمان فلا لانه لا شيء خير من لا اله الا الله وقيل جزاء الاعمال والطاعات
الثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله
اكبر وقيل معنى خير منها الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشرة اضعاف لان الحسنة
استحقاق العبد والتضعيف من تفضل الرب تبارك وتعالى وهم من فزع يومئذ امنون فان
قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السماوات ومن في الارض قلت ان
الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهو يفجا من رعب وهيبة
وان كان المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم
امنون منه واما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاحوال فلا ينفك منه احد
ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار عبر بالوجه عن جميع البدن
كانه قال كبوا او طرحوا جميعهم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون اي تقول لهم
خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك قوله عز وجل انما امرت يعني
يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعني امرت
ان اخص بعبادتي وتوحيدي لله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين
ساير البلاد بالذكر لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم
لها لانها موطن نبيه ومهبط وحيه الذي حرمها اي جعلها الله حرما امنا لا يسفك
فيه دم ولا يظلم فيه احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر

انه هو

انه بقوله في حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لا من
الاصنام وله كل شيء اي خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين لله المطيعين
له وان اتلوا القران اي وامرت ان اتلو القران ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما امر به
اتم قيام على ما امر به فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي نفع الهدى اليه يرجع اليه
ومن ضل اي عن الايمان واخطا طريق الهدى فقل انما انا من المنذرين اي من المخوفين
وما علي الا البلاغ نسختها اية القتال وقل الحمد لله اي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني
من القيام باداء الرسالة والانذار سيريكم اياته اي الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو
يوم بدر وهو ما اراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وادبارهم وقيل اياته
في السماوات والارض وفي انفسكم فتعرفونها اي فتعرفون الايات والدلالات وما ربك
بغافل عما تعملون فيه وعيد لهم بالجزاء على اعمالهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القصص وهي مكية

الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية نزلت
بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وهي
ثمان وثمانون اية واربعمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة الاف وثمانمائة حرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
طسم تلك ايات اشارة الى ايات السورة الكتاب المبين قيل هو اللوح المحفوظ
وقيل هو الكتاب الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه يبين
فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام نتلوا عليك من نبا اي خبر موسى وفرعون بالحق
اي بالصدق لقوم يومنون اي يصدقون بالقران ان فرعون علا اي تكبر وتجبر في
الارض اي ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا في انواع الخدمة والتسخير يستضعف
طائفة منهم يعني بني اسراءيل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم سمى هذا استضعافا
لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن انفسهم انه كان من المفسدين اي بالقتل
والتجبر في الارض ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا في الارض يعني بني
اسراءيل ونجعلهم ائمة اي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة وملوكا ونجعلهم
الوارثين يعني املاك فرعون وقومه بان يخلفوهم في مساكنهم ونمكن لهم في الارض
اي نوطن لهم ارض مصر والشام ونجعلها لهم مسكنا ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم ما كانوا يحذرون اي يخافون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم على يد رجل
من بني اسراءيل فكانوا على حذر منهم فاراهم الله ما كانوا يحذرون قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى وحي الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوخابذ
من نسل لاوي بن يعقوب ان ارضعيه قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة

وقيل ثلاثة وكانت في ضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها فإذا خفت عليه أي الذبح فألقيه
في اليم أي البحر وأراد به نيل مصر ولا تخافي أي عليه من الغرق وقيل الضيعة ولا تحزني أي على فراقه
إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين قال ابن عباس إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر
استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله
عليهم القبط فاستضعفوهم إلى أن نجاهم الله على يد نبيه موسى ذكر القصة
في ذلك قال ابن عباس إن أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن
فرعون بحبالى نساء بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فقالت لها قد نزل
بي ما نزل فلينفعني اليوم حبك إياي فعالجت قبالتها فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نور بين عيني موسى فارتعش
كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حتى ما من قبل إلا ومرادي
قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك
فإني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا إلى بابها ليدخلوا
على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى في خرقة وألقته في التنور
وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم
موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما أدخل عليك القابلة قالت هي مصافية
لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى فأين الصبي
فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار
بردا وسلاما فاحتملته قال ثم إن أم موسى لما رأت فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف
الله في نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون
فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابني أخبئه في التابوت
وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت
انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام
وجعل يشير بيده فلم يدر الأمناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه
فلما انتهى النجار إلى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمناء فأتاهم
ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه فبقي حيران
فجعل لله عليه إن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه ويحفظه حيث ما كان فعرف الله
منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله
الله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها
عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن
به على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم إليهن
يفتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم

ينبوا

يشعروا ببطنها وكانت القوابل لا يتعرضن لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب
لها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت
عليه فالقيه في اليم فكتمته ثلاثة اشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم القته في اليم
وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون فيما يقال بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من
اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون
قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرا الا من قبل
البحر يوجد فيه شبه الانسان فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا من ذلك
وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون
الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امراته آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون
في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن
اذ اقبل النيل بالتابوت تضرب به الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق ائتوني
به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا
عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرات في جوف التابوت نورا لم يره
غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذا النور بين عينيه
وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فالقى الله محبته في قلب آسية واحبه
فرعون وعطف عليه واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى
ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرات فقبلته وضمته الى صدرها فقال الغواة
من قوم فرعون ايها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل
هو هذا رمي به في البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك
لا تقتلوه عسى ان ينفعنا اي فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد آسية
فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما
هداها فقيل لآسية سميه قال سميته موشى لانا وجدناه في الماء والشجر
لان مو هو الماء وشا هو الشجر فذلك قوله تعالى فالتقطه آل فرعون الالتقاط
وجود الشيء من غير طلب ليكون لهم عدوا وحزنا اي في عاقبة امرهم الى ذلك لانهم
لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين اي آثمين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لا يشعرون انه الذي يذهب
بملكهم وقالت امرات فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا
او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني من
الاعداء فيما اظن ذلك وقال كيف اخطا هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون

من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت ام للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت
لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانت امرت ان يذبح
الولدان لهذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه اتانا من ارض اخرى وليس
هو من بني اسرائيل فاستحياه فرعون والقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو ان الله
عدو الله قال في موسى كما قالت امراته عسى ان ينفعنا او نتخذه لنفعه الله ولكنه
ابى للشقاء الذي كتبه الله عليه قوله عز وجل **واصبح فؤاد ام موسى فارغا** اي
خاليا من كل شيء الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسية للوحي الذي اوحى
الله اليها عز وجل اليها حين امرها ان تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي
عهد اليها ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون
ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله فالقيتيه في البحر واغرقتيه ولما
اتاها الخبر بان فرعون اصابه في النيل انه في بيت عدوه الغرق فرت منه فانساها
عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها **ان كادت لتبدي به** اي لتصرح بانه ابنها
من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما رات التابوت
ترفعه موج وتضعه اخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها عليه وقيل كادت
تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون فشق عليها ذلك وكادت
تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي اوحى الله اليها ان يرده عليها **لولا ان ربطنا
على قلبها** اي بالعصمة والصبر والتثبيت **لتكون من المومنين** اي المصدقين بوعد الله اياها
وقالت لاخته اي لمريم اخت موسى **قصيه** اي اتبعي خبره حتى تعلمي خبره **فبصرت به عن جنب**
اي عن بعد قيل كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا ترى انها لا تنظره **وهم لا يشعرون**
اي انها اخته وانها ترقبه **وحرمنا عليه المراضع** المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان
ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من يرضعه
كلما اتوه بمرضعة لم ياخذ ثديها وتم في طلب من يرضعه لهم **من قبل** اي من قبل مجي ام
موسى وذلك لما رات اخت موسى التي ارسلتها امه في طلبه ذلك **فقالت** يعني اخت موسى
هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي يضمونه ويرضعونه وهي امراة قتل ولدها
فاحب شيء اليها ان تجد صغيرا ترضعه **وهم له ناصحون** اي لا يمنعونه ما ينفعه في تربيته
والنصح والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد وقيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا لها قد
عرفت هذا الغلام فدلينا على اهله فقالت ما اعرفه ولكني قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها
قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصال نائله وقيل قالوا لها من هم قالت امي
قالوا ولامك ولد قالت نعم هارون وكان هارون ولد في السنة التي لا يقتل فيها فقالوا صدقت
فاتينا بها فانطلقت الى امها واخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ريح

امه قبل

امه قبل ثديها وجعل يمص حتى امتلا ريا وقيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا وذلك
قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها اي برد موسى اليها ولا تحزن اي لئلا تحزن و
ولتعلم ان وعد الله حق اي برده اليها ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله وعدها
ان يرده اليها ولما بلغ اشده قيل الاشد ما بين ثمانية عشر سنة الى ثلاثين سنة
وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة واستوى اي بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس
وقيل انتهى شبابه وتكامل آتيناه حكما وعلما اي عقلا وفقها في الدين فعلم موسى
وحكم قبل ان يبعث نبيا وكذلك نجزي المحسنين قوله عز وجل ودخل المدينة
يعني موسى والمدينة قيل منف من اعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها حابين على راس
فرسخين من مصر وقيل هو مدينة عين الشمس على حين غفلة من اهلها قيل هو نصف
النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل هو ما بين المغرب والعشاء قيل سبب دخوله
المدينة في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب مراكب فرعون ويلبس
لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى
في اثره فادركه مقيلا بارض منف فدخلها وليس في طرقها احد وقيل كان لموسى شيعة
من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق راى فراق فرعون وقومه
فخالفهم في دينه حتى انكر ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا
مستخفيا على حين غفلة من اهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فاراد فرعون
قتله فقالت امراته هو صغير فترك قتله وامر باخراجه من مدينته فاخرج منها فلم
يدخل عليهم الا بعد ان كبر وبلغ اشده فدخل على حين غفلة من اهلها يعني عن ذكر
موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن علي انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا
باللهو واللعب فوجد فيها رجلين يقتتلان اي يختصمان ويتنازعان هذا من
شيعته يعني من بني اسرائيل وهذا من عدوه اي من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا
كافر وقيل الذي كان من شيعته هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه
فليثون وكان القبطي يريد ان يسخر الاسرائيلي يحمله الحطب قال ابن عباس لما بلغ
موسى اشده لم يكن احد من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا
كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم
فوجد موسى رجلين يقتتلان احدهما من بني اسرائيل والاخر من القبط فاستغاثه
الذي من شيعته يعني الاسرائيلي على الذي من عدوه يعني القبطي والاستغاثة
طلب الغوث والمعنى انه ساله ان يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد
غضبه لانه اخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه
من قبل الرضاعة فقال موسى للقبطي خل سبيله فقال انما اخذته يحمل الحطب الى مطبخ

ايديك ينازعه فقال القبطي لموسى لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتي بسطة في الخلق
وشدة في القوة **فوكزه موسى** اي ضربه بجميع كفه وقيل الوكز اللكز في الصدر وقيل الوكز
باطراف الاصابع **فقضى عليه** اي قتله وفرغ من امره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل
ودفنه في الرمل **قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين** اي بين الضلالة قيل في
قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى عمل هذا المقتول من عمل الشيطان
والمراد منه بيان كونه مخالفا لله تعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعني انه
من جند الشيطان وحزبه **قال رب اني ظلمت نفسي** اي بقتل القبطي من غير امر وقيل هو على
سبيل الانقطاع والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب وقوله فاغفر
لي اي فاترك هذا الذنب وقيل يحتمل ان يكون المراد اي ظلمت نفسي حيث فعلت هذا فان فرعون
ان عرف ذلك قتلني به فقال **فاغفر لي** اي استره علي ولا توصل خبره الى فرعون **فغفر له**
اي فستره عن الوصول الى فرعون **انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي** اي بالمغفرة
والستر **فلن اكون ظهيرا للمجرمين** معناه فلن اكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس
للكافرين وفيه دليل على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن
فابتلي به في اليوم الثاني اي لم يقل فلن اكون ان شاء الله **فاصبح في المدينة** التي قتل فيها القبطي
خائفا يترقب اي ينتظر سوءا والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به **فاذا**
الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيث به من بعد قال ابن عباس اتى فرعون
فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم
يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه
على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي **فقال له موسى** للاسرائيلي
انك لغوي مبين اي ظاهر الغواية قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر
وتستغيثني عليه **فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما** وذلك ان موسى ادركته
الرقة للاسرائيلي فمد يده ليبطش بالفرعوني فظن الاسرائيلي انه يريد ان يبطش به
لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوي مبين قال يا موسى **اتريد ان تقتلني كما قتلت**
نفسا بالامس معناه انه لم يكن علم احد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي بالامس
حتى افشى عليه الاسرائيلي ذلك وسمعه القبطي فاتى فرعون فاخبره بذلك **ان تريد**
الا ان تكون جبارا في الارض اي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر
في العواقب وقيل هو المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله **وما تريد ان تكون من المصلحين**
ولما افشى ان موسى قتل القبطي امر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة
موسى فقيل انه مؤمن من آل فرعون واسمه حزبيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى
وجاء رجل من اقصا المدينة يسعى اي يسرع في مشيه واخذ طريقا قريبا حتى
سبق الى موسى فاخبره وانذره بما سمع **قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك** اي يتشاورون

فيك

فيه ليقتلوك وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك فاخرج أي من المدينة إني لك من الناصحين أي
في الأمر بالخروج فخرج منها يعني موسى خائفاً أي على نفسه من آل فرعون يترقب أي ينتظر الطلب
هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ إلى الله تعالى لعلمه أنه لا ملجأ إلا إليه فقال رب نجني من القوم الظالمين
أي الكافرين قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين أي قصد نحوها ماضياً إليها لأنه وقع في نفسه
أنه بينه وبينهم قرابة لأن أهل مدين من ولد إبراهيم وهو من ولد إبراهيم ومدين هو مدين بن
إبراهيم سميت البلدة باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام قيل خرج موسى
خائفاً بلا ظهر ولا زاد ولا حذاء ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى رؤي
خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس هو أول ابتلاء من الله تعالى اول
إلى موسى قال يعني موسى عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي قصد الطريق إلى مدين
وذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق
به إلى مدين فذلك قوله تعالى ولما ورد ماء مدين هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم وجد
عليه أي على الماء أمة أي جماعة من الناس يسقون أي مواشيهم ووجد من دونهم
أي سوى الجماعة وقيل بعيداً عن الجماعة امرأتين تذودان أي تحبسان وتمنعان أغنامهما
عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلوا لهما البئر وقيل يكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس وقيل
يمنعان أغنامهما عن أن تند وتذهب والقول الأول أولى بدليل ما بعده وهو قوله قال يعني موسى
للمرأتين ما خطبكما أي ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس قالتا لا نسقي أي
أغنامنا حتى يصدر الرعاء أي حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى أنا امرأتان لا نستطيع أن من ج
نزاحم الرجال فإذا صدروا سقينا من مواشينا فضل ما بقي منهم في الحوض وأبونا
شيخ كبير أي لا يقدر أن يسقي مواشيه فلذلك احتجنا إلى سقي الغنم قيل أبوهما
هو شعيب عليه السلام وقيل هارون بن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف
بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع
صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيقها إلا جماعة من الناس وقيل
زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي
غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى ورفع الحجر وحده ونزع دلواً
واحداً ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى فسقى لهما ثم تولى
إلى الظل أي عدل إلى ظل سمرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع فقال رب إني لما أنزلت
إلي من خير فقير معناه أنه طلب الطعام لجوعه واحتياجه إليه قال ابن عباس
سأل الله فلقة خبز يقيم به صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب إني لما أنزلت إلي
من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه وقد افتقر إلى شق تمرة وقيل ما سأل إلا الخبز فلما
رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا

رجلا صالحا رحمنا فسقا لنا اغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فقال الله تعالى فجاءته
احداهما تمشي على استحياء قيل هي الكبرى واسمها صفورا وقيل صفرى وقيل بل هي
الصغرى واسمها ليا وقيل صفيرا وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة
ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت
منه لانها دعته لتكافيه وقيل لانها رسول ابيها قالت ان ابي يدعوك ليجزيك
اجر ما سقيت لنا قيل لما سمع موسى ذلك كره ان يذهب معها ولكن كان جائعا لم يجد بدا
من الذهاب فمشت المراة وموسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره
موسى ان يرى ذلك منها فقال امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت ذلك فلما دخل موسى لعله
على شعيب اذا هو بالعشاء مهيا فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى اعوذ بالله فقال
شعيب ولم ذلك الست بجائع قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما
وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الاخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله
يا فتى ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس واكل فذلك
قوله عز وجل فلما جاءه وقص عليه القصص اي اخبره بامره اجمع من خبره ولادته
وقتله القبطي وقصد فرعون قتله قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يعني من فرعون
وقومه وانما قال له ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين قالت احداهما يا ابت
استاجره اي اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا ان خير من استاجرت القوي الامين يعني ان
خير من استعملته من قوي على العمل واداء الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته
قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على راس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل اربعون رجلا
واما امانته فانه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك قال شعيب عند ذلك اني
اريد ان انكحك اي ازوجك احدى ابنتي هاتين قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون
انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورا وهي التي ذهبت في طلب موسى على ان
تاجرني ثماني حجج اي تكون لي اجيرا ثماني سنين فان اتممت عشرا فمن عندك اي
فان اتممت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك وما اريد ان اشق
عليك اي الزمك تمام العشر الا ان تتبرع قال ستجدني ان شاء الله من الصالحين
اي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب
وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته قال يعني موسى ذلك بيني وبينك
اي ما شرطت علي فلك وما شرطت من تزويج احداهما فلي والامر على ذلك ايما الاجلين
قضيت اي الاجلين اتممت ومن قضيته الثمان او العشر فلا عدوان علي اي لا اظلم علي
بان اطالب اكثر منهما والله على ما نقول وكيل قال ابن عباس الله شهيد بيني
وبينك ق عن سعيد بن جبير قال سالني يهودي من اهل الحيرة اي الاجلين قضى موسى

فلن

فلست لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى
اكثرهما واطيبهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا
ان سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما وان سئلت اي المراتين تزوج فقل الصغرى
منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استاجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه
الكبرى وروى شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمي فرد الله
عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره وقال الله له ما هذا البكا اشوقا الى الجنة
ام خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيئا لك
لقائي يا شعيب لذلك اخدمتك موسى كليمي ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب
ابنته ان تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وقيل كانت من الجنة حملها
ادم معه فتوارثها الانبياء وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته فصارت من ادم الى نوح
ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم اليه
شعيب الغنم قال لها موسى اطلبي من ابيك ان يجعل لها بعض الغنم فطلبت من ابيها
فقال لكما كلما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل اراد شعيب ان يجازي موسى على حسن
رعيته اكراما له وصلة لابنته فقال اني قد وهبت لك من ولد اغنامي كل ابلق وبلقا
في هذه السنة فاوحى الله الى موسى في النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه
ففعل ذلك فما اخطات منها واحدة الا وضعت حملها ما بين ابلق وبلقا فعلم شعيب
ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامراته فوفى له بشرطه واعطاه الاغنام قوله عز وجل
فلما قضى موسى الاجل اي اتمه وفرغ منه سار باهله وقيل مكث موسى بعد الاجل عند
شعيب عشر سنين اخرى ثم استاذنه في العود الى مصر فاذن له وسار باهله اي قاصدا
الى مصر انس اي ابصر من جانب الطور نارا وذلك انه كان في البرية في ليلة مظلمة
شديدة البرد واخذ امراته الطلق قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم
منها بخبر اي عن الطريق لانه كان اخطا الطريق او جذوة من النار اي قطعة وشعلة
من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه لعلكم تصطلون اي يستدفئون
فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى
في البقعة المباركة جعلها مباركة لان الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد
البقعة المقدسة من الشجرة اي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة
خضرا ترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب يا موسى
اني انا الله رب العالمين وقيل ان موسى لما راى النار في الشجرة الخضرا علم انه لا يقدر على الجمع
بين النار وخضرة الشجرة الا الله فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله خلق في نفس
موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله وقيل انه قيل لموسى

ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره صح

كيف عرفت انه نداء الله قال اني سمعته بجميع اجزائي فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء
علم بذلك انه لا يقدر عليه احد الا الله تعالى وان الق عصاك اي فالقاها فلما راها تهتز
اي تتحرك كانها جان هي الحية الصغيرة والمعنى انها في سرعتها حتى كانها الحية السريعة
الحركة ولى مدبرا اي هاربا منها ولم يعقب اي لم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا
صخرة الا بلعتها حتى ان موسى سمع صرير اسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ
ولى مدبرا ولم يعقب فنودي ان يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين قوله تعالى اسلك يدك
اي ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اي برص والمعنى انه ادخل يده فخرجت
ولها شعاع كضوء الشمس واضمم اليك جناحك من الرهب اي من الخوف والمعنى اذا هالك
امر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال
ابن عباس امر الله موسى ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند
معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد
من ضم الجناح السكون اي سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شان الخائف
ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك
يدك واخرجها من كمك لانه تناول العصى ويده في كمه فذانك يعني العصا
واليد البيضاء برهانان اي ايتان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما
فاسقين اي خارجين عن الحق قال رب اني قتلت منهم نفسا يعني القبطي فاخاف
ان يقتلون واخي هارون هو افصح مني لسانا اي بيانا وانما قال ذلك للعقدة التي
كانت في لسانه من وضع الجمرة فيه فارسله معي ردءا اي عونا يصدقني يعني فرعون وقيل
تصديق هارون هو ان يلخص الدلايل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار وهذا هو
التصديق المفيد اني اخاف ان يكذبون يعني فرعون وقومه قال سنشد عضدك
باخيك اي سنقويك به وكان هارون بمصر ونجعل لكما سلطانا اي حجة وبرهانا
فلا يصلون اليكما اي بقتل ولا سوء بآياتنا وقيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون
اليكما انتما ومن اتبعكما الغالبون اي لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه فلما جاءهم
موسى بآياتنا بينات اي واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي مختلق وما سمعنا
بهذا اي بالذي تدعونا اليه في آبائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده اي يعلم المحق من المبطل ومن تكون له عاقبة الدار اي العقبى المحمودة في
الدار الاخرة انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت
لكم من اله غيري فيه انكار لما جاءه به موسى من توحيد الله وعبادته فاوقد لي يا هامان
على الطين اي اطبخ لي الاجر وقيل انه اول من اتخذ الاجر وبنى به فاجعل لي صرحا
اي قصرا عاليا وقيل منارة قال اهل التفسير لما امر فرعون وزيره هامان ببناء

الصرح

الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء
وطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وامر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى
ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد من الخلق واراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه
ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهي ملطخة دما
فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله تعالى جبريل
عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على
عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت قطعة منها في البحر وقطعة منها في
المغرب فلم يبق احد عمل فيه شيئا الا هلك فذلك قوله لعلي اطلع الى اله
موسى اي انظر اليه واقف على حاله واني لاظنه يعني موسى من الكاذبين اي في
زعمه ان للارض والخلق الها غيري وانه ارسله واستكبر هو وجنوده في الارض
بغير الحق اي تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا الى الحق بل بالباطل والظلم وظنوا
انهم الينا لا يرجعون اي للحساب والجزاء فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم اي فالقيناهم في البحر وهو بحر القلزم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
يعني حين صاروا الى الهلاك وجعلناهم ايمة اي قادة ورؤوسا يدعون الى
النار اي الى الكفر والمعاصي التي يستحقوا بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار
ويوم القيامة لا ينصرون اي لا يمنعون من النار والعذاب واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة اي خزيا وبعدا وعذابا ويوم القيامة هم من المقبوحين اي مبعدين وقيل
المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون قوله عز وجل
ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى يعني
قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى بصاير للناس اي ليبصروا بذلك ويهتدوا
به وهدى اي من الضلالة لمن عمل به ورحمة اي لمن امن به لعلهم يتذكرون اي لما
فيه من المواعظ وما كنت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي وما كنت يا محمد بجانب
الغربي اي بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه
اذ قضينا الى موسى الامر اي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون
وما كنت من الشاهدين اي الحاضرين ذلك المقام الذي اوحينا الى موسى فيه
فتخبر ذلك من ذات نفسك ولكنا انشانا قرونا اي خلقنا بعد موسى امما
فتطاول عليهم العمر اي طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك
ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت
القرون بعد القرون ونسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها وما كنت ثاويا
اي مقيما في اهل مدين اي كمقام موسى وشعيب فيهم تتلوا عليهم اياتنا اي تذكرهم

بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد اهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم ولكنا كنا
مرسلين اي ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم
ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم بها وما كنت بجانب الطور اي بناحية الجبل الذي كلم
الله عليه موسى اذ نادينا يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب
اري محمدا وامته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت امته واسمعتك صوتهم
قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابائهم قال ابن عباس قال الله
تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان
الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي
وعفوي عقابي قد اعطيتكم قبل ان تسألوني وقد اجبتكم من قبل ان تدعوني وقد
غفرت لكم قبل ان تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر ولكن رحمة من ربك
اي رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني اهل مكة لعلهم يتذكرون واعلم
ان الله تعالى لما بين قصة موسى لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة
اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة عليه حتى تكامل دينه
واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اول امر موسى والمراد بقوله
اذ نادينا ليلة المناجاة فهذه اعظم احوال موسى ولما بين لرسوله ولم يكن في هذه الاحوال
حاضرا بين انه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على نبوته ومعجزته كانه قال في اخبارك
عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك قوله تعالى ولولا
ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم يعني من الكفر والمعاصي
فيقولوا ربنا لولا اي هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين
ومعنى الاية لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل
معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل فلما جاءهم الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا يعني كفار قريش
لولا اي هلا اوتي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتي موسى يعني من الايات كالعصا
واليد البيضاء وقيل اوتي كتابا جملة واحدة كما اوتي موسى التوراة قال الله تعالى
اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قيل ان اليهود ارسلوا الى قريش ان يسألوا
محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتي موسى قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
يعني اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال قالوا ساحران تظاهرا يعني التوراة
والقرآن يعني كل واحد منهما يقوي الاخر وقرئ ساحران يعني محمدا وموسى قيل ان مشركي

مكة

مكة بعثوا الى رؤوس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم
ان نعته في كتابهم التوراة فرجعوا واخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا
وقالوا انا بكل كافرون يعني التوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى قل يا محمد فاتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما يعني من التوراة والقرآن اتبعه يعني الكتاب الذي
تاتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله ان كنتم صادقين
فان لم يستجيبوا لك اي ان لم ياتوا بما طلبت فاعلم انما يتبعون اهواءهم يعني انما
ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه انما آثروا فيه اتباع ما هم عليه من الهوى ومن اضل ممن
اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله عز وجل ولقد
وصلنا لهم القول قال ابن عباس بينا وقيل انزلنا آيات القرآن تتبع بعضها بعضا
وقيل بينا لكفار مكة بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل
وصلنا لهم خبر الدنيا والآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا لعلهم يتذكرون اي يتعظون
صح بينهم
الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن هم به
يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل بل هم اهل الانجيل الذين
قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر
ابن ابي طالب فلما راوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا
اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا
فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت فيهم هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم
ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون
من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال واذا يتلى عليهم يعني القرآن
قالوا آمنا به انه الحق من ربنا وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل انا كنا من قبله مسلمين اي من قبل القرآن مخلصين لله بالتوحيد
ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق اولئك يؤتون اجرهم مرتين يعني
لايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر بما صبروا اي على دينهم وعلى اذى المشركين
وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل
من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا
ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطأها فادبها فاحسن
تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران ويدرءون بالحسنة
السيئة قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون
ما سمعوا من اذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو ومما رزقناهم ينفقون
اي في الطاعة واذا سمعوا اللغو اي القول القبيح اعرضوا عنه وذلك ان المشركين

كانوا يسبون مومني اهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون
عليهم وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لنا ديننا ولكم دينكم سلام عليكم ليس المراد منه
سلام التحية ولكنه سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم لا نبتغي
الجاهلين يعني لا نحب دينكم الذي انتم عليه وقيل معناه لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه
وهذا قبل ان يومر المومنون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى انك لا تهدي من
احببت اي هدايته وقيل احببته لقرابته ولكن الله يهدي من يشاء وذلك ان الله
تعالى يقذف في القلب نور الهدى اي فينشرح الصدر للايمان وهو اعلم بالمهتدين
اي بمن قدر له الهدى م عن ابي هريرة انك لا تهدي من احببت نزلت في رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث يراود عمه ابا طالب على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له في كلام له عند الموت يا عم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة قال لولا
ان يعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم انشد يقول
ولقد علمت ان دين محمد من خير اديان البرية دينا . لولا الملامة او حذار مسبة :.
لوجدتني سمحا بذاك مبينا . ولكن على ملة الاشياخ . يعني عبد المطلب وعبد مناف .
ثم مات عبد المطلب وانزل الله هذه الاية وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من
ارضنا يعني مكة نزلت في الحارث ابن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبي صلى
صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان يخرجنا
العرب من ارضنا مكة قال الله تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا وذلك ان العرب كانت في
الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة امنون حيث كانوا في
الحرم ومن العرب وانه كان يامن فيه الظبا من الذياب والحمام من الحداة تجبى اليه اي
يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن ثمرات كل شيء رزقا من
لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني اهل مكة لا يعلمون ان ذلك قوله عز وجل وكم اهلكنا
من قرية اي اهل قرية بطرت معيشتها اي اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فاكلوا
رزق الله وعبدوا الاصنام فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال ابن
عباس لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا اقلها واكثرها خرابا
وكنا نحن الوارثين اي لم يخلفهم فيها احد بعد هلاكهم وصار امرها الى الله تعالى لانه
الباقي بعد فناء الخلق وما كان ربك مهلك القرى يعني الكافرة اهلها حتى يبعث في
امها رسولا اي في اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول
لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في ام القرى وهي مكة
رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء . يتلوا عليهم ءاياتنا
يعني انه يوحي اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يومنوا وما

كنا مهلكي

مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي مشركون قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع
الحيوة الدنيا وزينتها اي يتمتعون بها ايام حياتهم ثم تصير الى فناء وانقضاء وما
عند الله خير وابقى لان منافع الاخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة
ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم افلا تعقلون اي ان الباقي خير من الفاني
وقيل من لم يرجح الاخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي من اوصى بثلث ماله
لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله لان اعقل الناس من اعطى
القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلين بطاعة الله تعالى افمن وعدناه وعدا
حسنا يعني الجنة فهو لاقيه اي مصيبه وصائر اليه كمن متعناه متاع الحيوة
الدنيا اي وتزول عنه عن قريب ثم هو يوم القيامة من المحضرين في النار قيل هذا
في المومن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي
وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر وفي الوليد بن المغيرة قوله عز وجل ويوم
يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون اي في الدنيا انهم شركاءي
قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة ربنا
هؤلاء الذين اغوينا اي دعوناهم الى الغي وهم الاتباع اغويناهم كما غوينا
اي اضللناهم كما ضللنا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون معناه تبرى
بعضهم من بعض وصاروا اعداء وقيل يعني الكفار ادعوا شركاءكم اي الاصنام
لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يستجيبوهم وراوا العذاب
لو انهم كانوا يهتدون معناه لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا ما راوا العذاب
في الاخرة ويوم يناديهم اي يسال الكفار فيقول ماذا اجبتم المرسلين
اي ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين فعميت عليهم اي خفيت واشتبهت
عليهم الانباء يعني الاخبار والاعذار والحجج يومئذ فلم يكن لهم عذر ولا حجة فهم
لا يتساءلون اي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسال بعضهم
بعضا فاما من تاب وءامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين اي من
السعداء الناجين وعسى من الله واجب قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء
ويختار نزلت هذه الاية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرءان على
رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي
اخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله ان
يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة ما كان لهم الخيرة اي ليس
لهم الاختيار او ليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان
لهم الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه الله نفسه فقال فسبحان الله وتعالى عما يشركون

وربك يعلم ما تكن اي تخفي صدورهم وما يعلنون اي يظهرون وهو الله لا اله الا هو له الحمد
في الاولى والآخرة اي يحمده اولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الجنة وله الحكم اي فصل القضاء
بين الخلق وقال ابن عباس حكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة واليه
ترجعون قوله عز وجل قل يا محمد لاهل مكة ارايتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا اي دائما الى يوم القيامة لا نهار فيه من اله غير الله ياتيكم بضياء اي بنهار
تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون اي سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل
الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة اي لا ليل فيه من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه افلا تبصرون اي ما انتم عليه من الخطا وقيل ان من نعمة الله
تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء في الدنيا وفي حال التكليف
مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الا بالراحة والسكون بالليل فاما
في منافعهما فاما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم
الضياء ابدا فبين الله تعالى انه القادر على ذلك فليس غيره ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار اي يتعاقبان في الظلمة والضياء لتسكنوا فيه اي الليل ولتبتغوا
من فضله اي بالنهار ولعلكم تشكرون اي نعم الله فيهما ويوم يناديهم فيقول
اين شركاي الذين كنتم تزعمون كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقريع
والتوبيخ ونزعنا اي اخرجنا وقيل ميزنا من كل امة شهيدا يعني رسولهم
ليشهد عليهم انه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم فقلنا اي للامم المكذبة هاتوا
برهانكم اي حجتكم بان معي شريكا فعلموا ان الحق لله اي التوحيد له وضل عنهم
ما كانوا يفترون اي يختلقون في الدنيا من الكذب على الله قوله عز وجل ان قارون
كان من قوم موسى قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن
يعقوب وموسى ابن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ منه
للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري فبغى عليهم قيل كان عاملا لفرعون على بني
اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا
وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من يجر
ثيابه خيلاء اخرجاه في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو وآتيناه من الكنوز
ما ان مفاتحه جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتحه خزائنه لتنوا
بالعصبة اولي القوة معناه لتنيء بثقلها وتميل بهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة
ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين
وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا اقوى ما يكون من الرجال
وقيل كان قارون اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت

عليه

عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت
تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا اذ قال له قومه لا تفرح اي لا تبطر ولا تأشر اشرا ولا تمرح
ان الله لا يحب الفرحين اي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم وقيل انه
لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن بها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب
لم يفرح وقد احسن من قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة اي اطلب فيما اعطاك الله من الاموال الجنة
وهو ان تقوم بشكر الله فيما انعم عليك وتنفقه في رضى الله ولا تنس نصيبك من
الدنيا اي لا تترك ان تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب
الانسان من الدنيا ان يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك
وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة عن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك
قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا
حديث مرسل لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم واحسن كما احسن الله اليك اي احسن
بطاعة الله كما احسن الله اليك بنعمته وقيل احسن الى الناس ولا تبغ اي ولا تطلب الفساد
في الارض كل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين
قال يعني قارون انما اوتيته على علم عندي اي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني
اهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان
موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلمه كالب بن يوقنا ثلثه وعلم
قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة
ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب امواله وقيل كان علمه حسن النظر في التجارات
والزراعات وانواع المكاسب قال الله عز وجل اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله
من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي للاموال ولا يسأل عن ذنوبهم
المجرمون قيل ان الله تعالى اذا اراد عقاب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم
بحالهم وقيل لا يسألون سؤال استعلام وانما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وقيل
لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفون بسيماهم قوله عز وجل فخرج على قومه في زينته
قيل خرج هو وقومه وهم سبعون الفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل
خرجوا على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها
سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم
الارجوان ومعه ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على البغال
الشهب قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون

انه لذو حظ عظيم اي من المال وقال الذين اوتوا العلم اي بما وعد الله في الاخرة
وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسراءيل للذين تمنوا مثل ما اوتي قارون
ويلكم ثواب الله اي ما عند الله من الثواب والجزاء خير لمن امن اي صدق بتوحيد
الله وعمل صالحا اي ذلك خير مما اوتي قارون في الدنيا ولا يلقاها الا الصابرون
اي لا يوتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يوتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم
ثواب الله خير الا الصابرون اي على ما عند الله وعن زينة الدنيا قوله تعالى فخسفنا
به وبداره الارض **ذكر قصة قارون** قال اهل العلم بالاخبار
والسير كان قارون اعلم الناس من بني اسراءيل بعد موسى وهارون واقراهم للتوراة
واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان
الله تعالى اوحى الى موسى ان يامر قومه ان يعلقوا في اردية ثيابهم خيوطا اربعة في كل طرف
خيطا اخضر كلون السماء يذكرون به اذا نظروا الى السماء ويعلموا اني منزل منها كلامي
فقال موسى يا رب افلا تامرهم ان يجعلوا اردية ثيابهم كلها خضرا فان بني اسراءيل تحقر هذه
الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من امري ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في
الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى وقال ان الله يامركم ان تعلقوا
في اردية ثيابكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رايتموها ففعلت
بنو اسراءيل ما امرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذا
الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع
موسى ببني اسراءيل البحر جعلت الحبورة لهارون فيقدمه على المذبح فينزل نار من
السماء فتاكله فوجد من ذلك قارون في نفسه واتى موسى وقال يا موسى لك الرسالة
ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وانا اقرا للتوراة لا صبر لي على هذا فقال
موسى ما انا جعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال قارون والله لا اصدقك
حتى تريني بيانه فجمع موسى روساء بني اسراءيل فقال لهم هاتوا عصيكم فحزمها
والقاها في قبته التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا فاصبحت
عصا هارون قد اهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون
ترى هذا فقال قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى
باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يوذيه في كل وقت ولا يزيد
الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على
جدرانها صفائح الذهب وكان الملا من بني اسراءيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم
الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى اتاه
قارون فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم وعن كل الف

شاة

شرارة على شرارة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسده بوجده شيئا كثيرا
فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل شيء فاطعتموه
وهو يريد ان ياخذ اموالكم قالوا انت كبيرنا فمرنا بما شئت قال امركم ان تجيئوا
بفلانة البغي فتجعلوا لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج اليه
بنو اسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون الف دينار والف درهم وقيل طستا
من ذهب وقيل قال لها قارون امولك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى
بنفسك غدا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم
اتى الى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك فتامرهم وتنهاهم
فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل من
سرق قطعنا يده ومن قذف جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امراة جلدناه
مائة ومن زنى وله امراة رجمناه حتى يموت فقال قارون وان كنت انت قال وان
كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغي قال ادعوها
فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها
وسالها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل التوراة ان لا صدقت فتداركها الله
بالتوفيق فقالت في نفسها احدث توبة افضل من ان اوذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا
يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه اني امرت الارض
ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما
بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا
فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيه فاخذتهم الارض باقدامهم
وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا ارض
خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق
الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق واصحابه في كل ذلك
يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده
سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم
فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما اغلظك قلبك استغاث بك سبعين
مرة فلم تغثه اما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لاغثته وفي بعض الاثار
لا اجعل الارض بعدك طوعا لاحد **قال قتادة** خسف به فهو يتجلجل
في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة واصبحت بنو اسرائيل يتحدثون
فيما بينهم انما موسى دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وامواله فدعا الله

وكنوزه واموال الارض بذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فية
اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعونه من الله وما كان من المنتصرين
اي الممتنعين مما نزل به من الخسف واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس اي صار اولئك
الذين تمنوا ما رزق من الاموال والزينة يتعجبون من ذلك التمني ويقولون ويكأن اي الم
تعلم وقيل السمرقندي وقيل هي كلمة تعجب معناه الا ترى الى صنع الله واحسانه وقيل ويك
يعني ويلك ومعناه ويلك اعلم ان الله وقيل وي مفصولة من كان والمعنى ان القوم ندموا
فقالوا وي متندمين على ما سلف منهم وكان معناها اظن ذلك واقربه ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء لولا ان من الله علينا
اي بالايمان لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون قوله عز وجل تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض اي استكبارا عن الايمان وقيل علوا اي استطالة على
الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان وعن علي انها نزلت في
اهل التواضع من الولاة واهل القدرة ولا فسادا قيل الدعاء الى غير عبادة الله وقيل
اخذ اموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي والعاقبة للمتقين اي العاقبة
المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب معاصيه وقيل عاقبة المتقين
الجنة من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات الا ما كانوا يعملون تقدم تفسيره في قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن
اي انزل عليك القرآن وقيل معناه اوجب عليك العمل بالقرآن لرادك الى معاد قال ابن عباس
الى مكة اخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف ثم يعود الى بلده
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق
مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق
الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبريل عليه السلام فقال اتشتاق الى بلدك قال نعم
قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الاية
نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس في رواية اخرى لرادك الى معاد
الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة قل ربي اعلم من جاء بالهدى هذا جواب
لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك في ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم
ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين ومعناه
هو اعلم بالفريقين قوله عز وجل وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي يوحى
اليك القرآن الا رحمة من ربك اي لكن رحمك ربك فاعطاك القرآن فلا تكونن
ظهيرا اي معينا للكافرين على دينهم وذلك حين دعوه الى دين ابائه فذكره الله
نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه ولا يصدنك عن آيات الله يعني

القرآن

القرآن بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك أي إلى معرفته وتوحيده ولا تكونن من المشركين
قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه
أي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم ولا تدع مع الله إلها آخر معناه أنه واجب على الكل
إلا أنه خاطبه به مخصوصا لأجل التعظيم فإن قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان
معصوما من أن يدعو مع الله إلها آخر فما فائدة هذا النهي قلت الخطاب معه
والمراد غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا في أمورك كلها ولا تعتمد على غيره لا إله
إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه أي فإن إلا وجهه أي إلا هو والوجه يعبر به عن الذات
وقيل معناه إلا ما أريد به وجهه لأن كل عمل أريد به غير الله فهو هالك له الحكم
أي فصل القضاء بين الحق والباطل وإليه ترجعون أي تردون في الآخرة فيجزيكم
بأعمالكم والله أعلم

تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

وهي آخر ما نزل بمكة في قول ابن عباس وهي تسع وستون آية وألف وتسعمائة وإحدى
وثمانون كلمة وأربعة آلاف وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم أحسب أي أظن الناس أن يتركوا أي بغير اختبار ولا ابتلاء أن أي بأن
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون أي لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرهم ليتبين
المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد
أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يقبل منكم الإقرار
بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم
فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس
أريد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والوليد
ابن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع
ابن عبد الله مولى عمر كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع أبواه وامرأته
فأنزل الله فيهم هذه وقيل معناه لا يفتنون أي بالأوامر والنواهي وذلك أن الله تعالى أمرهم
في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق ذلك على
بعض الناس فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم
يعني الأنبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلي بنو إسرائيل
بفرعون وكان يسومهم سوء العذاب فليعلمن الله الذين صدقوا أي في قولهم
وليعلمن الكاذبين يعني أن الله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الذين
صدقوا من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل فليرين الله وقيل فليميزن الله وقيل
أن علم الله صفة يظهر فيها كل ما هو واقع قوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات

يعني الشرك ان يسبقونا اي يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم ساء ما يحكمون اي بئس
ما حكموا حين ظنوا ذلك من كان يرجو لقاء الله قال ابن عباس من كان يخشى
البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله فان اجل الله لآت يعني ما وعد من الثواب
والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله او يأمله فليستعد له وليعمل
لذلك اليوم وهو السميع العليم اي يعلم ما يعمله العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم
او يعاقبهم او يعفو عنهم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي له ثوابه وهذا الحكم
الوعد لا يحكم الا استحقاق فان الكريم انما وعد وفى والجهاد هو الصبر على الشدة وقد
يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ان الله لغني عن العالمين اي عن اعمالهم وعبادتهم
وفيه بشارة وتخويف اما البشارة لانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلو اعطى جميع ما
خلقه لعبد من عباده لا يشق عليه لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام واما
التخويف فلان العبد اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلكهم بعذابه فلا يشق عليه لاستغنائه
عنهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اي لنبطلنها
حتى تصير بمنزلة من لم يعملها والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة ولنجزينهم احسن
الذي كانوا يعملون اي باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل نعطيهم اكثر مما عملوا قوله
عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي برا بهما وعطفا عليهما والمعنى
ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الآية والتي في سورة
لقمان والاحقاف في سعد بن ابي وقاص وهو ابو اسحاق سعد بن مالك الزهري وامه حمنة
بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت
امه ما هذا الدين الذي احدثت والله لا آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت
فتعير بذلك ابد الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم تشرب ولم
تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليلة فجاءها ابنها سعد وقال
يا اماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي ان شئت وان شئت
فلا تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وامره بالبر بوالديه
والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى وان جاهداك لتشرك
بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وجاء في الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله
ثم اوعد بالمصير الى الله تعالى فقال الي مرجعكم فانبئكم اي فاخبركم بما كنتم
تعملون اي بصالح اعمالكم وسيئها فاجازيكم عليها والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين اي في زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة
قوله عز وجل ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله اي اصابه بلاء
من الناس افتتن جعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب

النصف الآخر

التي هي الخوف والمعنى أنه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطيع الله من
يخاف عذاب الله وهو المنافق أوذي في الله رجع عن الدين وكفر ولئن جاء نصر من ربك أي
فتح ودولة للمؤمنين ليقولن يعني هؤلاء المنافقين للمؤمنين إنا كنا معكم أي على عدوكم
وكنا مسلمين وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فأكذبهم الله فقال تعالى أوليس الله بأعلم
بما في صدور العالمين أي من الإيمان والنفاق وليعلمن الله الذين آمنوا أي صدقوا
فثبتوا على الإسلام عند البلاء وليعلمن المنافقين أي بترك الإسلام عند البلاء
قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس
أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين أخرجهم المشركون
معهم إلى بدر وهم الذين نزلت فيهم إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم وقيل هذه
الآيات العشر من أول السورة إلى هنا مدنية وباقي السورة مكية وقال الذين
كفروا يعني من أهل مكة وقيل قاله سفيان للذين آمنوا أي من قريش اتبعوا
سبيلنا أي ديننا وملتنا. آباؤنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك
قوله ولنحمل خطاياكم أي أوزاركم والمعنى إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم
فأكذبهم الله عز وجل فقال وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء. إنهم لكاذبون
أي في قولهم نحمل خطاياكم وليحملن أثقالهم أي أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم
وأثقالا مع أثقالهم أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم
فإن قلت قد قال أولا وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء. وقال هنا وليحملن
أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه أنهم لا يرفعون
عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم
ويحملون أوزارا بسبب إضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام
سنة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من
أوزارهم شيء. رواه مسلم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون أي سؤال
تقريع وتوبيخ لأن الله تعالى عالم بأعمالهم وافترائهم قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا
إلى قومه فلبث فيهم أي أقام فيهم يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده ألف سنة
إلا خمسين عاما فإن قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة
وخمسين سنة قلت فيه فائدتان إحداهما أن الاستثناء يدل على التحقيق
وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم
السامع أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فإذا قال مائة سنة إلا شهرا
أو إلا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي لبيان
أن نوحا صبر على أذى قومه صبرا كثيرا أو أعلى مراتب العدد ألف وكان المراد

التكثير فبلغ ذلك الى بعض الالف لانه اعظم وافخم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
حيث اعلم ان الانبياء قد ابتلوا قبله وان نوحا لبث الف سنة الا خمسين عاما يدعو قومه
ويصبر في الدعاء ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من
امن من امتك . قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم
الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا فكان عمره
الفا وخمسين سنة وقيل في عمره غير ذلك وقوله فاخذهم الطوفان اي فاغرقهم وهم
ظالمون قال ابن عباس مشركون فانجيناه واصحاب السفينة يعني من الغرق وجعلناها
يعني السفينة آية اي عبرة للعالمين قيل انها بقيت وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا
الله واتقوه اي اطيعوا الله وخافوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي ما هو خير لكم
مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا
اي تقولون كذبا وقيل تصنعون اصناما بايديكم وتسمونها آلهة ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون ان يرزقوكم فابتغوا عند الله اي اطلبوا
عند الله الرزق فانه القادر على ذلك واعبدوه اي وحدوه واشكروا له اي لانه المنعم
عليكم بالرزق اليه ترجعون اي في الآخرة وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم اي مثل
قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكوا وما على الرسول الا البلاغ المبين قوله تعالى
اولم يروا قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من تمام قول ابراهيم
لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة ابراهيم وهي في تكذيب اهل مكة وتخويف لهم
ومعنى اولم يروا يعلموا كيف يبدئ الله الخلق اي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم
يعيده اي في الآخرة عند البعث ان ذلك على الله يسير اي الخلق الاول والخلق الثاني قل
سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق اي انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ
خلقهم ثم الله ينشئ النشأة الآخرة اي ثم الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية
بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه احداثهم مبدئا فكذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدا
بعد الموت ثانيا ان الله على كل شيء قدير اي من البدء والاعادة يعذب من يشاء
بعدالته ويرحم من يشاء بفضله ومنه واليه تقلبون اي تردون وما انتم بمعجزين في
الارض ولا في السماء قيل معناه ولا من في السماء بمعجز والمعنى انه لا يعجزه اهل الارض في الارض
ولا اهل السماء في السماء وقيل معناه قوله ولا في السماء اي لو كنتم فيها وما لكم من
دون الله من ولي اي يمنعكم منه ولا نصير ينصركم من عذابه والذين كفروا بآيات
الله يعني القرآن ولقائه اي البعث اولئك يئسوا من رحمتي يعني الجنة واولئك
لهم عذاب اليم فهذه الآيات في تذكير اهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم
عليه السلام فقال عز وجل فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه

اي في النار

اي قال بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للاتباع اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من
النار اي بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل انه في ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار ان في
ذلك لايات لقوم يومنون اي يصدقون وقال يعني ابراهيم لقومه انما اتخذتم من
دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي ثم تنقطع ولا تنفع في الاخرة وقيل معناه
انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي تتبرا الاوثان من عابديها وتتبرا القادة من الاتباع ويلعن
الاتباع القادة وماواكم النار يعني العابدين والمعبودين جميعا وما لكم من ناصرين اي مانعين
من عذاب الله فآمن له لوط اي صدقه برسالته لما راى معجزته وهو اول من صدق ابراهيم
واستسلم في اصل التوحيد فانه كان مومنا لان الانبياء لا يتصور منهم الكفر وقال
يعني ابراهيم اني مهاجر الى ربي اي حيث امرني ربي فهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة
الى حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط وامراته سارة وهو اول من هاجر الى الله وترك
بلده وسار الى حيث امره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين
سنة انه هو العزيز اي الذي يمنعني من اعدائي الحكيم اي لا يامرني الا بما يصلحني قوله
عز وجل ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب يقال
ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله واتيناه اجره في الدنيا هو الثناء
الحسن فكل اهل الاديان يتولونه ويحبونه ويجوز الصلاة عليه والذرية الطيبة
والنبوة في نسله لعلها في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اي في زمرة الصالحين
قال ابن عباس مثل ادم ونوح قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه انكم
لتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة ما سبقكم بها من احد من العالمين
اي لم يفعلها احد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال ائنكم لتاتون الرجال يعني
انكم تقضون الشهوة من الرجال وتقطعون السبيل وذلك انهم كانوا يفعلون
الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك وقيل
معناه تقطعون سبيل النسل باختيار الرجال على النساء وتاتون في ناديكم
اي مجلس السمر والنادي مجلس القوم ومتحدثهم المنكر عن ام هانئ بنت ابي طالب
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يخذفون
اهل الارض ويسخرون منهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن الخذف هو
رمي الحصاة بين الاصابع وقيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم
قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل خذفوه فايهم اصابه كان اولى به وقيل انهم
كانوا ياخذون ما معه وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم وقيل كانوا يجامعون بعضهم
بعضا في مجالسهم وقيل كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن

سلام كان يحذف بعضهم بعضا اي مجالسهم وقيل كان من اخلاق قوم لوط مضغ
العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازرار والصفير والحذف والرمي بالجلاهق واللوطية
فما كان جواب قومه اي لما انكر عليهم لوط ما ياتونه من القبائح الا ان قالوا يعني استهزاء
ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال رب انصرني
على القوم المفسدين اي بتحقيق قولي في العذاب اي نازل بهم قوله تعالى ولما جاءت رسلنا
ابراهيم بالبشرى يعني من الله باسحاق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
يعني قوم لوط والقرية سدوم ان اهلها كانوا ظالمين قال يعني ابراهيم اشفاقا على لوط
وليعلم حاله ان فيها لوطا قالوا يعني قالت الملائكة نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
اي كظنهم من الانس فخاف عليهم والمعنى انه جاءه ما ساءه وضاق بهم ذرعا اي عجز عن تدبير
امرهم فحزن لذلك وقالوا لا تخف اي من قومك ولا تحزن علينا انا منجوك واهلك اي
انا مهلكوهم ومنجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا اي عذابا من السماء قيل هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا يفسقون
ولقد تركنا منها اي من قريات قوم لوط اية بينة اي عبرة ظاهرة لقوم يعقلون
اي يتدبرون الايات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الاية البينة اثار
منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها حتى ادركها اوائل هذه الامة
وقيل هو ظهور الماء الاسود على وجه الارض قوله عز وجل والى مدين اي وارسلنا الى مدين
ومدين هو اسم رجل وقيل هو اسم للمدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى
ذرية مدين واولاده وعلى القول الثاني يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا
فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر اي افعلوا فعل من يرجو اليوم الاخر وقيل
معناه اخشوا اليوم الاخر وخافوه ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم
الرجفة اي الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض فاصبحوا في دارهم جاثمين
اي باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا اي واهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم اي
يا اهل مكة من مساكنهم اي من منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان اعمالهم
اي عبادتهم لغير الله فصدهم عن السبيل اي عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين
اي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم
على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين وقارون وفرعون
وهامان اي واهلكنا هؤلاء ولقد جاءهم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحات
فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين اي فائتين من عذابنا فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصباء الصغار ومنهم

من اخذته

من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون واصحابه ومنهم
من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم اي بالهلاك ولكن كانوا انفسهم
يظلمون اي بالمعاصي ثم قال عز وجل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام يرجون
نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تاوي اليه وان بيتها في غاية
الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا وكذلك الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا وقيل
معنى هذا المثل ان المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المومن الذي يعبد الله مثل عنكبوت
تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت
اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا
عبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اشارة الى ضعفه
وان الريح اذا هبت عليه او لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا اثر وقد صح ان اوهن البيوت بيت
العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اي ان هذا مثلهم وان امر
دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء. هذا توكيد
للمثل وزيادة عليه يعني ان الذي تدعون من دونه ليس بشيء. وهو العزيز الحكيم
معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة العزيز الحكيم القادر على كل شيء. ويشتغل بعبادة
ما ليس بشيء. اصلا وتلك الامثال اي الاشباه يعني امثال القرآن التي شبه بها احوال كفار
هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة نضربها اي نبينها للناس اي لكفار مكة
وما يعقلها الا العالمون يعني ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل
روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته
واجتنب سخطه خلق الله السماوات والارض بالحق اي للحق واظهار الحق ان في ذلك
لآية اي دلالة للمومنين على قدرته وتوحيده قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب
يعني القرآن واقم الصلاة فان قلت لم امر بهذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة
الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد
الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد
شيئا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا ويبقى الذكر والعبادة البدنية
ممكن التكرار فلذلك امر بهما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء اي ما قبح من الاعمال والمنكر
اي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى
ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته
من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته
وبال عليه وقيل ان من داوم على الصلوات جره ذلك الى ترك السيئات كما روي

بصلواته

عن انس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من
الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته تنهاه يوما
فلم يلبث ان تاب وحسنت توبته وقيل معنى الآية انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء
والمنكر ومنه قوله اي في الصلوات لشغلها وقيل اراد بالصلوات القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن
ومع هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال قيل للنبي صلى الله
عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا اصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية انه
قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال
فلا اشك ان في الصلوات لايقا وان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يصلي ابدا وقوله تعالى **ولذكر
الله اكبر** اي انه افضل الطاعات **عن ابي الدرداء** قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء
الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى
يا رسول الله قال ذكر الله اخرجه الترمذي **وله عن ابي** سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة فقال
الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه
الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما
المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد
الراء وتخفيفها والتشديد اشهر يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس
وخلا بمراعاة الامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره
م **عن ابي هريرة** وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت
عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده **وروي** ان اعرابيا قال يا رسول الله اي الاعمال
افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله تعالى وقال ابن عباس معنى
ولذكر الله اكبر اي ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه معصية **والله
يعلم ما تصنعون** اي لا يخفى عليه شيء من امركم قوله عز وجل **ولا تجادلوا اهل الكتاب**
اي لا تخاصموهم **الا بالتي هي احسن** اي بالقرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه
على حججه واراد به من قبل الجزية منهم وقوله **الا الذين ظلموا منهم** اي ابوا ان يعطوا
الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومعنى الآية الا
الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لا عهد لهم وقيل الآية منسوخة

بآية السيف

بآية السيف وقولوا اي للمخبرين قبلوا الجزية اذا اخبروكم بشيء مما في كتبهم آمنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون خ عن ابي هريرة
قال كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم الآية قوله عز وجل وكذلك اي كما انزلنا اليهم الكتاب انزلنا اليك
الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به يعني من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واصحابه ومن هؤلاء يعني اهل مكة من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون
وذلك ان اليهود عرفوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن حق فجحدوا والجحود انما يكون
بعد المعرفة وما كنت تتلو يا محمد من قبله من كتاب معناه من كتاب اي من قبل ما
انزلنا اليك الكتاب ولا تخطه بيمينك اي لا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي
اذا لارتاب المبطلون معناه لو كنت تكتب او تقرأ قبل الوحي لشك المشركون من
اهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين وينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه
اذا لشكوا فيك واتهموك وقالوا ان النبي نجد نعته في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس
هذا على ذلك النعت بل هو آيات بينات يعني القرآن في صدور الذين اوتوا العلم
يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو
آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته
وصفته في كتبهم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون يعني اليهود وقالوا يعني كفار
مكة لولا انزل عليه آيات من ربه اي كما انزل على الانبياء من قبل وقيل اراد
بالآيات معجزات الانبياء كناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك قل انما الآيات عند الله
اي هو القادر على انزالها اذا شاء انزلها وانما انا نذير مبين اي انما كلفت الانذار و
ليس انزال الآيات بيدي اولم يكفهم انا انزلنا هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه آيات
من ربه فقال عليك الكتاب يتلى عليهم معناه ان القرآن معجزة من معجزة من تقدم
من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على ممر الازمان والدهور ثابتة لا تضمحل
كما تزول كل آية بعد كونها ان في ذلك يعني انزال القرآن لرحمة وذكرى لقوم
يؤمنون اي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل به قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا
معناه يشهد لي اني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة
الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه يعلم ما في السموات والارض اي هو
المطلع على امري وامركم ويعلم حقي وباطلكم لا تخفى عليه خافية والذين آمنوا
بالباطل قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى
الله باطل وكفروا بالله قال [illegible] من آمن بالباطل فقد كفر بالله ويقال لهذا

العطف بل ابن نفي القاطع قلت نعم وابو تمام انه ذكر الثاني ببيان قبح الاول وهو
كقول القائل اتقول الباطل وتترك الحق يعني ان الباطل قبيح اولئك هم الخاسرون اي
المغبونون في حيث اشتروا الكفر بالايمان قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب
نزلت في النضر بن الحارث حين قال فامطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى قال ابن عباس
ما وعدتك اي لا اعذب قومك ولا استاصلهم واخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة اعمارهم
لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر لجاءهم العذاب وليأتينهم يعني العذاب وقيل
الاجل بغتة وهم لا يشعرون اي باتيانه يستعجلونك بالعذاب اعاده تاكيدا وان جهنم
لمحيطة بالكافرين اي جامعة لهم لا يبقى منهم احد الا دخلها يوم يغشاهم العذاب اي يجللهم
من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون قوله عز وجل
يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون قيل نزلت في ضعفاء مسلمي مكة
يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها ان ارضي يعني
المدينة واسعة امنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا نخاف من
الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل معنى فهاجروا
فيها اي جاهدوا فيها قال سعيد بن جبير اذا عمل في ارض بالمعاصي فاهربوا
منها فان ارضي واسعة وقيل اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة وكذا يجب
على كل من كان في بلد يعمل فيه المعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث تتهيأ له
العبادة وقيل المعنى ان ارضي واسعة اي رزقي لكم واسع فاخرجوا كل نفس ذائقة
الموت اي كل احد ميت خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة فلا يقيموا بدار الشرك خوفا
من الموت ثم الينا ترجعون فنجزيكم باعمالكم قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم من الجنة غرفا اي علالي جمع غرفة وهي العلية تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها نعم اجر العاملين اي لله بطاعته الذين صبروا اي على الشدة اي ولم يتركوا دينهم
لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب
وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون على الله في جميع امورهم
قوله عز وجل وكأين من دابة لا تحمل رزقها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين
الذين كانوا بمكة وقد اذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس
لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها اي
تاتي حاجة الى غد اي لا تحمل رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم
والطير الله يرزقها واياكم اي حيث كنتم وهو السميع اي لاقوالكم العليم بما في قلوبكم
عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي

وقال الحسين

وقال حديث حسن ومعناه انما انت حبب اول النهار جيا عاضا منه وتين جمع اخي النهار شبعا
ممتلية البطون بما تاكله في شيء قال سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله
يخبأ الا الانسان والفارة والنملة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ايها الناس ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم به وليس شيء
يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفث في
روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا
يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا
بطاعته قوله تعالى ولئن سألتهم يعني كفار مكة من خلق السماوات والارض وسخر
الشمس والقمر ذكر امرين احدهما اشارة الى ايجاد الذوات والثاني اشارة الى ايجاد الصفات
وهي الحركة في الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون معناه انهم يعترفون بذلك فكيف
يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم بانه خالق السماوات والارض الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان
بالرزق فالله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والا متندان
ويقدر له اي يضيق له اذا شاء ان الله بكل شيء عليم اي يعلم مقادير الحاجات ومقادير
الارزاق ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله
ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى قل الحمد لله على
ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بل اكثرهم
لا يعقلون اي انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء قوله عز وجل
وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو
الاشتغال بما لا يعنيه وما لا يهمه واللعب العبث وفي هذا تصغير للدنيا وازدراء لها
ومعنى الاية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها وموتهم وتقلبهم عنها كما يلعب الصبيان
ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت
فيها لو كانوا يعلمون فناء الدنيا وبقاء الاخرة لما اثروا الفاني على الباقي قوله عز وجل
فاذا ركبوا في الفلك معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك
وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين له الدين اي تركوا الاصنام ولجوا الى الله تعالى بالدعاء
له فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد
قيل كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت الريح القوها
في البحر وقالوا يا رب يا رب ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله في انجائه اياهم
ومعناه التهديد والوعيد وليتمتعوا معناه لا فائدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون
به في العاجلة ولا نصيب لهم في الاخرة فسوف يعلمون يعني عاقبة امرهم فيه تهديد

ووعيد لهم قوله تعلى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم يعني
القتل والسبي بعضهم بعضا والعرب حوله امنون افبالباطل يعني الشيطان والاصنام يومنون
وبنعمة الله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي
فزعم ان له شريكا وانه منزه عن الشركاء او كذب بالحق اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرءان لما
جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين معناه اما للكافر المكذب ماوى في جهنم قوله عز وجل
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنهدينهم
سبلنا اي لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطرق
المستقيمة هي التي توصل الى رضى الله تعلى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا
ما عليه اهل الثغور فان الله تعلى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة
الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم
لنهدينهم سبل العمل وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم
سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي ثوابنا وان الله
لمع المحسنين اي بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب في عقباهم والله اعلم

تفسير سورة الروم وهي مكية وهي ستون اية

وثمانية وتسع عشرة كلمة وثلاثة الاف وخمسماية واربع وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض سبب نزول هذه الاية على ما ذكره
المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم
لان فارس مجوس اميون والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل الكتاب فبعث كسرى
جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهربراز وبعث قيصر جيشا وامر عليهم
رجلا يدعى يخنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت
فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين
انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل
فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الاية فخرج
ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال افرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن
الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت
فقال انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة بالحاء
المهملة القمار والمراهنة اي اراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت
الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس على الروم فعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين
فجاء ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى

الله سليم

الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل
فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت فقال لا فتعال ازايدك في الخطر وامادك في الاجل فاجعلها
مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع ففعل قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف
ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فكفله
له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر
فلزمه وقال لا والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي
ابن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه
وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على راس سبع سنين من مناحبتهم
وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمداين وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية
فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان
يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به **وكان سبب** غلبة
الروم فارسا على ما قال عكرمة وغيره ان شهربراز لما غلب الروم لم يزل يطاهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ
الخليج فبينما اخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لاصحابه لقد رايت كاني جالس على سرير
كسرى فبلغت كلمته الى كسرى فكتب الى شهربراز اذا اتاك كتابي فابعث الي براس فرخان
فكتب اليه ايها الملك انك لن تجد مثل فرخان ان له نكاية وصوتا في العدو فلا تفعل فكتب اليه
ان في رجال فارس خلفا منه فعجل علي براسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا
الى اهل فارس اني قد عزلت عنكم شهربراز واستعملت عليكم فرخان ثم دفع الى البريد
صحيفة صغيرة وامره فيها بقتل شهربراز وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له
اخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهربراز وعرض عليه كتاب كسرى فلما
قراه قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك واجلس عليه فرخان فدفع البريد الصحيفة
الى فرخان فلما قراها استدعى باخيه شهربراز وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل
حتى اكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحه واعطاه منه ثلاث صحائف وقال كل هذا
راجعت فيك كسرى وانت تريد ان تقتلني بكتاب واحد فرد الملك الى اخيه شهربراز
فكتب الى قيصر ملك الروم ان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني
في خمسين روميا حتى القاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة الف رومي وجعل يضع
العيون بين يديه في الطرق مخافة ان يكون قد مكر به حتى اتاه عيونه واخبروه
انه ليس معه الا خمسون فارسا فلما التقيا ضربت له قبة ديباج فدخلاها ومع كل واحد
منهما سكين ودعيا ترجمانا يترجم بينهما فقال شهربراز ان الذي خربوا بلادك انا واخي
بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا واراد ان يقتل اخي فابيت عليه ثم امر اخي بقتلي
فابى علي وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك قال قد اصبتما ثم اشار احدهما الى صاحبه

ان السنين بين اثنين فان اجاوزهما فسنا فبقتلنا التر جمان معا فسكتبنهما فاحر بينه الى روم على فارس
عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
ففرح من كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض يعني اقرب
ارض الشام الى فارس قيل هي اذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة وهم من بعد غلبهم اي فارس عليهم
سيغلبون اي الروم الفارس في بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى السبع وقيل الى التسع
وقيل ما دون العشرة لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعد دولتها فهو
بامر الله وقضائه وقدره ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله اي للروم على فارس وقيل فرح
النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب
على اهل الشرك ينصر من يشاء اي بعد ذلك النصر ينصر من يشاء وهو العزيز اي الغالب الرحيم
اي بالمومنين قوله تعالى وعد الله اي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف الله
وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ان الله تعالى لا يخلف وعده ثم قال تعالى يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا يعني امر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون
قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون
الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها
ومتاعبها وقيل يعلمون وجوه ما الظاهر ولا يعلمون فناءها وهم عن الاخرة هم غافلون
اي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها قوله عز وجل اولم يتفكروا في انفسهم
ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاقامة الحق واجل مسمى اي لوقت
معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
اولم يسيروا في الارض اي يسافروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي
ينظروا الى مصارع القوم قبلهم فيعتبروا وكانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها
اي حرثوها وقلبوها للزراعة وعمروها يعني الامم الخالية اكثر مما عمروها يعني اهل مكة وجاءتهم
رسلهم بالبينات اي فلم يومنوا فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم اي بنقص حقوقهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ببخس حقوقهم ثم كان عاقبة الذين اساءوا اي
اساءوا العمل السواى يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوى اسم لجهنم ومعنى
الاية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون
قوله تعالى الله يبدا الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء ثم
اليه ترجعون اي فيجازيهم باعمالهم ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون معناه انهم
ييأسوا من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون ولم يكن لهم من شركائهم
يعني اصنامهم التي عبدوها شفعاء اي يشفعوا لهم وكانوا بشركائهم كافرين اي
جاحدين متبرئين يتبرءون وتتبرأ منهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون

يتميز اهل

بتمييز اهل الجنة من اهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى
النار ولا يجتمعون ابدا وهو قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
اي في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة يحبرون قال ابن عباس
يكرمون وقيل ينعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال
ما وزاعي ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل السموات سبح
التسبيح صلواتهم تسبيحهم وقال اذا اخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا وردته وسال رجل
ابا هريرة هل لاهل الجنة من سماع قال نعم شجرة اصلها من ذهب واغصانها من فضة وثمرها اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيحاوب بعضها بعضا فما سمع احد احسن منه واما
الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة اي البعث يوم القيامة فاولئك في العذاب
محضرون قوله تعالى فسبحان الله اي فسبحوا الله ومعناه صلوا لله حين تمسون اي تدخلون
في المساء وهو صلاة المغرب والعشاء وحين تصبحون اي تدخلون في الصباح وهو صلاة
الصبح وله الحمد في السماوات والارض قال ابن عباس يحمده اهل السماوات والارض
ويصلون له وعشيا اي وصلوا لله عشيا يعني صلاة العصر وحين تظهرون اي تدخلون
في الظهيرة وهي الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرءان
قال نعم وقرا هاتين الايتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انما
خص هذه الاوقات بالتسبيح وذلك ان افضل الاعمال ادومها لكن الانسان لا يقدر ان
يصرف جميع اوقاته لانه محتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب وغير ذلك فخفف
الله عنه العبادة في غالب الاوقات وامره بها في اول النهار ووسطه واخره وفي
اول الليل ووسطه فاذا صلى الفجر ركعتي الفجر فكانما سبح فيه ساعتين وكذلك باقي الركعات
وهي سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في اوقاتها فكانما
سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار يبقى عليه سبع ساعات من جميع الليل والنهار
وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته في التسبيح والعبادة
فصل في فضل التسبيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال
سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (ق) عنه
عن النبيء صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة
لم يات احد يوم القيامة مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه اخرجه الترمذي
وقال فيه حسن صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمان سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وهذا الحديث اخر حديث في صحيح البخاري (م) عن جويرية بنت الحارث
زوج النبيء صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ان النبيء صلى الله عليه وسلم خرج

ذات غداة من عندها وهي في مسجدها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا
منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك
لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وعن
سعد بن ابي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب
في كل يوم الف حسنة فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب الف حسنة قال يسبح مائة
تسبيحة فيكتب له الف حسنة او يحط عنه الف خطيئة وفي غير رواية مسلم ويحط بغير
الف قوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي يخرج النطفة من الحيوان
ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة ويخرج البيضة من الدجاجة
وقيل يخرج المومن من الكافر ويخرج الكافر من المومن ويحيي الارض بعد موتها اي بالمطر
واخراج النبات منها وكذلك تخرجون اي مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور
احياء للبعث والحساب ومن آياته ان خلقكم من تراب اي خلق اصلكم وهو آدم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي تنبسطون في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا اي من جنسكم من بني آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم لتسكنوا اليها اي
لتميلوا الى الازواج وتألفوهن وجعل بينكم مودة ورحمة اي جعل بين الزوجين المودة والرحمة
فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف ولا شيء
احب الى احدهما من الآخر من غير رحم بينهما الا الزوجان ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
اي في عظمة الله وقدرته ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم يعني
اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد اجناس النطق واشكاله خالف
بينهما حتى لا يكاد يسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائل يعرف كل واحد منهم
بنطقه ونغمته لا يشبه صوت احدهما صوت الآخر والوانكم اي ابيض واسود واشقر واسمر
وغير ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد ومن اصل واحد وهو آدم والحكمة
في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف ليعرف كل واحد شكله وحليته وصوته فلو اتفقت
الصور والاصوات وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت
مصالح كثيرة وليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقرابة من البعيد
فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفي ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة
ان في ذلك لآيات للعالمين اي لعموم العلم فيهم ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم
من فضله اي منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب اسباب المعيشة بالنهار
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون اي سماع تدبر واعتبار ومن آياته يريكم البرق خوفا
اي للمسافر ليستعد للمطر وطمعا اي للمقيم في المطر ليستعد المحتاج اليه من اهل
الزرع وتسوية خوف الصانع وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك

لآيات

لآيات لقوم يعقلون أي قدرة الله وانه القادر عليه ومن آياته أن تقوم السماء والأرض
بأمره قال ابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من
الأرض قال ابن عباس من القبور إذا أنتم تخرجون أي منها وقيل معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة
من الأرض إذا أنتم تخرجون من الأرض وله من في السماوات والأرض كل له قانتون أي مطيعون
قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده أي يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث وهو أهون
عليه أي هو هين عليه وما من شيء عليه بعزيز وقيل معناه وهو يسير عليه وإن كان الكل
يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء وقيل هو أهون على الخلق وذلك
أنهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا
إلى أن يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس وله المثل الأعلى أي الصفة العليا
قال ابن عباس هو ليس كمثله شيء وقيل أنه لا إله إلا هو في السماوات والأرض وهو
العزيز أي في ملكه الحكيم أي في خلقه قوله عز وجل ضرب لكم مثلا أي بين لكم شبها
يحال لكم ذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال تعالى هل لكم من ما ملكت أيمانكم أي عبيدكم
وإمائكم من شركاء فيما رزقناكم أي من المال فأنتم فيه سواء أي يشارككم عبيدكم
في أموالكم ويقاسمونكم كما تخافون أكفاءكم شريككم في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمر
دون شريكه وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب أن ينفرد به وقال ابن عباس
تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فإذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا
ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن يكون الآلهة التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي كذلك
نفصل الآيات أي نبين الدلالات والبراهين والأمثال لقوم يعقلون أي ينظرون في هذه الدلائل
والأمثال بعقولهم بل اتبع الذين ظلموا أي أشركوا بالله أهواءهم أي في الشرك بغير علم
جهلا بما يجب عليهم فمن يهدي من أضل الله أي عن طريق الهدى وما لهم من ناصرين
أي مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله تعالى فأقم وجهك للدين أي أخلص دينك لله
وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه إليه الإنسان ودينه وعمله مما يتوجه إليه لتسديده
حنيفا أي مائلا إليه مستقيما عليه فطرت الله أي دين الله والمعنى الزموا
فطرت الله التي فطر الناس عليها قال ابن عباس من خلق الناس عليها
والمراد بالفطرة الدين وهو الإسلام عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مولود إلا يولد على الفطرة ثم يقول اقرءوا فطرت الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين
القيم زاد البخاري فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة
جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرءوا فطرت الله الآية ولهما في رواية
قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله سبحانه

مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد الذي اخذ الله عليهم بقوله الست بربكم قالوا
بلى فكل مولود في العالم على ذلك الاقرار وهي الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وان عبد
غير الله قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان
الفطري في احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي المامور به والمكتسب والفعل الا ترى الى
قوله فابواه يهودانه فهو مع وجود الايمان الفطري فيه محكوم له بحكم ابويه الكافرين وهذا معنى
قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه اني يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء
فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكي عن عبد الله بن المبارك انه قال معنى
الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اي خلقته التي خلق عليها في علم الله تعالى من السعادة
والشقاوة فكل منهم صاير في العاقبة الى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها
فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه لشقائه على
اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود في مبدا الخلقة على الفطرة اي على الجبلة السليمة
والطبع المتهيي لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود
حسنه في العقول السليمة وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لافة من افات النشو والتقليد
فلو سلم من تلك الافات لم يعتقد غيره ثم تمثل باولاد اليهود والنصارى واتباعهم لابائهم
والميل الى اديانهم فينزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة فقوله كما
تنتج البهيمة بهيمة جمعاء اي كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها
شيء وقوله هل تحسون فيها من جدعاء اي تشعرون وتعلمون فيها من جدعاء وهي
المقطوعة الاذن او الانف وقوله عز وجل لا تبديل لخلق الله اي لا تبدلوا دين الله وقيل معنى
الاية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبديل لخلق الله وهو ما
جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا
وقيل الاية في تحريم اخصاء البهايم ذلك الدين القيم اي المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
قوله عز وجل منيبين اليه اي فاقم وجهك انت وامتك منيبين اليه لان خطاب النبي
صلى الله عليه وسلم تدخل فيه الامة والمعنى راجعين اليه بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة
واتقوه اي ومع ذلك خافوه واقيموا الصلاة اي داوموا على ادايها في اوقاتها ولا
تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا اي صاروا فرقا مختلفة وهم
اليهود والنصارى وقيل هم اهل البدع من هذه الامة كل حزب بما لديهم فرحون اي
راضون بما عندهم قوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط وشدة دعوا ربهم منيبين
اليه اي مقبلين اليه بالدعاء ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي خصبا ونعمة اذا فريق منهم
بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله عليهم فتمتعوا فيه
تهديد ووعيد خاطب به الكفار فسوف تعلمون اي حالكم في الاخرة ام انزلنا عليهم

سلطانا

سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا فهو يتكلم اي ينطق بما كانوا به
يشركون اي بشركهم ويامرهم به واذا اذقنا الناس رحمة اي خصب وكثرة المطر فرحوا بها
اي فرح البطر وان تصبهم سيئة اي جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء بما قدمت ايديهم
اي من السيئات اذا هم يقنطون اي ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر
ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون تقدم تفسيره قوله عز وجل فآت ذا القربى حقه اي
من البر والصلة والمسكين اي حقه وهو التصدق عليه وابن السبيل اي المسافر وقيل هو
الضعيف ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يطلبون ثواب الله بما يعملون واولئك
هم المفلحون قوله عز وجل وما آتيتم اي اعطيتم من ربا ليربو في اموال الناس
اي في اجتلاب اموال الناس واجتذابها قيل في معنى الاية هو الرجل يعطي غيره العطية -
ليثيبه اكثر منها فهذا جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهو المراد بقوله تعالى
فلا يربو عند الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى ولا
تمنن تستكثر اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه او قريبه
ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه
فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله فلا يربو عند الله لانه لم يرد بعمله وجه
الله وما آتيتم من زكاة اي اعطيتم من صدقة تريدون وجه الله اي بتلك الصدقة
فاولئك هم المضعفون اي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر امثالها والمضعف
ذو الاضعاف من الحسنات الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون تقدم تفسيره قوله تعالى ظهر الفساد
في البر والبحر اي بسبب الشرك والمعاصي كقحط المطر وقلة النبات في البر اي البوادي
والفيافي وزوال الثمار والبحر قيل المدن والقرى التي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر
بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر
هو المعروف وقلة المطر كما يؤثر في البر يؤثر في البحر فتخلو اجواف الاصداف من اللؤلؤ
وذلك لان الصدف اذا جاء المطر يرتفع على وجه الماء وينفتح فما وقع فيه المطر صار
لؤلؤا بما كسبت ايدي الناس اي بسبب شؤم ذنوبهم قال ابن عباس الـ
فساد في البر قتل احد بني آدم اخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل
كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر
عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت
الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض
امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون

من الناس وقيل ان المراد بالناس كلها ومكة ليذيقهم بعض الذي عملوا اي عقوبة الذين عملوا من الذنوب
لعلهم يرجعون اي عن الكفر واعمال الخبيثة قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل اي لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية كان اكثرهم مشركين اي فاهلكوا بكفرهم قوله عز وجل فاقم
وجهك للدين القيم اي الدين الاسلام من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يعني يوم القيامة
لا يقدر احد على رده من الخلق يومئذ يصدعون اي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى من كفر فعليه
كفره اي وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يوطئون المضاجع ويسوونها
في القبور ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله قال ابن عباس ليثيبهم الله اكثر من
ثواب اعمالهم انه لا يحب الكافرين يبغضهم وعيد وتهديد لهم قوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح
مبشرات اي تبشر بالمطر وليذيقكم من رحمته اي المطر والخصب ولتجري الفلك في البحر
بهذه الرياح بامره ولتبتغوا من فضله اي لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم
تشكرون اي هذه النعم قوله عز وجل ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم
بالبينات اي بالدلالات الواضحات على صدقهم فانتقمنا من الذين اجرموا اي عذبنا الذين
كذبوهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين اي مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي صلى
الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار
جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الاية وكان حقا علينا نصر المؤمنين اخرجه الترمذي وله ولفظه من رد على
عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال الترمذي حديث حسن قوله عز وجل الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا اي تنشره فيبسطه في السماء كيف يشاء يعني مسيرة
يوم او يومين او اكثر على ما يشاء ويجعله كسفا اي قطعا متفرقة فترى الودق اي المطر
يخرج من خلاله اي من وسطه فاذا اصاب به اي بالودق من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون
اي يفرحون بالمطر وان كانوا اي وقد كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي ايسين
فانظر الى اثر رحمت الله اي المطر والمعنى انظر الى حسن تاثيره في الارض وهو قوله كيف
يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان الذي احيا الارض بعد موتها قادر على احياء
الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا اي الزرع بعد الخضرة لظلوا
من بعده اي من بعد اصفرار الزرع يكفرون اي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم
يفرحون عند الخصب ولو ارسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي فانك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهاد العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من
يؤمن باياتنا فهم مسلمون تقدم تفسيره قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف اي
مبدأكم ومنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذي ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان
جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه الاحوال في غاية الضعف ثم جعل من بعد احوال

ضعف

ضعف قوة اي هي ما كان من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا
اي هرما وشيبة وهو تمام النقصان يخلق ما يشاء اي من الضعف والقوة والشباب والشيبة
ليس ذلك من افعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته وهو العليم بتدبير خلقه القدير
على ما يشاء. قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اي يحلف المشركون ما لبثوا اي في
الدنيا غير ساعة معناه انهم استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه ما لبثوا
في قبورهم غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون اي يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك انهم كذبوا
في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث والمعنى ان الله اراد ان يفضحهم
فحلفوا على شيء تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدرته ثم ذكر
انكار المومنين عليهم كذبهم فقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم
في كتاب الله الى يوم البعث اي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث وقيل معنى
كتاب الله في حكم الله وقيل معنى الاية وقال الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان
يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا للمنكرين لقد لبثتم الى يوم البعث اي في قبوركم
فهذا يوم البعث اي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون اي وقوعه
في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن ويدل عليه قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
اي عذرهم ولا هم يستعتبون اي لا يقبل منهم والرجوع في الآخرة وقيل لا يطلب منهم
التوبة التي تزيل الجريمة لانها لا تقبل منهم قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار
ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون يعني ما انتم الا على الباطل
وذلك على سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن جئتهم
والجمع في قوله ان انتم الا مبطلون قلت فيه لطيفة وهي ان الله قال ولئن
جئتهم بكل اية جاءت بها الرسل ويمكن ان يكون معناه انتم كلكم ايها الرسل مبطلون
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اي توحيد الله فاصبر ان وعد الله حق
اي في نصرك والظفر على عدوك ولا يستخفنك اي لا يحملنك على الجهل وقيل
لا يستفزنك رؤيتك وحملك الذين لا يوقنون اي بالبعث والحساب
والله اعلم تفسير سورة لقمان وهي مكية وهي اربع قف
وثلاثون اية وخمسماية وثمان واربعون كلمة والفان ومائة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تلك آيات
الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين اي الذين يعملون الحسنات ثم نعتهم فقال الذين
يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية قيل

نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها
قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار
واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرءان فانزل الله هذه الاية
وقيل هو شرى المغنيات والمغنين ومعنى الاية ومن الناس من يشتري ذات لهو او ذا
لهو الحديث وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي مثل هذا انزلت هذه
الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته
بالغناء الا بعث الله له شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا
يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت واخرجه الترمذي ولفظه
عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات المغنيات ولا
تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارتهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا انزلت ومن
الناس من يشتري لهو الحديث الاية وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة قال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها
لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه لان الله تعالى يقول ومن الناس
من يشتري لهو الحديث الاية وعن ابن عباس وابن مسعود والحسن وعكرمة
وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والاية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل
ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرءان وقال ابو الصهباء سالت ابن مسعود
عن هذه الاية فقال هو الغناء والذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم
النخعي الغناء ينبت النفاق في القلب وقيل الغناء رقية الزنا وقيل لهو الحديث هو الباطل
وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك **ليضل عن سبيل الله** اي دين الاسلام وسماع
القرءان **بغير علم** اي يفعله عن جهل وحسب الخوض الضلالة اي يختار حديث
الباطل على حديث الحق **ويتخذها هزوا** اي يتخذ ءايات الله مزحا **اولئك** يعني الذين
هذه صفتهم **لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه ءاياتنا ولى مستكبرا** اي لا يعبا بها
ولا يرفع بها راسا **كان لم يسمعها** اي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو
سامع **كان في اذنيه وقرا** اي ثقلا ولا وقر فيهما **فبشره بعذاب اليم ان الذين ءامنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا** يعني وعدهم الله
ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد **وهو العزيز الحكيم** قوله تعالى **خلق السماوات
بغير عمد** قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحيفة مستوية وهو قول المفسرين
وهي في الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء في بعض دون بعض وليس ذلك الا بقدرة
قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد **ترونها** اي ليس معها شيء يمنعها

البغوي

في اية

الزوال

الزوال من موضعها ولبقيت ابنتي كالتي ولا وليس ذلك الا بقدرة الله وفي قوله ترونها وجهان
احدهما انه راجع الى السماوات اي ليست بعمد وانتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني
انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية والقى في الارض رواسي ان تميد بكم اي لئلا
تميد بكم وبث فيها اي في الارض من كل دابة يسكنون فيها وانزلنا من السماء ماء يعني المطر
وهو من انعام الله على عباده فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي من كل صنف حسن هذا يعني الذي
ذكرت مما تعاينون خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي من الهتكم التي تعبدونها
بل الظالمون في ضلال مبين قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة قيل لقمان بن ناعور بن ناحور
ابن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن اخت ايوب وقيل ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة
حتى ادرك داود وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما
ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة
وروي انه كان نائما نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض
تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلاء
وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان الله يفعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة علي
بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان
ان عدل فبالحري ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان
يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجبت الملائكة من
حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها
ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان
يوازر داود بحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعي
غنم فروي انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلان الراعي قال بلى قال
فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل كان عبدا
اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خيار السودان ثلاثة بلال بن رباح ومهجع
مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم والحكمة العقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل
حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره به كما ينور البصر فيدرك
المبصر وقوله ان اشكر لله وذلك لان الحمد من العلم العمل به والشكر عليه ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه اي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفران ومن كفر عليه يعود وبال كفره
فان الله غني اي غني محتاج الى شكر الشاكرين حميد اي هو حقيق بالحمد وان لم يحمده
احد قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه قيل اسمه انعم وقيل مشكم وهو يعظه وذلك لان
اعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة
ان اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى تكميل غيره

وبدا بالاقرب اليه وهو ابنه وبدا ايضا وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله يا بني لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية بين ما يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم
عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حملته امه
وهنا على وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المراة اذا حملت توالى عليها الضعف
والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف وفصاله في عامين اي فطامه
في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية
الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم خوف
فقال الي المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والاخرة وقيل انه امره
بشكره وشكر الوالدين قال الحسن الى وقت المصير الي قال سفيان بن عيينة في
هذه الاية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات
الخمس فقد شكر للوالدين وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
يعني ان طاعتهما واجبة فان افضى ذلك الى الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا معروفا اي بالمعروف وهو البر والصلة
والعشرة الجميلة واتبع سبيل من اناب الي اي اتبع دين من اقبل الى طاعتي وهو النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل من اناب الي يعني ابا بكر الصديق قال ابن عباس
وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمان
ابن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وامنت به قال نعم هو صادق فامنوا به ثم
حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهولاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد
ابي بكر ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله
فقال يا بني انها اي الخطيئة انها ان تك مثقال حبة من خردل اي في الصغر فتكن
اي مع صغرها في صخرة قال ابن عباس هي صخرة تحت الارضين السبع وهي التي
تكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون
والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على
صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الارض ولا في السماء فلذلك قال او في السماوات او في
الارض والصخرة على متن الريح والريح على القدرة يات بها الله معناه الله عالم بها قادر
على استخراجها وهو قوله ان الله لطيف اي باستخراجها خبير اي بمكانها ومعنى الاية
هو الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها وقيل ان هذه الكلمة اخر كلمة تكلم بها لقمان
فانشقت مرارته من هيبتها وعظمها فمات يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه
عن المنكر واصبر على ما اصابك يعني من الاذى ان ذلك من عزم الامور يعني اقامة الصلاة

والامر بالمعروف

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي امر الله بها ولا تصاعر
وقرئ تصعر خدك للناس قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم
بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه احنة فيلقاك فتعرض عنه
وقيل هو الذي اذا سلم عليك لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقراء ليكون الفقير
والغني عندك سواء ولا تمش في الارض مرحا اي خيلاء ان الله لا يحب كل مختال اي في مشيه
فخور اي على الناس واقصد في مشيك اي ليكن مشيك قصدا بين الاسراع والتاني اما
الاسراع فهو من الخيلاء واما التاني فهو ان يري من نفسه الضعف تزهدا وكلا الطرفين
مذموم بل يكون مشيك بالسكينة والوقار واغضض اي اخفض وقيل انقص
من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير لان اوله زفير واخره شهيق وهما صوتا اهل
النار وعن الثوري في هذه الاية قال صياح كل شيء تسبيح الا الحمار وقيل في
معنى الاية هي العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف باب
من الحكمة اذ خلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمه قيل انه كان عبدا حبشيا
فدفع اليه مولاه شاة فقال له اذبحها وائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان
والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا
وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان اي الناس شر قال الذي
لا يبالي ان يراه الناس مسيئا قوله عز وجل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض
واسبغ اي اتم واكمل عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ابن عباس النعمة
الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة
وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة
تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على
الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول صلى الله عليه
وسلم والباطنة محبته ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث
وابي بن خلف وامية بن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم
في الله وفي صفاته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا قال الله تعالى اولو كان الشيطان يدعوهم معناه
فيتبعونه وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير قوله عز وجل ومن يسلم
وجهه الى الله اي لله يخلص دينه له ويفوض امره اليه وهو محسن اي في عمله فقد
استمسك بالعروة الوثقى اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه ويرتقي
بسببه الى اعلى الغايات والى الله عاقبة الامور اي مصير جميع الاشياء اليه ومن كفر فلا
يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله عليم بذات الصدور

اي لا يخفى عليه شيء منهم وعلينا نتيقن نمتعهم قليلا اي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء آجالهم
ثم نضطرهم اي نلجئهم ونردهم الى عذاب غليظ اي الى النار في الآخرة ولئن سألتهم من خلق
السماوات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السماوات والارض
ان الله هو الغني الحميد تقدم تفسيره قوله تعالى ولو انما في الارض من شجرة اقلام قال
المفسرون نزلت بمكة ويسألونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول اعنيتنا ام قومك فقال
عليه السلام كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة فيها علم
كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم الله ما ان عملتم
به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فانزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان
اليهود امروا وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة
وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما ياتي به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فانزل الله هذه
الآية ومعنى ولو انما في الارض من شجرة اقلام اي بريت اقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلما والبحر
يمده اي يزيده وينصب اليه من بعده سبعة ابحر اي مدادا والخلائق يكتبون بها كلام الله
ما نفدت كلمات الله لانه لا نهاية لها ان الله عزيز حكيم قوله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة اي الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء ان الله سميع اي
لاقوالكم بصير اي باعمالكم الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي هو
قادر على هذه الاشياء الذي ذكر هو الحق المستحق للعبادة وان ما تدعون من دونه الباطل لانه
لا يستحق العبادة وان الله هو العلي اي في صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى الكبير
اي في ذاته لانه اكبر من كل كبير قوله تعالى الم تر ان الفلك اي السفن والمراكب تجري في البحر بنعمت الله
اي ذلك من نعمة الله عليكم ليريكم من آياته اي من عجائب صنائعه ان في ذلك لآيات لكل صبار
اي على ما امر الله شكور اي لانعام الله واذا غشيهم موج كالظلل اي كالجبال وقيل كالسحاب
شبه به الموج في كثرتها وارتفاعها دعوا الله مخلصين له الدين معناه ان الانسان اذا وقع
في شدة ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه فاذا انجاه من تلك الشدة
فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
اي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد له والثبوت على الايمان وقيل نزلت
في عكرمة بن ابي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة
لئن انجانا الله من هذه لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يدي في يده فسكنت
الريح فرجع عكرمة الى مكة واسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يف بما عاهد وهو المراد بقوله

وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار أي غدار كفور أي جحود لا نعامنا عليه قوله عز وجل يا أيها الناس اتقوا ربكم أي خافوا ربكم واخشوا أي خافوا يوما لا يجزي أي لا يقضي ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقيل معنى الآية أن الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالأعلى على الأدنى وبالأدنى على الأعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزي عن والده لما له عليه من حق التربية وغيرها فإذا كان يوم القيامة فكل إنسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه إن وعد الله حق قيل إنه تحقيق لليوم معناه اخشوا يوما هذه صفته إنه هو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل إنه تحقيق لعدم الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الأول أحسن وأظهر فلا تغرنكم الحياة الدنيا أي لا تغتروا بها فإنها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل المعاصي ويتمنى المغفرة

قوله تعالى إن الله عنده علم الساعة الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن خصفة من أهل البادية أتى النبيء صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال إن أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى فما تلد وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت فأنزل الله هذه الآية خ عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ومعنى الآية أن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو يوم ليلا أو نهارا وينزل الغيث فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا إلا الله ويعلم ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحمر أم أسود تام الخلق أو ناقصه وما تدري نفس ماذا تكسب غدا أي من خير أو شر وما تدري نفس بأي أرض تموت أي ليس أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الأرض في بر أو بحر أو سهل أو جبل إن الله عليم أي بعلم الأشياء كلها وبغيرها خبير أي بظواهر الأشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه والله أعلم

تفسير سورة السجدة وهي مكية

قال عطاء إلا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مومنا وهي تسع وعشرون وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه من رب العالمين أم يقولون افتراه أي بل يقولون يعني المشركين افتراه أي اختلقه محمد من تلقاء نفسه بل هو الحق يعني القرآن

من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني العرب كانت امة امية لم ياتهم نذير
قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم فان قلت اذا لم ياتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك
علمها الا من جهة الرسل فلا واما قيام الحجة عليهم بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم
ادلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان لعلهم يهتدون يعني تنذرهم راجيا اهتداءهم
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم
من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يعني تعتبرون قوله عز وجل يدبر الامر اي يحكم
الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يعرج اي
يصعد اليه جبريل بالامر في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون يعني مسافة
ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء
في مقدار الف سنة لو ساره احد من بني ادم وجبريل ينزل او يصعد في مقدار يوم من ايام
الدنيا واقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم وقيل في معنى الاية انه يدبر الامر من السماء
الى الارض مدة ايام الدنيا ثم يعرج اليه اي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع
امر الامراء وحكم الحكام في يوم كان مقداره الف سنة هو يوم القيامة فان قلت
قد قال في موضع اخر تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
فكيف الجمع بينهما قلت قيل اراد بقوله خمسين الف سنة مدة المسافة بين الارض
الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين
معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل كلاهما في القيامة
فيكون على بعضهم كالف سنة وعلى بعضهم كخمسين الف سنة وهذا في حال الكفار واما
على المومنين فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المومن كقدر صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المومن الا كما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون
هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن ابي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز
مولى عثمان على ابن عباس فساله ابن فيروز عن هذه الاية وعن قوله خمسين الف سنة
فقال ابن عباس ايام سماها الله لا ادري ما هي واكره ان اقول في كتاب الله ما لا اعلم
ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو
عالم الغائب اي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة يعني ما حضر وهو
العزيز اي المنيع المنتقم من اعدائه الرحيم اي باوليائه واهل طاعته قوله عز وجل
الذي احسن كل شيء خلقه قال ابن عباس اي اتقنه واحكمه وقيل علم كيف
يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان
كامل في خلقه حسن في شكله وكل عضو من اعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل

معناه

معناه الذي خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه واحسنهم لذلك وقيل معناه احسن الذي كل شيء
خلقه وبدا خلق الانسان من طين يعني آدم ثم جعل نسله يعني ذريته من سلالة اي نطفة
تنسل من الانسان من ماء مهين اي ضعيف ثم سواه اي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه
اي اضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله تعالى وهكى ما يأتي تنبيها على نفخ الروح
في الجسد فقال وجعل لكم اي بعد ان كنتم نطفا امواتا السمع والابصار والافئدة قيل
قدم السمع لان الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر في قلبه
في ذلك الكلام ليفهم معناه ووجه السمع لان الانسان يسمع الكلام من اي جهة كان
قليلا ما تشكرون يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه قوله تعالى وقالوا يعني
منكري البعث أئذا ضللنا اي هلكنا في الارض والمعنى صرنا ترابا أئنا لفي خلق جديد
استفهام استنكار قال الله تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون اي بالبعث بعد الموت
قل يتوفاكم اي يقبض ارواحكم حتى لا يبقى ممن كتب عليه الموت ملك الموت وهو
عزرائيل عليه السلام الذي وكل بكم اي انه لا يغفل عنكم واذا جاء اجل احدكم لا يؤخر
ساعة ولا شغل له الا ذلك روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ
منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلق من مشارق الارض
ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس
ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل
الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض
فتنزع اعوانه روح الانسان فاذا ابلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت وعن معاذ
ابن جبل ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس
فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى
اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال له الان ينزل بك عسكر الموت قوله ثم الى ربكم
ترجعون اي تصيرون اليه احياء فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل ولو ترى اذ المجرمون
اي المشركون ناكسوا رؤوسهم اي مطاطئوها حياء من ربهم وندما على ما
فعلوا عند ربهم ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا اي ما كنا به مكذبين وسمعنا
يعني منك تصديق ما اتتنا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا
فارجعنا اي فارددنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي انا في الحال ولكن لا ينفع ذلك
الايمان ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اي رشدها وتوفيقها للايمان ولكن
حق القول مني اي وجب القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من كفار
الجن والانس فذوقوا اي اذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم
هذا اي تركتم الايمان في الدنيا انا نسيناكم اي تركناكم بالكلية غير ملتفت

الجحيم كما يعطيه العذاب فقطعا حياتهم وق وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي من الكفر
والتكذيب قوله عز وجل انما يومن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها خروا سجدا
اي سقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا بحمد ربهم اي صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان
الله وبحمده وهم لا يستكبرون اي عن الايمان به والسجود له وفي حديث ابن عمر قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا مكانا لموضع
جبهته في غير وقت الصلاة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتي امر ابن آدم بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار روه امن على ايم يجوه الغي . ان يتنفس
للقاري والمستمع قوله تعالى تتجافى اي تنبو وتبعد جنوبهم عن المضاجع جمع المضجع
وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلوات
قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال نزلت في
انتظار الصلاة التي تدعى العتمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح
وفي رواية ابي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون وهو قول ابي
حازم ومحمد بن المنكدر وقالا هي صلاة الاوابين وروي عن ابن عباس قال ان الملايكة لتحف
بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال عطا هم الذين لا ينامون حتى
يصلون العشاء الاخرة وعن ابي الدردا وعبادة بن الصامت واي ذر انهم الذين يصلون العشاء
الاخرة والصبح في جماعة ويدل ليس قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام
نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله اخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولو يعلمون ما في العتمة والصبح
لاتوهما ولو حبوا واشتهر الاقاويل ان المراد صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد
ومالك والاوزاعي وجماعة **فصل** في فضل قيام الليل والحث عليه عن معاذ
بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير
فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سالت عن عظيم
وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتوتي
الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة
تطفي الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ
جزاء بما كانوا يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا
اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا نبي الله قال فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا فقلت (بملاك)
يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار

على وجوههم

على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم اخرجه الترمذي عن ابي امامة
الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم
وقربة الى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الاثم ومطردة الداء عن الجسد اخرجه الترمذي
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن
وطائه ولحافه من بين حبه واهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي ورجل
غزى في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه من الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى
اهريق دمه فيقول الله لملائكته انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقا مما
عندي حتى اهريق دمه اخرجه الترمذي بمعناه م وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل
الصلوات بعد الفريضة صلاة الليل وعن عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له تصنع هذا يا رسول الله وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا عن علي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها
من ظاهرها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس
نيام اخرجه الترمذي خ عن الهيثم ابن ابي سنان انه سمع ابا هريرة في قصصه
يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان اخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة
وقال وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ان ما قال واقع يبيت يجافي جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالكافرين المضاجع اخرجه البخاري وليس للهيثم ابن سنان عن
ابي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث وقوله **يدعون ربهم خوفا وطمعا** قال
ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة **ومما رزقناهم ينفقون** قيل اراد به
الصدقة المفروضة وقيل هو عام في الواجب والتطوع قوله عز وجل **فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين** اي مما تقر به اعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس
هذا مما لا تفسير له وقيل اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم **جزاء بما كانوا يعملون**
اي من الطاعات في دار الدنيا ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر واقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قوله تعالى **افمن
كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون** نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة
ابن ابي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي اسكت فانك صبي وانا
والله ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملى منك حشوا في

الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه الآية وقوله لا يستوون اراد جنس
المومنين وجنس الفساق فيفيد ولم يرد مومنا واحدا ولا فاسقا واحدا **أما الذين آمنوا وعملوا**
الصالحات فلهم جنات المأوى أي التي ياوي اليها المومنون **نزلا** هو ما يهيا للضيف عند
نزوله **بما كانوا يعملون** يعني من الطاعات في دار الدنيا **وأما الذين فسقوا فماواهم النار كلما**
ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
قوله تعالى **ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر** أي سوى العذاب الاكبر قال ابن
عباس العذاب الادنى مصايب الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة
حتى اكلوا الجيف والعظام سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر والكلاب صح
هو عذاب جهنم **لعلهم يرجعون** أي الى الايمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر **ومن اظلم**
أي لا احد اظلم **ممن ذكر بآيات ربه** أي بدلايل وحدانيته وانعامه عليه **ثم اعرض عنها**
أي ترك الايمان بها **انا من المجرمين** يعني المشركين **منتقمون** معناه انه لما لم يرجعوا بالعذاب
الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الاكبر قوله عز وجل **ولقد آتينا موسى الكتاب** يعني التوراة
فلا تكن في مرية أي في شك **من لقائه** أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة اسري بي موسى رجلا ادم اللون طوالا جعدا
كانه من شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر
ورايت مالكا خازن النار والدجال في آيات اراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه عن
أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت موسى ليلة اسري بي عند الكثيب
الاحمر وهو قائم يصلي في قبره فان قلت كيف الجمع بين حديث المعراج انه رآه في
السماء السادسة ومراجعته في امر الصلاة وكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت
يحتمل ان يكون رؤيته في قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك في طريقه الى
بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز
وجل وهو على كل شيء قدير فان قلت كيف يصح الصلاة منه في قبره وهو ميت وقد سقط
عنه التكليف وهو في الدار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رآه النبي صلى الله عليه وسلم
جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت عنه اجوبة احدها ان
الانبياء كالشهداء بل هم افضل منهم والشهداء احياء عند ربهم فلا يبعد ان
يحجوا ويصلوا كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا لانهم وان
كانوا قد توفوا لانهم بمنزلة الاحياء في هذه الدار التي هي دار العمل الى ان تفنى وتفضي
الى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني انه صلى الله عليه وسلم اري حالهم التي كانوا
عليها في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلواتهم الجواب الثالث ان
التكليف وان ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم

فيها

فيها سبحانك اللهم وبحمدك وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس
فالعبد يعبد ربه في الجنة لكن ما كان يعبد في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله
مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في
الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل في قوله
فلا تكن في مرية من لقائه اي من تلقي موسى كتاب الله بالرضى والقبول وجعلناه
يعني الكتاب هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم اي من بني اسرائيل أئمة اي قادة
في الخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء
يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى طاعتنا لما صبروا اي على دينهم وعلى البلاء
من عدوهم بمصر وكانوا بآياتنا يوقنون انها من الله تعالى ان ربك هو يفصل
اي يقضي ويحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون قيل هم الانبياء واممهم
وقيل هم المومنون والمشركون قوله تعالى اولم يهد لهم اي يبين لهم كم اهلكنا
اي كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون اي الامم الخالية يمشون في مساكنهم يعني
اهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا ان في ذلك لآيات افلا يسمعون
اي آيات الله ومواعظه فيتعظون بها قوله عز وجل اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز اي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس
هي ارض باليمن وقيل هي ابين فنخرج به اي بذلك الماء زرعا تاكل منه انعامهم
اي العشب والتبن وانفسهم اي من الحبوب والاقوات افلا يبصرون اي فيعتبرون
قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قيل اراد بيوم الفتح
يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك لان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم
فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح اي القضاء والحكم وقيل هو يوم فتح مكة وقيل
هو يوم بدر وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان
الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح قل يوم الفتح يعني يوم
القيامة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اي لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح
على فتح مكة والقتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم وقتلوا ولا هم
ينظرون اي لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا فاعرض عنهم قال ابن عباس نسختها
آية السيف وانتظر اي موعدي لك عليهم بالنصر انهم منتظرون اي بك
حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فانهم منتظرون ذلك عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر يوم الجمعة
الم تنزيل وهل اتى على الانسان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام

حتى ياتي الى تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال طاووس تفضلان
كل سورة في القرآن بستين حسنة اخرجه الترمذي ـ تفسير
سورة الاحزاب وهي مدنية وهي ثلاث وسبعون آية
والف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبع مائة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ولا
تطع الكافرين والمنافقين نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي
الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي راس
المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه
فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها
شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر
يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة
الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فانزل الله يا ايها
النبي اتق الله اي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينكم
وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته ولا تطع الكافرين يعني
من اهل مكة يعني ابا سفيان وعكرمة والاعور والمنافقين يعني من اهل المدينة عبد الله بن ابي
وعبد الله بن سعد وطعمة ان الله كان عليما اي بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما اي
فيما دبر لهم واتبع ما يوحى اليك من ربك اي من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين
والمنافقين ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله اي ثق بالله وكل امرك
اليه وكفى بالله وكيلا اي حافظا لك وقيل كفيلا قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين كفيلا
في جوفه نزلت في ابي معمر حميد بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت
قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان هو يقول ان لي قلبين اعقل
بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر
فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما حال
الناس قال انهزموا قال له فما لك احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ابو معمر
ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده
وعن ابي ظبيان قال قلنا لابن عباس ارايت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
ما عنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون
الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد

الوسوسة

الوسوسة التي تحصل للانسان في صلاته وقيل في معنى الاية انه لما قال تعالى يا ايها النبيء
اتق الله فكان في ذلك امر بالتقوى فكانه قال ومن حقها ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله
فان المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالاخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله
للمتظاهر من امراته وللمتبني ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لا يخلو اما ان يفعل
باحدهما ما لا يفعل بالاخر من افعال القلوب فالاخر فضلة غير محتاج اليه واما ان يفعل
بهذا ما لا يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا
موقنا شاكا في حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان وكذلك لا تكون امراة المظاهر
امه حتى يكون له امان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين وهو قوله تعالى **وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن امهاتكم** وصورة المظاهر ان يقول الرجل لامراته انت علي
كظهر امي يقول الله تعالى ما جعل الله نساءكم اللائي يقولون لهن هذا في التحريم كامهاتكم
ولكنه منكر وزور وفيه كفارة نذكرها ان شاء الله في سورة المجادلة **وما جعل
ادعياءكم** يعني من تتبنونه **ابناءكم** وفيه نسخ التبني وذلك ان الرجل كان
في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث
ميراثه وكان النبيء صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي
وتبناه قبل الوحي واخا بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج
محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية ونسخ بها
التبني **ذلكم قولكم بافواهكم** اي لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد وادعى نسبا لا
حقيقة له **والله يقول الحق** اي قوله الحق **وهو يهدي السبيل** اي يرشد الى
سبيل الحق **ادعوهم لآبائهم** اي الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة **هو
اقسط عند الله** اي اعدل عند الله (خ) عن ابن عمر ان زيدا ابن حارثة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم
لآبائهم هو اقسط عند الله الاية **فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين
ومواليكم** اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم اي كانوا محررين وليسوا ببنيكم
اي فسموهم باسماء اخوانهم في الدين وقيل معنى مواليكم اولياؤكم في الدين
وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به اي قبل النهي فنسبتموه الى غير
ابيه **ولكن ما تعمدت قلوبكم** اي من دعائهم الى غير آبائهم بعد النهي
وقيل فيما اخطاتم به ان يدعوه لغير ابيه وهو يظن انه كذلك **وكان الله غفورا
رحيما** (ق) عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى
الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام قوله عز وجل **النبيء اولى**

بالمومنين من انفسهم اي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته فـال
ابن عباس يعني اذا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شيء كانت
طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم وهذا صحيح قال وان نفوسهم
تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل
هو اولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج
الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستاذن من ابائنا وامهاتنا فنزلت هذه الاية وعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا
والاخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن ترك مالا
فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا فلياتني فانا مولاه عصبة الميت
من يرثه سوى من له عصبة فرض مقدر وقوله او ضياعا اي عيالا واصله مصدر ضاع
يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع قوله تعالى وازواجه امهاتهم
يعني هن امهات المومنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التابيد لا في النظر
اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن
اخوات المومنين ولا لاخوانهن واخواتهن اخوال المومنين وخالاتهم قال
الشافعي تزوج الزبير اسماء بنت ابي بكر وهي اخت عائشة ام المومنين
ولم يقل هي خالة المومنين وقيل ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن كن
امهات المومنين والمومنات الرجال والنساء جميعا وقيل كن امهات الرجال دون
النساء بدليل ما روي عن مسروق ان امراة قالت لعائشة يا امه فقالت
لست لك بام انما انا ام رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو في تحريم
نكاحهن واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث قيل كان
المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الناس وكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر دون عصبته
حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل هو في معنى الاية لا توارث
بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر في كتاب الله اي في حكم
الله من المومنين الذين اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس وكان يواخي بين
الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله وقيل في معنى الاية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر
وغير المهاجر والمهاجرين والمعنى وذوو القرابات بعضهم اولى بميراث بعض فنسخت هذه
الاية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة الا ان تفعلوا الى اوليائكم
معروفا يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف

والاخاء والهجرة

والاخاء والهجرة اباح ان يوصي لمن يتولاه بما احب من ثلث ماله وقيل اراد بالحق وفا النصرة
وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا ان توصوا لذوي من ابنيكم بشيء وان كانوا من
غير اهل الايمان والهجرة **كان ذلك** اي الذي ذكرت من اولي الارحام بعضهم اولى ببعض **في الكتاب**
اي اللوح المحفوظ وقيل في التوراة **مسطورا** اي مكتوبا مثبتا قوله تعالى **واذ اخذنا من**
النبيين ميثاقهم اي على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض
وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم **ومنك** يعني يا محمد
ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين
لانهم اصحاب الكتب والشرايع واولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر
تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدا به صلى الله عليه وسلم **واخذنا**
منهم ميثاقا غليظا اي عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة **ليسأل**
الصادقين عن صدقهم يعني اخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن
تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقين تبكيت من
ارسلوا اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن علمهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بافواههم
عن صدقهم في قلوبهم **واعد للكافرين عذابا اليما** قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا**
اذكروا نعمة الله عليكم وذلك حين حوصر المومنون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة ايام الخندق **اذ جاءتكم جنود** يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود
قريظة والنضير **فارسلنا عليهم ريحا** يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة
الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري
بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا **وعن ابن عباس** عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقيل ان الصبا ريح فيها روح
ما هبت على محزون الا ذهب حزنه وقوله تعالى **وجنودا لم تروها** يعني الملايكة ولم تقاتل
الملايكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت
الاطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل بعضها في بعض
وكثر تكبير الملايكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم
الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء لما بعث الله عليهم من الرعب
وكان الله بما تعملون بصيرا **ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب**
قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة اربع روى محمد بن اسحاق عن مشايخه
قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب

وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهوذة بن قيس وابو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني
وائل وهم حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله
فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد
افديننا خير ام دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه ففيهم قال الله تعالى فيهم الم تر
الى الذين يومنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم
ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج اولئك
النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه
وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت
غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن ابي حارثة
المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من اشجع
فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي
اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده
سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا
حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج
المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال
الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان
وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا
تحت ذو ناب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا
يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها
فان المعدل قريب واما ان يامرنا فيها بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة
بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل
ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع سلمان الى الخندق والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
المعول من سلمان وضربها ضربة صدعها وبرق منها برق فاضاء ما بين لابتيها يعني
المدينة حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح
وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية وبرق منها برق فاضاء ما
بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم تكبير
فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق

فاضاء ما

اضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكبير فتح وكبر المسلمون معه واخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول
الله لقد رايت شيئا ما رايت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال
ارايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رايتم
فاضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب واخبرني جبريل
ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رايتم اضاءت لي منها قصور
الحمر من ارض الروم كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت
ضربتي الثالثة فبرق الذي رايتم فاضاءت قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرني
جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا
الحمد لله موعد صدق ووعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم
وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فانزل القرآن واذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله قل
اللهم مالك الملك الآية **وعن انس** قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق
فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما
راى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآخره فاغفر للانصار والمهاجره
فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا **وعن البراء** قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا والمشركون قد
بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا ويرفع بها صوته وفي رواية وقد وارى التراب
بياض بطنه رجعنا الى حديث ابن اسحاق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة في عشرة
الاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من
اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخ
والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام وخرج عدو الله حيي
ابن اخطب من بني النضير حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان
قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحيي
ابن اخطب اغلق دونه حصنه فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح
فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه

ولم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح لي قال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دوني
الا على جشيشتك   ان اكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز
الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة
وبغطفان على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب نقمى الى جانب احد قد عاهدوني وعاقدوني
ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد
هراق ماؤه يرعد ويبرق ليس فيه شيء. دعني ومحمدا وما انا عليه فاني لم ار من محمد الا صدقا
ووفاء فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على ان اعطاه من الله عهدا
وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك نبيس
فنقض كعب بن اسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم سعد بن معاذ احد بني الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة
وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة اخو   ابن الخزرج احد
وخوات بن جبير اخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا احق ما بلغنا عن هؤلاء القوم احق
ام لا فان كان حقا فالحنوا الي لحنا اعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا
وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم منهم وقالوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة
وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم
اربى من المشاتمة ثم اقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا
عضل والقارة اي كغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب الرجيع خبيب
ابن عدي واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين
وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون
كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين فقال معتب بن قشير اخو بني عمرو بن عوف كان
محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يامن ان يذهب الى الغائط ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا وحتى قال اوس بن قيظي احد بني حارثة يا رسول الله ان بيوتنا
لعورة من العدو وذلك على ملا من رجال قومه فائذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة
من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة
قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصار فلما اشتد البلاء على
الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عوف وهما
قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة

[illegible] ذلك

فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فيه
فقالا يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا
قال شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم
من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء
القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها
ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة
والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت
وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصرون ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش
عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان
ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال
وخرجوا على خيلهم على بني كنانة فقالوا تهيؤوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم
من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا هذه مكيدة ما كانت
العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت
بهم في بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة
التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته
الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو
وخيله قال له علي يا عمرو إنك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت
منه إحداهما قال أجل قال له علي فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي
بذلك قال فإني أدعوك إلى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال له علي لكني
والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه
ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي فخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق
هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه
بسهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه
فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل إليه علي فقتله فغلب المسلمون
على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وثمنه وشأنكم به فخلى بينهم وبينه **قالت**
عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة
وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر بنا سعد بن معاذ
وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته وهو يقول لبث

فلبث قليلا يدرك الهيجا حمل لا باس بالموت اذا حان الاجل فقالت له الحق يا بني فقد والله اخرت قالت
عائشة فقلت يا ام سعد والله لوددت ان درع سعد كانت اسبغ مما هي وخفت عليه حيث
اصاب السهم منه قالت فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه حبان بن قيس بن العرقة
احد بني عامر بن لؤي فلما اصابه قال خذها وانا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك
في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب
الي ان اجاهدهم من قوم اذوا رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا
وبينهم فاجعله شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه
في الجاهلية قال محمد بن اسحاق فيما بلغه ان صفية ابنة عبد المطلب كانت في فارع
حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان قالت صفية فمر
بنا رجل من يهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا
عنهم اذا اتانا ات قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني
والله ما امنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا
بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم ار عنده شيئا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن
اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه
فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب
قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من ابن عامر بن غطفان اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي
فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا
ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نديما
لهم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم
قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد
ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم
واولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا الى غيره منه وان قريشا وغطفان اموالهم
ونساؤهم واولادهم بغيره ان راوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم
وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم
حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا
حتى تناجزوه قالوا لقد اشرت بالراي ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب
ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا وقد بلغني امر رايت

من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم
واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم
ثم ان نعيم بن مسعود صح

حقا

حقا علي ان ابلغكم نصحا فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود في قريضة
قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه ان قد ندمنا على ما فعلنا
فهل يرضيك عنا ان ناخذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب
اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون
رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر
غطفان انتم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا
علي قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة
السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل
ابو سفيان ورؤوس غطفان الى بني قريضة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان
فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا
ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا
وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل
معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى
ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا
ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالت بنو قريضة قالت
قريش وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريضة
انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا
فقالت بنو قريضة حين انتهت اليهم الرسل بهذه ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق
ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا
الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله
لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم
الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفا قدورهم وتطرح ابنيتهم
فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم دعا حذيفة
بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا وروى محمد بن اسحاق عن يزيد
ابن زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى مسلم عن ابراهيم التيمي عن ابيه قالا
قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله رايتم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد
كنا نجهد قال الفتى والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا
ولخدمناه وفعلنا وفعلنا فقال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رايتني ليلة الاحزاب مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فياتينا بخبرهم ادخله

الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا
فقال مثله فسكت القوم وما قام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم
التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام
رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله وقمت
حتى اتيته وان جنبي ليضطربان فمسح راسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تاتيني
بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن
يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت علي اسلابي ثم انطلقت
امشي نحوهم كانما امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد ارسل الله عليهم ريحا وجنودا
لله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فاذا ابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت
سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان ارميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما راى ابو سفيان
ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل
رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من انت فقال سبحان
الله اما تعرفني انا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش والله
ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره
ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه
ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم فسمعت غطفان بما فعلت قريش
فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني امشي في حمام
فاتيته وهو قائم يصلي فلما سلم اخبرته فضحك حتى بدت انيابه في سواد الليل فلما اخبرته
وفرغت قررت وذهب عني الدفء فادناني النبي صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى
علي طرف ثوبه والزق صدري ببطن قدميه فلم ازل نائما حتى اصبحت فقال قم يا نومان انتهى.
قوله عز وجل اذ جاءوكم من فوقكم اي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم اسد وغطفان
وعليهم مالك بن عوف النضري وعيينة بن حصن الفزاري في الف من غطفان ومعهم طليحة
ابن خويلد الاسدي في بني اسد وحيي بن اخطب في يهود بني قريظة ومن اسفل منكم
يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة وعليهم ابو سفيان ابن حرب
في قريش ومن تبعه وابو الاعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة
الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم واذ زاغت الابصار
اي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر الا الى عدوها وبلغت القلوب
الحناجر اي زالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على

التمثيل

التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه
ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت الرئة رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ
سحره وتظنون بالله الظنونا اي اختلفت الظنون فظن لهم هنالك ابتلي المومنون
اي عند ذلك اختبر المومنون المنافقون استئصال محمد واصحابه وظن المومنون النصر
والظفر بالعدو والقتال ليتميز المخلصون من المنافقين وزلزلوا زلزالا شديدا اي
حركوا حركة شديدة واذ يقول المنافقون يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن ابي
واصحابه والذين في قلوبهم مرض اي شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا اي هو قول اهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا
لا يستطيع ان يجاوز رحله هذا هو الغرور قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم
اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب يعني يا اهل المدينة وقيل
يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يثرب
باسم رجل من العماليق كان نزلها في قديم الزمان وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طابة كانه كره هذه اللفظة لما فيه
من التثريب وهو التقريع والتوبيخ لا مقام لكم تنزلون وتقيمون فيه فارجعوا اي
الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال ويستاذن فريق منهم
النبي يعني حارثة وبني سلمة يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية ضائعة وهي
مما يلي العدو ونخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى فقال وما هي بعورة ان يريدون
الا فرارا انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال ولو دخلت عليهم من اقطارها
يعني لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب نواحي المدينة وجوانبها
ثم سئلوا الفتنة اي الشرك لاتوها اي لجاؤوها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام وما
تلبثوا بها اي ما احتبسوا عن الفتنة الا يسيرا اي لاسرعوا الاجابة الى
الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر
الا قليلا حتى يهلكوا قوله عز وجل ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
اي قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار اي لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم
احد ان مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها
وقيل هم ناس غابوا عن وقعة بدر فلما راوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة
والفضيلة قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك وكان
عهد الله مسئولا اي عنه في الاخرة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او
القتل يعني الذي كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل لابد من ذلك واذا لا تمتعون
اي بعد الفرار الا قليلا اي مدة آجالكم وهي قليل قل من ذا الذي يعصمكم اي

يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا اي هزيمة او اراد بكم رحمة اي نصرا ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا اي ناصرا يمنعهم قد يعلم الله المعوقين اي مثبطين الناس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائلين لاخوانهم هلم الينا اي ارجعوا الينا ودعوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم ناس من المنافقين
كانوا يثبطون انصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد واصحابه الا اكلة
راس ولو كانوا لحما لالتهمهم اي ابتلعهم ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك
وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت اليهم ما الذي يحملكم على انفسكم
بقتل ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا
وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا وجيراننا هلم الينا فاقبل عبد الله بن ابي واصحابه
على المومنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم
لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون من محمد فما عنده خير ما هو الا يقتلنا هاهنا
انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المومنون بقول المنافقين الا ايمانا
واحتسابا وقوله ولا ياتون الباس يعني الحرب الا قليلا اي رياء وسمعة من
غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا اشحة عليكم اي بخلا بالنفقة
في سبيل الله والنصر وصفهم بالبخل والجبن فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم اي في رؤوسهم من الخوف والجبن كالذي يغشى عليه من
الموت اي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه اسبابه فانه يذهب عقله
ويشخص بصره فلا يطرف فاذا ذهب الخوف اي زال سلقوكم اي اذوكم ورموكم في حالة الامن
بالسنة حداد اي ذربة يقطع كقطع الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص
والغيبة وقيل بسطوا السنتهم فيكم وقت الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال قسمة
فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند الحرب اجبن قوم اشحة على
الخير اي يشاحون المومنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال اولئك لم
يومنوا اي لم يومنوا حقيقة الايمان وان ظهر الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم اي الذين
كانوا ياتون بها مع المسلمين قيل هو الجهاد وغيره وكان ذلك على الله يسيرا اي احبط
اعمالهم مع ان كل شيء على الله يسير. قوله تعالى يحسبون يعني هؤلاء المنافقين الاحزاب
يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا اي ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد
انصرفوا عنهم وان يات الاحزاب اي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو انهم
بادون في الاعراب اي يتمنون لو كانوا في البادية مع الاعراب من الجبن والخوف يسالون
عن انبائكم اي اخباركم وما ال اليه امركم ولو كانوا فيكم يعني هؤلاء المنافقين ما قاتلوا
الا قليلا يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو رميا بالحجارة

وقيل رياء

وقيل رياء من غير احتساب قوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي قدوة
صالحة اي اقتدا واي اقتدا احسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا
عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه
واوذي بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا
بسنته لمن كان يرجوا الله يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجوا الله
قال ابن عباس يرجوا ثواب الله واليوم الاخر يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء وذكر
الله كثيرا اي في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المومنين عند لقاء الاحزاب
فقال تعالى ولما راء المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله اي قالوا ذلك
تسليما لامر الله وتصديقا لوعده وصدق الله ورسوله اي فيما وعد وهو في مقابلة قول
المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى
ما وقع بل انهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة في جميع ما
وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان يلحقهم شدة وبلاء
فلما راوا الاحزاب وما اصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله وما زادهم الا ايمانا اي تصديقا بالله وتسليما اي لامره قوله تعالى من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى
نحبه اي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني
اجله فقتل على الوفاء يعني حمزة واصحابه وقيل قضى نحبه اي بذل جهده في الوفاء بالعهد
وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر يعني من بقي بعد هولاء
من المومنين ينتظرون احد الامرين اما الشهادة او النصر على الاعداء وما بدلوا
يعني عهدهم تبديلا وعن انس قال غاب عمي انس بن النضر عن قتال بدر فقال
يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لئن الله اشهدني قتال المشركين ليرين
الله ما اصنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر اليك
مما صنع هولاء يعني اصحابه وابرا اليك مما صنع هولاء المشركين ثم تقدم فاستقبله
سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني اجد ريحها من دون احد
قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال انس فوجدنا به بضعا وثمانين
ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم فوجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون
فما عرفه احد الا اخته ببنانه قال كنا نرى او نظن هذه الاية نزلت فيه وفي اشباهه
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى اخر الاية وعن خباب بن الارت
قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع اجرنا على الله فمنا
من مات ولم ياكل من اجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة فكنا اذا

غطينا بها راسه بدت رجلاه وان غطينا رجليه بدا راسه فامرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نغطي راسه ونجعل على رجليه شيئا من الاذخر ومنا من اينعت له
ثمرته فهو يهدبها الثمر والثمرة كسرا ملون منصوب وقوله ومنا من اينعت اي ادركت ونضجت
له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله من الدنيا وقوله يهدبها اي يجنيها ويقطفها عن
ابي موسى بن طلحة قال دخلت على معوية فقال الا ابشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب خ عن قيس بن ابي
حازم قال رايت يد طلحة شلا وقا بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد **ليجزي الله**
الصادقين بصدقهم اي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد **ويعذب المنافقين**
ان شاء او يتوب عليهم اي يهديهم الى الايمان ويشرح لهم صدورهم **ان الله كان غفورا رحيما**
ورد الله الذين كفروا اي من قريش وغطفان **بغيظهم** يعني لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا
لم ينالوا خيرا اي ظفرا **وكفى الله المومنين القتال** اي بالملايكة والريح **وكان الله قويا**
في ملكه **عزيزا** اي في انتقامه قوله تعالى **وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب** اي عاونوا
الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة
من صياصيهم اي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية **وقذف في قلوبهم الرعب فريقا**
تقتلون يعني الرجال يقال كانوا ستماية **وتاسرون فريقا** يعني النساء والذراري ويقال
كانوا سبعماية وقيل وخمسين **واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها**
يعني قيل هي خيبر يقال انها كانت ملكه وقيل فارس والروم وقيل هي كل ارض تفتح على المسلمين بعد
الى يوم القيامة **وكان الله على كل شيء قديرا** ذكر غزوة بني قريظة
قيل كانت في اخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري انه تقدم في غزوة الخندق
عن موسى بن عقبة انها في سنة اربع قال علماء التفسير ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اصبح من الليلة التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمومنون على الخندق فوضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل
عليه الصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة
بيضاء عليها رحالة وقطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش
وهي تغسل راسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال
نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملايكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت
الان الا من طلب القوم وروي انه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يامرك بالمسير
الى بني قريظة وانا عامد الى بني قريظة فانهض اليهم فاني قد قطعت اوتارهم وفتحت ابوابهم
وتركتهم في زلزال وبلبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا

مطيعا

مطيعا فلا يصلين العصر الا ببني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
برايته اليهم وابتدرها الناس وسار علي حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول
الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لم اظنك سمعت لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله
قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم
قال يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال
هل مر بكم احد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة
عليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بني قريظة يزلزل
بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة
نزل على بير من ابار لها بناحية اموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء
الاخرة ولم يصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا ببني
قريظة فصلوا العصر بعد العشاء الاخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا
وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي ابن اخطب
دخل على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن اسد بما كان
عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم
قال كعب بن اسد يا معشر يهود قريظة انه قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض
عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هن قالوا نتابع هذا الرجل ونصدقه
فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على دياركم واموالكم
وابنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم
هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك
وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا
نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين
فما خير العيش بعدهم قال فان ابيتم هذه فالليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون
محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا فلعلنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد
سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ
ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه حازما ليلة من الدهر قال ثم انهم بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث لنا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا
حلفاء الاوس نستشيره في امرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قام

اليه الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل
على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي
حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال والله لا ابرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت
وعاهد الله لا يطأ بني قريظة ابدا ولا ارى في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ
رسول الله خبره وابطأ عليه قال اما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي
اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله انزل توبة ابي لبابة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك
فقلت مم تضحك يا رسول الله اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة فقلت الا ابشره
بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن
الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه
قال ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية وهم نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة
ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة
على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري
تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن سعدى وكان عمرو قد ابى ان يدخل مع بني قريظة
في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا اغدر بمحمد ابدا فقال محمد بن مسلمة
اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى اين ذهب من ارض الله
فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض
الناس يزعم انه كان اوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة ولا يدرى اين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلك المقالة والله اعلم قال فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتواثبت الاوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت
في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة
حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن ابي بن سلول
فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضون يا معشر الاوس
ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد [جعله صح] رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مسجده في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى

وتحتسب

وتحبست بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد قال لقومه حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب
فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة اتاه قومه فاحتملوه على حمار
قد وطاوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك
لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال قد ان لسعد ان لا تاخذه في الله لومة لائم فرجع
بعض من كان معه من قومه الى دار بني عبد الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل ان يصل
اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان
الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم وعلى من ها هنا في الناحية التي فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم
الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد
حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم في دار بنت الحارث امراة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب
اعناقهم في تلك الخنادق فخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن اخطب وكعب
بن اسد راس القوم وهم ستمائة او سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة
الى السبعمائة وقد قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال افي كل موطن لا تعقلون الا ترون ان الداعي
وان من يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ النبي صلى الله عليه
وسلم واتي بحيي بن اخطب عدو الله عليه حلة فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع
الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل
على الناس فقال ايها الناس انه لا باس بامر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني
اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ٥ وروي عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة
الا امراة واحدة قالت والله انها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيوف اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة قالت انا
والله قلت وويحك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث احدثته

قالت فانطلق بها فضرب عنقها فكانت عائشة تقول ما انسى عجبا منها طيب نفس وكثرة
ضحك وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المراة نباتة امراة الحكم القرظي وكانت
قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان اعناق بني قريظة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن اسحاق عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي
وكان يكنى ابا عبد الرحمن وقد كان من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث
اخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن
هل تعرفني وهل يجهل مثلي مثلك قال اني اريد ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي
الكريم قال ثم اتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي
يد وله علي منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو لك فاتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فقال شيخ كبير
لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اهله فقال هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني امراتك وولدك
فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ماله يا رسول الله قال هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اعطاني مالك فهو لك فقال اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مراة صينية تتراءى
فيه عذارى الحي كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا
كررنا عزال بن سموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن
قريظة قال قتلوا قال فاني اسالك بيدي عندك يا ثابت الا ما الحقتني بالقوم فوالله ما في
العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر. ايقه حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه
فلما بلغ ابا بكر الصديق قوله حتى القى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا فيها قال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم ثم قسم اموال بني قريظة ونساءهم على
المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال واخرج الخمس فكان للفارس
ثلاثة اسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكان الخيل ستة
وثلاثين فرسا وكان اول فيء وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد
بن زيد الانصاري الاشهلي بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة
احدى نساء بني عمرو بن قريظة وكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها
وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليها ان يتزوجها ويضرب
عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها
وقد كانت حين سباها قد تعصت بالاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من امرها فبينما هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين
خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله
ان ريحانة قد اسلمت فسره ذلك ولما انقضى شان بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ
وذلك انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن
قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش
على رسولك شيئا فابقني لها وان كنت قطعت الحرب بيني وبينهم فاقبضني اليك
فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمة ضربت عليه في المسجد
قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر قالت فوالذي نفسي
بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله رحماء
بينهم ثم **عن سليمان** بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول حين اجلي الاحزاب الان نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده قوله عز وجل يا ايها النبي قل لازواجك ان

اية متعة الطلاق

كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا
اي من غير ضرار وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات
منكن اجرا عظيما **سبب نزول هذه الاية** ان نساء النبي صلى
الله عليه وسلم سالنه من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة واذينه بغيرة
بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم
يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون
يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم
ان شئت فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم نساءه ونزلت هذه الاية ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت ذلك الامر وانزل الله اية التخيير وكان
تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت
ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة
بنت زمعة واربع غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث
الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية
فلما نزلت اية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احب

اليه فخيرهما وقرا عليهما القرآن فاختارتا الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتابعن على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن
الله على ذلك وقصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد م عن جابر ابن عبد الله
قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه
لم يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى
الله عليه وسلم وحوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيئا اضحك النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات
عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو
بكر الى عائشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الاية يا ايها
النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعائشة فقال
يا عائشة اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري فيه ابويك
قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية قالت افيك يا رسول الله استشير
ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة واسالك ان لا تخبر امراة من نسائك بالذي قلت
قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني
معلما ميسرا قوله واجما اي مغتما والواجم الذي اسكته الهم وعلته الكآبة وقيل
الوجوم الحزن قوله فوجات عنقها اي دققته وقوله لم يبعثني معنتا المعنتة المشقة والعنت
م عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على
ازواجه شهرا قال الزهري اخبرني عروة عن عائشة لما مضت تسع وعشرون
ليلة اعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت بدا بي فقلت يا رسول
الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن
قال ان الشهر تسع وعشرون فصل في حكم الاية اختلف العلماء في الخيار
هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن
وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا ا
اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن بدليل انه لم يكن جوابهن على
الفور وانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق يكون
الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا
التفريع على حكم الاية اختلف اهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود
وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها

فوجات
4

تقع طلقة

تقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى
وسفيان والشافعي واصحاب الراي الا عند اصحاب الراي تقع طلقة بائنة انها اختارت
نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها
تقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا
اختارت زوجها لا يقع شيء. وعن مسروق قال ما ابالي خيرت امراتي واحدة او
مائة او الفا بعد ان تختارني ولقد سالت عائشة فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك علينا شيئا قوله تعالى يا نساء النبي
من يات منكن بفاحشة مبينة اي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن اشركت
ليحبطن عملك لا ان منهن من اتت بفاحشة فان الله تعالى صان ازواج الانبياء
عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق يضاعف
لها العذاب ضعفين اي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن ان نعمة الله عليهن كتضعيف
عقوبة الحرة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من
الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بالمومنين من انفسهم وكذلك
ازواجه الى غيرهن كنسبة الحرة الى الامة وكان ذلك على الله يسيرا
اي عذابا ومن يقنت منكن لله ورسوله اي تطع الله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها
مرتين اي مثلي اجر غيرها قيل الحسنة بعشر حسنات وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن
وفيه اشارة الى انهن اشرف نساء العالمين واعتدنا لها رزقا كريما يعني الجنة قوله
عز وجل يا نساء النبي لستن كاحد من النساء قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي
مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي ان اتقيتن
يعني الله فاطعتنه فان الاكرم عند الله هو الاتقى فلا تخضعن بالقول اي لا تلن
بالقول للرجال ولا ترققن الكلام فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وشهوة وقيل نفاق
والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمراة مندوبة الى الغلظة
في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن وقلن قولا معروفا اي يوجبه الدين
والاسلام عند الحاجة اليه بيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى قوله
عز وجل وقرن في بيوتكن اي الزمن بيوتكن وقيل هو من امر الوقار اي كن اهل وقار وسكون
ولا تبرجن قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن
للرجال تبرج الجاهلية الاولى قيل الجاهلية الاولى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم وقيل زمن نوح او ادم وقيل داود وسليمان عليهما السلام كانت المراة تلبس قميصا من الدر غير
مخيط الجانبين فيرى خلقها منه وقيل كان ذلك زمن نمرود الجبار كانت المراة تتخذ
الدرع من اللولو فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض

وعند الاخرين رجعية وقال زيد
بن ثابت اذا اختارت الزوج تقع
طلقة واحدة واذا اختارت نفسها ح

لعله
وسكينة

نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الأولى فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة
وإن بطنين من ولد آدم عليه السلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت
رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وإن إبليس
أتى رجلا من أهل السهل وأجر نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء
بصوت لم يسمع الناس بمثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون إليه واتخذوا عيدا يجتمعون
إليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم
في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا
معهم فظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وقيل الجاهلية
الأولى ما قبل الإسلام والجاهلية قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكر الأولى وإن لم
يكن لها أخرى **وأقمن الصلاة** أي الواجبة **وآتين الزكاة** أي المفروضة **وأطعن الله ورسوله**
أي فيما أمر وفيما نهى **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** أي الإثم الذي نهى
الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى وقيل الرجس
الشك وقيل السوء وأهل البيت قيل هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهن في بيته
وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات
الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم
مجاهد وقتادة وغيرهم إلى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم يدل
عليه ما روي عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة
وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله
فيه ثم جاء حسن فأدخله فيه ثم جاء حسين فأدخله فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش
صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال **عن أم سلمة** قالت إن
هذه الآية نزلت في بيتها إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألست من أهل البيت فقال إنك إلى
خير أنت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **عن أنس**
ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى
صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل بيته من حرم
الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس قوله تعالى **واذكرن ما يتلى في بيوتكن**

من آيات

من آيات الله يعني القرآن والحكمة قيل هي السنة وقيل احكام القرآن ومواعظه ان
الله كان لطيفا اي باوليائه واهل طاعته خبيرا اي بجميع خلقه قوله عز وجل ان
المسلمين والمسلمات الآية وذلك ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا
طاعة فانزل الله هذه الآية وعن ام عمارة الانصارية قالت اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت ما ارى كل شيء الا للرجال وما ارى النساء يذكرون بشيء
فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان
ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم
ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه ونخشى ان لا يكون فيهن خير
فنزلت هذه الآية وروي ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر
ابن ابي طالب دخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من
القرآن قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة
وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله
ان المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال مدحهن بها معهم الاولى
الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية
الايمان بما يرد به امر الله وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله
والمؤمنين والمؤمنات الثالثة وهو قوله تعالى والقانتين والقانتات الرابعة
الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله تعالى والصادقين والصادقات الخامسة
الصبر على امر الله وفيما ساء وسر وهو قوله تعالى والصابرين والصابرات السادسة
الخشوع في الصلاة وهو ان لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله والخاشعين
والخاشعات السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله تعالى والمتصدقين
والمتصدقات الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله تعالى والصائمين
والصائمات التاسعة العفة وهو قوله تعالى والحافظين فروجهم
يعني عما لا يحل والحافظات العاشرة كثرة الذكر وهو قوله تعالى والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قالوا يا رسول الله
وما المفردون قال الذين يذكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن ابي رباح من فوض
امره الى الله فهو داخل في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه
ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن
اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات

ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة
وعن المعصية وعن الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف
من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل
اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام من كل شهر ايام
البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات
ومن حفظ فرجه عما لا يحل له فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى
الصلوات الخمس بحقوقهن فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقوله تعالى
اعد الله لهم مغفرة اي لذنوبهم واجرا عظيما يعني الجنة قوله تعالى وما كان لمومن ولا
مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم نزلت هذه الاية في زينب
بنت جحش الاسدية واخيها عبد الله بن جحش وامهما اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فاعتقه وتبناه فلما خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها
لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة
وفيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة يعني عبد
الله بن جحش ولا مومنة يعني اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا يعني نكاح زيد لزينب
ان تكون لهم الخيرة من امرهم اي الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما اراد الله او يمتنع
مما امر الله ورسوله به ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا اي اخطا طريقا
ظاهرا فلما سمعت ذلك زينب واخوها رضيا وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانكحها زيدا فدخل بها وساق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة
دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله
عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه نزلت في زينب وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت
بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش فوقعت في نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان
الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد والقي في نفسه
كراهيتها في الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي
فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها
تتعظم علي لشرفها وتوذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك

زوجك

زوجك واتق الله في امرها ثم ان زيدا طلقها فنزلت قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه
اي بالاسلام وانعمت عليه اي بالعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه امسك عليك زوجك يعني
زينب بنت جحش واتق الله اي فيها ولا تفارقها وتخفي في نفسك اي تسر وتضمر في نفسك
ما الله مبديه اي مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها وقال ابن عباس حبها
وقيل وده انه طلقها وتخشى الناس قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم ان يقولوا
امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها والله احق ان تخشاه قال عمر وابن مسعود وعايشة
ما انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي اشد عليه من هذه الآية **وعن**
عايشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحي لكتم هذه
الآية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح **فصل** فان قلت ما تقول لي وله في تفسير هذه الآية وسبب نزولها
من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما راها وارادته طلاق زيد لها
فيه اعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم ومن مد عينيه لما نهي عنه
من زهرة الحياة الدنيا فلت هذا اقدام عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبي
صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها
منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما تشدد
في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها
كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا الباب ما روى سفيان بن عيينة عن علي
بن زيد بن جدعان قال سالني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله
تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قلت له جاء
زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك
وقال امسك عليك زوجك واتق الله فقال ابن الحسين ليس كذلك كان الله عز وجل قد
اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جا زيد قال اني اريد ان
اطلقها قال له امسك عليك زوجك واتق الله فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت
له امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى
ولا يليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما
اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول
الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر
انه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل انه انما عوتب على اخفا على ما اعلمه انها
ستكون زوجته وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي
من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب

عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سببا الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين
وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني
وابطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المومنين حرج
في ازواج ادعيائهم فان قلت فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها
قلت هو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم
عن طلاقها واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج
امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك وقيل كان في امره بامساكها قمعا
للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون
وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها زيد ومثل هذا لا يقدح في حال الانبياء لان
العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء وانه مال بها باستحسانها
ومثله في الالفة فيما طبع عليه من البشر من استحسانه الحسن ونظرة الفجاة
معفو عنها ما لم يقصد فيه ماثما لان الود وميل النفس من طبع البشر والله اعلم
وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو حسنة لا اثم فيه وقوله
والله احق ان تخشاه لم يرد انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه السلام قد قال
انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية
في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء. قوله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا اي حاجته
منها ولم يبق له فيها ارب وتقاصرت همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها
وعبر عن قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها زوجناكها قال انس
كانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله
من فوق سبع سماوات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم
اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك
الله في السماء وان السفير جبريل عليه السلام. عن انس قال لما انقضت
عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق
زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان
انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي
فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا
حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودخل عليها بغير اذن قال ولقد رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز
واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن

يا رسول الله

يا رسول الله ليته وجد منه احدا قال فما ادري انا اخبرته ان القوم قد خرجوا ام اخبرني به
قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب
وعن انس قال ما اولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما اولم على زينب
اولم بشاة وفي رواية بالخبز واللحم ما اولم على زينب قال ثابت بما اولم قال اطعمهم خبزا ولحما
حتى تركوه وقوله عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج اي اثم في ازواج ادعيائهم
جمع الدعي وهو المتبنى اذا قضوا منهن وطرا يقول زوجناك زينب وهي امراة زيد الذي كنت
تبنيته لتعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبني وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امراة ابن
الصلب فانها لا تحل للاب وكان امر الله مفعولا اي كان قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا
وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ما كان على
النبي من حرج فيما فرض الله له اي فيما احل الله له من النكاح وغيره سنة الله في
الذين خلوا من قبل معناه من الله سنة في الانبياء وهو ان لا حرج عليهم في الاقدام
على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فانه كان لهم الحرائر والسراري فقد
كان لداود مائة امراة ولسليمان سبعمائة امراة سرية وثلاثمائة امراة حرة
فيكون لك سنة لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم
وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا ان لا حرج على احد فيما احل الله
له ثم اثنى الله تعالى على الانبياء بقوله الذين يبلغون رسالات الله اي فرائض
الله وسننه واوامره ونواهيه الى من ارسلوا اليهم ويخشونه اي يخافونه ولا يخشون
احدا الا الله اي لا يخافون قالة الناس ولا عتبهم فيما احل الله لهم وفرض عليهم وكفى بالله
حسيبا اي حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم قوله عز وجل ما كان محمد ابا احد من رجالكم
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا قد تزوج امراة
ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن
ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة
الصهر والنكاح فان قلت قد كان له ابناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم
وقال للحسن ان ابني هذا سيد قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم
لهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل اراد بالرجال الذين لم يلدهم ولكن رسول الله اي انه
كل رسول هو ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة
والنصيحة لهم عليه وخاتم النبيين ختم الله به النبوة فلا نبي بعده قال ابن عباس
يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم
ان لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وكان الله بكل شيء عليما اي دخل في
علمه ان لا نبي بعده فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل في اخر

الزمان بعده وهو نبي. قلت ان عيسى عليه السلام من نبي قبله وحين ينزل في اخر
الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض امته وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل
بنى بنيانا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويعجبون
له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه
فختمت الانبياء. وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي
خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده نبي. وقد سماه الله رؤوفا رحيما
عن ابي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا
محمد وانا احمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة المقفي هو المولي الذاهب يعني آخر
الانبياء المتبع لهم فاذا قفى فلا نبي. بعده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها
حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم
يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله
قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال الله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا بالليل والنهار في البر
والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكر الكثير ان لا تنساه ابدا وسبحوه
معناه اذا ذكرتموه ينبغي لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء
بكرة واصيلا فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط ايضا وقيل
معناه صلوا لله بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وقيل معنى وسبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وزاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد
بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث هو الذي يصلي عليكم
وملائكته فالصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله
على العبد هي اشاعته الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه قال انس لما نزلت ان الله
وملائكته يصلون على النبي. قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد
اشركنا فيه فانزل الله هذه الاية ليخرجكم من الظلمات الى النور اي انه برحمته وهدايته
ودعاء الملائكة لكم اخرجكم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وكان بالمؤمنين رحيما فيه
بشارة الى جميع المسلمين واشارة الى قوله يصلي غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو
عام لجميع المسلمين تحيتهم يعني المؤمنين يوم يلقونه سلام اي يرون الله يوم القيامة
سلام اي يسلم الله تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروي عن البراء بن عازب قال

تحيتهم

يلقون
تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني ملك الموت لا يقبض روح مومن الا يسلم عليه وعن ابن مسعود
قال اذا جاء ملك الموت الى قبض روح المومن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليه الملائكة
حين يخرجون من قبورهم تبشرهم واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة قوله عز وجل يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا اي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة
ومبشرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا اي لمن كذب بالنار وداعيا الى الله اي الى توحيده وطاعته
باذنه اي بامره وسراجا منيرا سماه الله سراجا منيرا لانه جلي به ظلمات الشرك واهتدى
به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور نبوته البصائر
كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضي فان قلت
لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من السراج وانور قلت كان
نور الشمس لا يمكن ان يوخذ منه شي بخلاف نور السراج فانه يوخذ منه انوار كثيرة وبشر
المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو
الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم
قال ابن عباس اصبر على اذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ باية القتال وتوكل على
الله وكفى بالله وكيلا اي حافظا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن في الاية دليل على ان الطلاق قبل
النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامراة اجنبية اذا
نكحتك فانت طالق او قال كل امراة انكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن
عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير
والقاسم وطاوس وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر
اهل العلم وبه قال الشافعي وروي عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي
واصحاب الراي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امراة يقع وان عم فلا يقع وروى
عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل
يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن ولم يقل
اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك اخرجه ابو
داود والترمذي بمعناه خ عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح
اخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا طلاق قبل النكاح فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تحصونها بالاقراء والاشهر
اجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة عليها وذهب احمد
الى ان الخلوة توجب العدة والصداق فمتعوهن اي اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن
عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها

نصف الصداق أو لا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فلها نصف ما فرضتم
وقيل هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل إنها تستحق المتعة بكل حال
لظاهر الآية وسرحوهن سراحا جميلا أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير إضرار بهن قوله عز
وجل يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن أي مهورهن وما ملكت
يمينك مما أفاء الله عليك أي من السبي فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما
ملكت يمينه فولدت له إبراهيم وبنات عمك وبنات عماتك يعني نساء قريش وبنات
خالك وبنات خالاتك يعني نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك أي إلى المدينة فمن لم يهاجر منهن
لم يحل له نكاحها عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله إنا أحللنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له
لأني لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل
وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون
المؤمنين أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فأما غير المؤمنة فلا تحل
له إذا وهبت نفسها منه واختلف في الكتابية هل تحل له بالمهر فذهب جماعة إلى أنه لا تحل له لقوله
وامرأة مؤمنة ودل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه
وسلم النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك
من دون المؤمنين والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا في انعقاد
النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة فذهب أكثرهم إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ النكاح أو التزويج
وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي
وقال إبراهيم النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الأول اختلفوا
في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم إلى أنه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم
بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون إلى أنه لا ينعقد
إلا بلفظ النكاح والتزويج كما في حق سائر الأمة لقوله تعالى إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة
وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها
للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم تكن عند النبي
صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو بملك يمين
وقوله إن وهبت نفسها للنبي على سبيل الشرط والجزاء وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة
واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الأنصارية الهلالية أم
المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل
هي أم شريك بنت جابر من بني أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني
سليم وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم أي أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم أي من
الأحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر وما ملكت

أيمانهم

ايمانهم اي ما اوجبنا من الاحكام في ملك اليمين لكيلا يكون عليك حرج وهذا يرجع الى اول الاية
معناه احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكيلا يكون عليك ضيق وكان الله
غفورا اي للواقع في الحرج رحيما اي لتوسعته على عباده قوله تعالى ترجي اي تؤخر منهن من تشاء
وتؤوي اليك اي تضم اليك من تشاء قيل هذا القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في
القسم كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار
اليه فيهن وقيل نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم
وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت اية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن
بين اختيار الدنيا فارقهن او يمسك من اخترت الله ورسوله على انهن امهات المومنين
لا ينكحن ابدا وعلى انه يؤوي اليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لهن
او لم يقسم او قسم لبعضهن دون بعض او فضل بعضهن في النفقة والقسمة فيكون الامر
في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط
واختلفوا في انه هل اخرج احدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا
بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ترك التسوية بينهن في القسم
يسوي بينهن الا سودة فانها رضيت بترك حقها في القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل اخرج بعضهن
روي عن ابي رزين قال لما نزلت التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل
لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وميمونة وسودة
وصفية وجويرية فكان يقسم بينهن سواء وارجى منهن خمسا ام حبيبة وميمونة
فكان يقسم لهن ما يشاء. وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك
من تشاء. وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء امتك قال وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المومنات اللاتي يهبن انفسهن لك
فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها وعن عروة قال كانت خولة
بنت حكيم من اللائي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحيي
المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله
ما ارى ربك الا يسارع في هواك ومن ابتغيت ممن عزلت اي طلبت ان تؤوي اليك
امراة ممن عزلتهن عن القسمة فلا جناح عليك اي لا اثم عليك فاباح الله له ترك
القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير
نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال ذلك ادنى ان
تقر اعينهن ولا يحزن اي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب الى رضاهن

والحبيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله تعالى **ويرضين بما آتيتهن** ا بـ
أعطيتهن **كلهن** أي من تفضيل وإرجاء وعزل وإيواء **والله يعلم ما في قلوبكم** أي من أمر النساء
والميل إلى بعضهن **وكان الله عليما** أي بما في ضمائركم **حليما** أي عنكم قوله **لا يحل لك النساء من**
بعد أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترنك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن
فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن
تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيح له النساء
بعد ذلك فروي عن عايشة أنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنسائي عنها حتى أحل
له أن يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم
وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال
وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال إنما أحل الله ضربا من النساء
فقال تعالى يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك الآية ثم قال لا يحل لك النساء من بعد وقيل
معنى الآية لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات **ولا أن تبدل بهن من**
أزواج أي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لأنه لا يكون أمهات المومنين يهودية ولا
نصرانية إلا ما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولا أن تبدل
بهن من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل
تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج يعني
تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك **إلا ما**
ملكت يمينك أي لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت فأما الحرائر فلا ولو أعجبك
حسنهن يعني ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك
جمالها قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب فلما
استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهي عن ذلك
إلا ما ملكت يمينك قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية **وكان الله على كل شيء رقيبا**
أي حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه
ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة فإن
استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود وعن أبي
هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا قال الحميدي يعني الصغر وعن المغيرة بن شعبة
قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت إليها فقلت لا قال فانظر
إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل

باب يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الآية قال الشيخ المعيسي بن نزلت
هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
قال فكان أمهاتي يواظبنني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر
سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة فكنت أعلم الناس
بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب
بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا
من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله
عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت
معه حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم
ورجعت حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه
فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وأنزل الحجاب
زاد في رواية قال فدخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة
وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام
إلى قوله والله لا يستحيي من الحق وعن عائشة أن أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح وكان
عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعل فخرجت سودة ابنة زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا
سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء
الحاجة من البول والغائط والصعيد وجه الأرض والأفيح الواسع وعن أنس وابن
عمر أن عمر قال وافقت ربي في ثلاث فقلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم
مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك
البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله
عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت
كذلك وقال ابن عباس إنها أنزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم يعني إلا أن تدعوا إلى طعام فيؤذن لكم فتأكلونه غير ناظرين

اناه يعني غير منتظرين نضجه ووقته اي ادراكه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اي اكلتم الطعام فانتشروا اي فاخرجوا من منزله وتفرقوا ولا مستانسين لحديث اي لا تطلبوا الجلوس ليستانس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام فيتحدثون فنهوا عن ذلك ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم فيستحيي من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يترك تاديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الافعال لا يستحيي من الحق يعني لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلا وقيل بحسبك في الثقلا ان الله لم يحتملهم واذا سالتموهن متاعا اي واذا سالتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة فاسالوهن من وراء حجاب اي من وراء ستر فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت او غير متنقبة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي من الريب وما كان لكم ان توذوا رسول الله اي ليس لكم اذاه في شيء من الاشياء ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكحن عايشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال ان ذلكم كان عند الله عظيما اي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان من الناس من يفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده ان تبدوا شيئا اي من امر نكاحهن على السنتكم او تخفوه اي في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما اي يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن اضمر نكاح عايشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا فنزلت هذه الاية ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله عز وجل لا جناح عليهن في اباءهن ولا ابناءهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن اي لا اثم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب ولا نسائهن قيل اراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من اجناسهن ولا ما ملكت ايمانهن اختلفوا في ان عبد المراة هل يكون محرما لها ام لا فقال قوم يكون محرما لها لقوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن وقال قوم العبيد كالاجانب والمراد من الاية الاماء دون العبيد واتقين الله اي ان يراكن احد غير هؤلاء ان الله كان على كل شيء اي من اعمال العباد شهيدا قوله عز وجل ان الله وملايكته يصلون على النبي قال ابن عباس اراد ان الله يرحم النبي والملايكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملايكة الاستغفار وصلاة الله ثناؤه عليه عند ملايكته وصلاة الملايكة الدعاء يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما

اي حيوه

أي حيوة بتحية الإسلام **فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وفضلها** اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الأكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الأخير
وهو مذهب الشافعي وأحد الروايتين عن أحمد وقيل تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من
الحنفية والحليمي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة وعن عبد الرحمن
ابن أبي ليلى قال لقينا كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية أن النبي صلى الله عليه وسلم
خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد **وعن أبي حميد الساعدي**
قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته
كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك
حميد مجيد **عن أبي مسعود البدري** قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بن مسعود أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله
فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام
كما قد علمتم **عن أبي هريرة** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة
صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات أخرجه
النسائي وله عن أبي طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى في
وجهه فقلت إنا لنرى البشرى في وجهك قال أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول
أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد
إلا سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام عن ابن مسعود أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى
إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المومنين
وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد أخرجه أبو داود قوله
تعالى إن الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا

قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله
ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة
واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وخرج عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياي بقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما
شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يوذيني ابن ادم يسب الدهر
وانا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار ومعنى هذا الحديث انه كان من عادة العرب في الجاهلية
ان يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من افعال الدهر فقال
الله تعالى انا الدهر انا الذي احل بهم النوازل وانا فاعل لذلك الذي تنسبونه الى الدهر في زعمكم
وقيل معنى يوذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم اصحاب التصاوير عن ابي
هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق
كخلقي فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة او شعيرة وقيل يوذون رسول الله اي يوذون اولياء الله كما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وقال
تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه
ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى من احد واما
ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر
معلم مجنون **والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا** اي من غير ان عملوا
ما اوجب اذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم **فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا**
قيل نزلت في علي بن ابي طالب كانوا يوذونه ويسمعونه النساء اذا برزن بالليل لقضاء
حوائجهن فيتبعون المراة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا
يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة
في درع وخمار فشكون ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت والذين يوذون المومنين والمومنات الاية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء فقال
تعالى **يا ايها النبي قل لازواجك ونساء المومنين يدنين** اي يرخين ويغطين **عليهن** **وبناتك**
من جلابيبهن جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المراة فوق الدرع والخمار وقيل
هو الملحفة وكلما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس امر نساء المومنين ان يغطين
رووسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر وهو قوله تعالى **ذلك**
ادنى ان يعرفن فلا يوذين اي لا يتعرض لهن **وكان الله غفورا رحيما** اي لما سلف منهن قال
انس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر

ألقى القناع لكل ذي كلمة تقال لمن يستخف به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قوله
بالفسيق قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون اي عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض اي فجورهم
الزناة والمرجفون في المدينة اي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد
اتاكم العدو ونحو ذلك من الاراجيف وقيل كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا
ويفشوا الاخبار لنغرينك بهم اي لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا اي لا يساكنوك في المدينة الا قليلا اي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم
حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة ملعونين اي مطرودين اينما ثقفوا اي وجدوا وادركوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا اي الحكم فيهم هذا على جهة الامر به سنة الله اي كسنة الله
في الذين خلوا من قبل اي في المنافقين والذين فعلوا مثل فعل هؤلاء ان يقتلوا حيثما ثقفوا
ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل يسألك الناس عن الساعة قيل ان
المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا
على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى
عليهم وقتها في التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله قل انما
العلم عند الله يعني ان الله تعالى قد استاثر به ملكا ولا نبيا وما يدريك اي شيء يعلمك
امر الساعة ومتى يكون قيامها لعل الساعة تكون قريبا اي انها قريبة الوقوع وفيه
تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا
خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار اي يتقلبون
ظهرا لبطن حتى ينسحبون عليها يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا اي في
الدنيا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعني رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه
لهم فاضلونا السبيلا يعني سبيل الهدى ربنا اتهم يعني السادة والكبراء ضعفين
من العذاب يعني ضعفي عذاب غيرهم والعنهم لعنا كبيرا اي لعنا متتابعا قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا اي فطهره
الله مما قالوا فيه وكان عند الله وجيها اي كريما ذا جاه وقدر وقال ابن عباس كان
حظيا عند الله لا يسأل شيئا الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا
مقبولا واختلفوا فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان
موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه
آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح موسى باثره يقول
ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس

فقام الحجر حتى نظر اليه فلما اخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال ابو هريرة والله ان بالحجر لندبا
ستة او سبعة من ضرب موسى بالحجر اخرجه موسى البخاري ومسلم وللبخاري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شيئا من جلده استحياء منه
فاذاه من اذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة
واما آفة وان الله اراد ان يبريه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر
ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب
الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فراوه عريانا احسن ما
خلق الله وابراه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله
ان بالحجر لندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم الخصية لنفخة
فيها وقوله فجمح اي اسرع وقوله ثوبي حجر اي دع ثوبي يا حجر قوله وطفق اي وجعل الضرب
وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاثر واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه
به اثر الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الاية ان اذاهم اياه انه لما مات
هارون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني
اسرائيل فعرفوا انه لم يقتل فبراه الله مما قالوا وقيل ان قارون استاجر بغيا لتقذف موسى
بنفسها على راس الملا فعصمها الله وبرا موسى من ذلك واهلك قارون عن عبد الله
ابن مسعود قال لما كان يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة
فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من
اشراف العرب واثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه
الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فاخبرته بما قال فتغير
وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد
اوذي باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا
وقيل صدقا وقيل هو لا اله الا الله يصلح لكم اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم ويغفر لكم
ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اي ظفر بالخير العظيم قوله عز
وجل انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال الاية قال ابن عباس
اراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السماوات
والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة
اداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل
في المكيال والميزان واشد من هذا كله الودائع وقيل هي في جميع ما امروا به ونهوا عنه وقيل

هي الصوم

يعني الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله
من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن امانة والعين
امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية عن ابن عباس هي امانات
الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مومن ان لا يغش مومنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا
في كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على اعيان السماوات والارض والجبال وهذا قول جماعة من
التابعين واكثر السلف فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن
جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك
خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان
العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله
عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله فيهن العقل والفهم حين
عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على السموات
والارض هو العرض على اهلها من الملائكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو قول العلماء
فابين ان يحملنها واشفقن منها اي خفن من الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب وحملها
الانسان يعني آدم قال الله عز وجل لآدم اني عرضت الامانة على السماوات والارض والجبال
فلم تطقها فهل انت آخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان
اسات عوقبت فتحملها آدم فقال بين اذني وعاتقي قال الله تعالى اما اذا تحملت فسأعينك
واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك
لحيين وغلقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت
عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر
وقيل انما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله
من الاجرام واقواه واشده ان يحتمله ويستقل به فابى حمله واشفق منه وحمله الانسان
على ضعفه وضعف قوته انه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس ظلوما لنفسه
جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا اي لا يدري ما العذاب
في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها
وقيل في تفسير الاية قول آخر وهو ان الله تعالى ائتمن السماوات والارض والجبال على شيء
وائتمن آدم واولاده على شيء فالامانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة
لما خلق له وقوله فابين ان يحملنها اي أدين الامانة ولم يخن فيها واما الامانة في حق بني
آدم هو ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وحملها الانسان اي خان فيها
وعلى هذا القول حكي عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة
وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى

فصل في الامانة

وعن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت احدهما
وانا انتظر الاخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من
القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة
من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل
المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم اخذ حصاة فدحرجه
على رجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد احد يؤدي الامانة حتى يقال ان في بني فلان
رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة من
خردل من ايمان ولقد اتى علي زمان وما ابالي ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه
وان كان نصرانيا او يهوديا ليردنه على ساعيه واما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا
وفلانا فقوله نزلت الامانة في جذر قلوب الرجال جذر الشيء اصله والوكت الاثر اليسير
كالنقطة في الشيء من غير لونه والمجل غلظ الجلد من اثر العمل وقيل انما هي النفاطات في الجلد
وقد فسره في الحديث المنتبر المنتفخ وليس فيه شيء ٠ وعن ابي هريرة قال بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم
بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال اذا
ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر
الى غير اهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من
ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله
تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي بما خانوا الامانة
ونقضوا الامانة ويتوب الله على المومنين والمومنات اي يهديهم ويرحمهم بما ادوا من
الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر
ايمان المومنين فيتوب الله عليه اي يعود عليه بالمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض
الطاعات وكان الله غفورا رحيما والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة سبأ وهي مكية وهي اربع وخمسون

آية وثمانمائة وثلاثة وثلاثون كلمة والف وخمسمائة واثنا عشر حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي
له ما في السماوات وما في الارض معناه ان كل نعمة فمن الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى
عليه من اجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السماوات وما في الارض
اي ملكا وخلقا وله الحمد في الاخرة اي كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه
وكما انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الاخرة وقيل الحمد في الاخرة هو حمد

اهل الجنة

بـ جذر

اهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس وهو الحكيم اي الذي احكم امور
الدارين الخبير اي بكل ما كان وما يكون يعلم ما يلج في الارض اي من المطر والكنوز والاموات
وما يخرج منها اي من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا وما ينزل من
السماء اي من المطر والبرد والثلج وانواع البركات والملائكة وما يعرج فيها اي في السماء
من الملائكة واعمال العباد وهو الرحيم الغفور اي للمفرطين في اداء ما وجب عليهم من شكر
نعمه قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم يعني الساعة
عالم الغيب اي لا يفوت علمه شيء من الخفيات واذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة
والنعماء. اتيتها لا يعزب عنه اي لا يغيب عنه مثقال ذرة اي وزن ذرة في السماوات ولا في
الارض ولا اصغر من ذلك اي من الذرة ولا اكبر الا في كتاب مبين اي في اللوح ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة اي لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة والذين
سعوا في اياتنا اي في ابطال ادلتنا معاجزين اي يحسبون انهم يفوتوننا اولئك لهم
عذاب من رجز اليم قيل الرجز سوء العذاب ويرى الذين اوتوا العلم يعني مؤمني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي انزل اليك
من ربك يعني القرآن هو الحق يعني انه من عند الله ويهدي يعني القرآن الى صراط العزيز
الحميد اي الى دين الاسلام وقال الذين كفروا يعني المنكرين للبعث المتعجبين منه هل
ندلكم على رجل ينبئكم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم باعجوبة من وهي
انكم اذا مزقتم كل ممزق اي اذا قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا انكم
لفي خلق جديد اي يقول انكم تبعثون وتنشاون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا
وترابا افترى على الله كذبا اي هو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به
جنة اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس محمد من الافتراء
والجنون في شيء وهو مبرا منهما بل الذين لا يؤمنون بالاخرة يعني منكري البعث في العذاب
والضلال البعيد اي من الحق في الدنيا افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض اي فيعلموا انهم حيث كانوا فان سمائي وارضي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها
وانا قادر عليهم ان نشأ نخسف بهم الارض اي كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم
كسفا من السماء كما فعلنا باصحاب الايكة ان في ذلك اي فيما ترون من السماء والارض
لاية اي لدلالة على قدرتنا على البعث بعد الموت لكل عبد منيب اي تائب راجع الى الله تعالى
بقلبه قوله عز وجل ولقد اتينا داود منا فضلا يعني النبوة والكتاب وقيل
الملك وقيل هو جميع ما اوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به يا جبال اوبي معه
اي وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعي معه اذا رجع ونوحي معه اذا ناح
والطير اي وامرنا الطير ان تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح او بالنياحة

معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطؤوا
ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو
والسخرية منهم

أجابته الجبال وصاح ايضا وعكفت الطيور عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل او فتور
أسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له **والنا له الحديد** يعني كان الحديد في يده كالشمع
او كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة **قيل بسبب ذلك**
ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج للناس متنكرا فاذا
رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ما تقول في ذلك والحاكم هذا
اي رجل فيثنون عليه ويقولون خيرا فبعث الله تعالى ملكا في صورة آدمي فلما رآه
داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع
داود عليه السلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه ياكل ويطعم عياله من بيت المال
قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت
منه ويطعم عياله فالان الله تعالى له وعلمه صنعة الدروع وكانت قبل ذلك صفائح ويقال
انه كان يبيع كل درع باربعة آلاف فياكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء
والمساكين وقد صح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود لا ياكل
الا من عمل يده **ان اعمل سابغات** اي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض لعله واسعات
قيل كان يعمل كل يوم درعا **وقدر في السرد** اي ضيق في نسج الدروع وقيل قدر المسامير
في حلق الدروع ولا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق
وقيل في السرد اي اجعله على القصد وقدر الحاجة **واعملوا صالحا** يريد داود
واله **اني بما تعملون بصير** قوله تعالى **ولسليمان الريح** اي وسخرنا لسليمان الريح
غدوها شهر ورواحها شهر معناه يسير غدوة وتلك الريح المسخرة له مسيرة
شهر ويسير رواحها مسيرة شهر وكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين
قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من
اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه يتغدى
بالري ويتعشى بسمرقند **واسلنا له عين القطر** اي اذبنا له عين النحاس قال
اهل التفسير اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن كجري الماء وكان
بارض اليمن وقيل انما الان الله لسليمان النحاس كما الان لداود الحديد **ومن الجن**
من يعمل بين يديه باذن ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وامرهم
بطاعته فيما يامرهم به **ومن يزغ** اي يعدل **منهم** اي من الجن **عن امرنا** اي الذي امرناه
به من طاعة سليمان **نذقه من عذاب السعير** قيل هذا في الآخرة وقيل في الدنيا
وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان
ضربه بذلك السوط ضربة احرقته قوله عز وجل **يعملون له ما يشاء من محاريب**
اي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة

عن الابتذال

عن انه بنى المسجد وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك ان داوود ابتداه ورفعه قامة رجل فاوحى
الله اليه لم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اقضي اتمامه على
يديه فلما توفي داوود واستخلف سليمان احب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم
عليهم الاعمال فخص كل طايفة بعمل فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنه
وامر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا
من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدا في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم فرقا
يستخرج الذهب والفضة من معادنها ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من
اماكنها ومنهم من ياتيه بالمسك والعنبر والطيب من اماكنه فاتي من ذلك بشيء لا يحصيه
الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب
اليواقيت واللالي فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور
الصافي وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وقصص سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت
وسائر الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروز فلم يكن يومئذ على الارض بيت ابهى ولا انور
من ذلك المسجد وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بني
اسرائيل واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شيء فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روي
عبد الله بن عمرو بن العاصي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داوود لما بنى بيت
المقدس سال الله تعالى عز وجل حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال الله تعالى ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده فاوتيه وسال الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد الا ياتيه احد لا ينهزه الا (في الهامش: لا ينهزه)
للصلاة فيه ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه اخرجه النسائي وفي النسائي فسال
ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينهزه
الا لا ينهضه الا للصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على بناء سليمان حتى غزاه بختنصر
فخرب المدينة وهدم المسجد واخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر انواع الجواهر وحمله
الى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر قوله عز وجل
وتماثيل اي ويعملون له تماثيل اي صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون
السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملايكة والانبياء والصالحين في
المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا في
شريعتهم وهذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرايع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل
كالقتل والظلم والكذب ونحوه مما يقبح في كل الشرايع قيل عملوا له اسدين تحت كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس اظلته
النسران باجنحتهما وقيل عملوا له كالطواويس والعقبان والنسور على درجات
سريره وفوق كرسيه ليهابه من اراد الدنو منه وجفان اي قصاع كالجوابي اي كالحياض

التي يجبى فيها الماء اي يجتمع فقيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها
وقدور راسيات اي ثابتات فقيل كان اثافيها منها لا تتحرك ولا ينزلن عن اماكنهن لعظمهن
ولا يعطلن وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن اعملوا آل داوود شكرا اي وقلنا يا آل
داوود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داوود نفسه وقيل داوود
وسليمان واهل بيته قال ثابت البناني كان داوود نبي الله عليه السلام قد جزا ساعات
الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من ليل او نهار الا وانسان من آل داوود قائم يصلي
فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة
في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه
ومعه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصبح
يوما الا وقد نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول
لاي شيء خلقت فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع فان كانت تغرس امر بها فغرست
وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت قالت الخروبة قال ولاي شيء
نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك
هلاكي وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن
موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب
اشياء ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكئا على عصاه فمات قائما
وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا
يعملونها في حياة سليمان وينظرون اليه فيحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن
الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدابون بعد موته حولا كاملا
حتى اكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت
الجن الارضة فهم ياتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى ما دلهم على
موته الا دابة الارض يعني الارضة تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين معناه علمت الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا اراد الله تعالى بذلك
ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الاية
انه ظهر امر الجن وانكشف للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس
تلبيسهم ذكر اهل التاريخ ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي
في الملك مدة اربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه
وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل لقد كان لسبا في مسكنهم
آية عن فروة بن مسيك المرادي قال انزل في سبا ما انزل قال رجل يا رسول الله

وما سبا

وما سبا ارض او امراة فقال ليس بارض ولا امراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن
منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة
واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول
الله وما انمار فقال الذين منهم خثعم وبجيلة اخرجه الترمذي مع زيادة
وقال حديث حسن غريب ونسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مساكنهم اي بمارب
من ارض اليمن ءاية اي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الاية فقال تعالى جنتان اي هم
بستانان عن يمين وشمال اي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمينه من اتاهما
وشماله قيل كان لهم وادي قد احاطت به الجنتان كلوا اي قيل لهم كلوا من رزق ربكم
اي من ثمار الجنتين قيل كانت المراة تحمل مكتلها على راسها وتمر بالجنتين فيمتلئ المكتل
من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيئا واشكروا له اي على ما رزقكم من
النعمة واعملوا بطاعته بلدة طيبة اي ارض ثمارها وهي سبا بلدة طيبة ليست
بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب
وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء ورب غفور
اي وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره قوله تعالى فاعرضوا قال وهب
ارسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم
عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة
عنا ان استطاع فذلك اعراضهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي الذي لا يطاق قيل
كان ماء احمر ارسله الله عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذي يحبس الماء
وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك
انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين
وجعلت له ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها
اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا
عنه سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد
فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من
الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت
تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم
جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الماء جناتهم وخرب ارضهم قال وهب
فيما يزعمون ويجدون في علمهم ان الذي يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا
ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله تعالى بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون
فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت

فدخلت في الترجمة التي كانت عندها فتطلعت في السد وحفرت حتى وهنته للسيل وهم
لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى اقتلع السد وفاض الماء على اموالهم
فغرقها وخرب بيوتهم الى ان تفرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا امثالا عند العرب يقولون
ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط قيل هو شجر الاراك وثمرة البرير وقيل كل نبت اخذ طعما
من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة
الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به واثل قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا انه اعظم
منه وشيء من سدر قليل هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمرة النبق ولم يكن السدر
الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر
فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا اي ذلك الذي فعلنا
بهم جزاء كفرهم وهل نجازي الا الكفور اي هل يكافى بعمله الا الكفور لله في نعمته قيل المؤمن
يجازى ولا يجازى يجزى بحسناته ولا يكافى بسيئاته وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها اي بالماء والشجر وهي قرى الشام قرى ظاهرة اي متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها
منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون
الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم اربعة الاف وسبع مائة قرية متصلة من سبا
الى الشام وقدرنا فيها السير اي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو
والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان
ما بين اليمن والشام كذلك سيروا اي وقلنا لهم سيروا فيها ليالي واياما اي في اي
وقت شئتم امنين اي لا تخافون جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا
على العافية فقالوا لو كان جنى ثمارنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه وطلبوا الكد والتعب
في الاسفار فقالوا ربنا باعد وفي قراءة بعد بين اسفارنا اي اجعل بيننا وبين الشام
مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد ونتمنى ذلك فعجل الله لهم
الاجابة وظلموا انفسهم اي بالبطر والطغيان فجعلناهم احاديث اي عبرة لمن
بعدهم يتحدثون بامرهم وشانهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم في كل وجه من البلاد
كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام
ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم
المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل جذيمة بالعراق ان في ذلك
لايات لكل صبار اي عن المعاصي شكور اي لله على نعمه قيل هو المؤمن صبور على البلاء شاكر
اي لعبر ودلالات
للنعماء وقيل المؤمن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر قوله عز وجل ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه قيل على اهل سبا وقيل على الناس كلهم فاتبعوه الا فريقا من المومنين

قال

قال ابن عباس يعني المومنين كلهم لانهم لم يتبعوه في اصل الدين وقيل هو خاص في المومنين
الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سال النظرة فانظره الله
تعالى قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما
قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم
سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا وما كان له عليهم من سلطان
اي ما كان تسليطنا اياه عليهم الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك اي لنري
ونميز المومن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور اذ كان معلوما عنده لانه علم
الغيب وربك على كل شيء حفيظ اي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ قوله تعالى قل اي
يا محمد لكفار مكة ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دون الله والمعنى ادعوهم
ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سنين الجوع ثم وصف عجز الالهة فقال لا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض يعني من خير وشر ونفع وضر وما لهم اي للالهة
فيهما اي في السموات والارض من شرك اي شركة وما له اي لله منهم اي من الالهة
من ظهير اي عون ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له في الشفاعة قاله تكذيبا
للكفار حيث قالوا هولاء شفعاونا عند الله وقيل يجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن الله
في ان يشفع له حتى اذا فزع عن قلوبهم معناه كشف الفزع واخرج عن قلوبهم قيل هم
الملايكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله خ عن ابي هريرة
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملايكة باجنحتها
فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير
وللترمذي اذا قضى الله في السماء امرا ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه
سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي
الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعانا جمع خاضع وهو المنقاد
المطيع والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود قال اذا تكلم الله بالوحي
سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون
كذلك حتى ياتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربكم
فيقول الحق فيقولون الحق الحق اخرجه ابو داود والصلصلة صوت الاجراس
الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت
الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسماية سنة او ستماية لم
تسمع الملايكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة
الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملايكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى
الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا

من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم
ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل
الموصوفون بذلك هم المشركون وذلك اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت
الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا الا قامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم
الاقرار وهو العلي الكبير اي هو العلو والكبرياء. قوله عز وجل قل من يرزقكم من السماوات
والارض يعني المطر والنبات قل الله يعني ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل انت لهم
ان رازقكم هو الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين معناه ما نحن وانتم على امر
واحد بل احد الفريقين مهتد والاخر ضال وهذا ليس هو على طريق الشك بل على جهة
الالزام والانصاف في الحجاج كما يقول القائل احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب
فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير
ان يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان اتهجوه ولست له بكفء ∴ فشركما لخيركما الفداء
وقيل او بمعنى الواو ومعنى الاية وانا لعلى هدى وانتم لفي ضلال مبين قل لا تسألون عما
اجرمنا اي لا تؤاخذون به ولا نسأل عما تعملون اي من الكفر والتكذيب وقيل اراد بالاجرام
الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام قل يجمع بيننا ربنا
يعني يوم القيامة ثم يفتح اي يقضي ويحكم بيننا بالحق اي بالعدل وهو الفتاح اي القاضي العليم
اي بما يقضي قل اروني اي اعلموني الذين الحقتم به اي بالله شركاء يعني الاصنام معه
في العبادة هل يخلقون وهل يرزقون واراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء
بالله كلا كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون
بل هو الله العزيز اي الغالب على امره الحكيم اي في تدبير خلقه فانى يكون له شريك
في ملكه قوله عز وجل وما ارسلناك الا كافة للناس اي للناس كلهم عامة احمرهم
واسودهم عربيهم وعجميهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد
كفتهم ان يخرج منها احد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت
لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة
وبعثت الى الناس عامة وفي الحديث بيان الفضائل التي خص بها نبينا صلى الله عليه
وسلم دون سائر الانبياء وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء
وفيه اختصاصه بالرسالة العامة الى كافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث
الى قومه او الى اهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه
درجة خص بها دون سائر الانبياء وقيل في معنى كافة اي كافا يكفهم عما هم

حم الى

عليه من الكفر

عليه من الكفر فيكون الفعل للمبالغة بشيرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا لمن كفر بالنار ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعني يوم القيامة قل لكم
ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون معناه لا تتقدمون على يوم القيامة
وقيل عن يوم الموت لا تتاخرون عنه بان يزاد في اجالكم او ينقص منه وقال الذين كفروا
لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه يعني التوراة والانجيل ولو ترى اي يا محمد
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول معناه ولو ترى في الاخرة
موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت العجب يقول الذين
استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والاشراف لولا انتم لكنا مومنين
اي انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله قال الذين استكبروا اي اجابوا المتبوعين في
الكفر للذين استضعفوا انحن صددناكم اي منعناكم عن الهدى اي عن الايمان بعد
اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي بترك الايمان وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر
الليل والنهار اي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول
الامل فيهما اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي قول القادة للاتباع ان ديننا
حق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار اذ تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا
سبب عداوتهم في الاخرة واسروا الندامة اي اظهروها وقيل اخفوها وهي من الاضداد
لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في النار الاتباع والمتبوعين
جميعا هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي من الكفر والمعاصي في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها اي روساها واغنياؤها انا بما ارسلتم به كافرون
وقالوا يعني المترفين والاغنياء للفقراء الذين امنوا نحن اكثر اموالا واولادا يعني لو لم
يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الاموال والاولاد وما نحن بمعذبين
اي ان الله قد احسن الينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الاخرة قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر اي انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على
رضاء الله تعالى ولا التضييق على سخطه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي انها كذلك وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اي بالتي تقربكم عندنا تقريبا الا اي لكن من امن
وعمل صالحا قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله ليقربه مني فاولئك لهم جزاء الضعف بما
عملوا اي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة وهم
في الغرفات امنون والذين يسعون في اياتنا اي يعملون في ابطال حجتنا معاجزين اي
معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قوله عز وجل
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه
اي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه

اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما الثواب في الآخرة انه كل خلف دونه وقيل
ما تصدقتم من صدقة او انفقتم في الخير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا
المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع
فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا
في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم انفق
ينفق عليك ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان
ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا م عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا
وما تواضع احد لله الا رفعه الله وهو خير الرازقين اي خير من يعطي ويرزق لان كل ما رزق
غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق مملوكه او رجل يرزق عياله فهو من رزق
الله اجراه الله على ايدي هؤلاء وهو الرازق الحقيقي الذي لا رازق سواه قوله تعالى ويوم
يحشرهم يعني هؤلاء الكفار جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اي في
الدنيا وهذا استفهام تقرير وتقريع للكفار فتتبرأ منهم الملائكة من ذلك وهو قوله
قالوا سبحانك اي تنزيها لك انت ولينا من دونهم اي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا
باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضى بعبادتهم لهم بل كانوا
يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا
الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت اراد ان الشياطين
زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشيطان عبادة
لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون
في اجواف الاصنام فيعبدونهم بعبادتهم اكثرهم بهم مؤمنون اي مصدقون الشياطين
قال الله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اي في الآخرة يريد انهم
عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعني القرآن
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين يعني هؤلاء المشركين وما آتيناهم
من كتب يدرسونها اي يقرؤونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي لم يأت العرب
قبلك نبي ولا انزل عليهم كتاب وكذب الذين من قبلهم اي من الامم السابقة وما بلغوا
يعني هؤلاء المشركين معشار اي عشر ما آتيناهم اي اعطينا الامم الخالية من القوة
والنعمة وطول العمر فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بعذابهم

كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية قوله عز وجل **قل انما اعظكم** اي امركم واوصيكم
بواحدة اي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى **ان تقوموا لله** اي لاجل الله
مثنى اي اثنين اثنين **وفرادى** اي واحدا واحدا **ثم تتفكروا** اي تجتمعون جميعا فتنظرون
وتحاورون وتتفكرون في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلمون ان **ما بصاحبكم من**
جنة ومعنى الاية انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا
لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة
فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما
الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظرا فيه
نظر متصادقين منصفين لا يميل بهما اتباع الهوى واما الفرد فيتفكر في نفسه
ايضا بعدل ونصفة هل راينا في هذا الرجل جنونا قط او جربنا عليه كذبا قط
وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا
واوزنهم حلما واحدهم ذهنا وارضاهم رايا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما
يحمد عليه الرجال ويمدحون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطلبوه باية فلما
جاء بها تبينتم انه نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا
اي في السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدا فقال ما بصاحبكم
من جنة **ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سالتكم** اي على تبليغ
الرسالة **من اجر** اي جعل **فهو لكم** اي لم اسالكم شيئا **ان اجري** اي ثوابي **الا على**
الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق اي ياتي بالوحي من
السماء فيقذفه الى الانبياء **علام الغيوب** اي خفيات الامور **قل جاء الحق** اي
القرآن والاسلام **وما يبدئ الباطل وما يعيد** قيل الباطل هو ابليس والمعنى
ما يخلق ابليس احدا ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام **قل ان**
ضللت فانما اضل على نفسي وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد
ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم
فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالتي على نفسي **وان اهتديت فبما يوحي الي**
ربي اي من القرآن والحكمة **انه سميع قريب** قوله عز وجل **ولو ترى** اي يا محمد
اذ فزعوا اي عند البعث حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت **فلا فوت**
اي لا يفوتوننا ولا نجاة لهم **واخذوا من مكان قريب** قيل من تحت اقدامهم
وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيث ما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه
ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني من عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو
خسف بالبيداء ومعنى الاية ولو ترى اذ فزعوا لرايت امرا تعتبر به **وقالوا آمنا**

به أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث **وأنى لهم التناوش**
أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريبا منهم
في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد إلى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد إلى الدنيا
من مكان بعيد قيل هو الظن أي من الآخرة إلى الدنيا **وقد كفروا به من قبل** أي بالقرآن
وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال يوم القيامة **ويقذفون**
بالغيب من مكان بعيد قيل هو الظن لأن علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم
ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمونه من حيث لا يعلمون وهو
قولهم إنه ساحر شاعر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا
جنة ولا نار **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** يعني الإيمان والتوبة والرجوع
إلى الدنيا ونعيمها وزهرتها **كما فعل بأشياعهم** أي بنظرائهم ومن كان على مثل
حالهم من الكفار **من قبل** أي لم يقبل منهم التوبة والإيمان في وقت اليأس **إنهم**
كانوا في شك أي من البعث ونزول العذاب بهم **مريب** أي موقع الريبة والتهمة
والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة وهي مكية

وهي خمس وأربعون آية وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة
وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
الحمد لله فاطر السماوات والأرض أي خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق
جاعل الملائكة رسلا أي إلى الأنبياء **أولي أجنحة** أي ذوي أجنحة **مثنى وثلاث**
ورباع أي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة أجنحة
يزيد في الخلق ما يشاء أي يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء. **قال ابن مسعود**
في قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح
وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه
وقيل هو الملاحة وقيل هو العقل والتمييز **إن الله على كل شيء قدير** أي مما
يريد أن يخلقه قوله تعالى **ما يفتح الله للناس من رحمة** قيل هو المطر وقيل هو من
خير ورزق **فلا ممسك لها** أي لا يستطيع أحد على حبسها **وما يمسك فلا**
مرسل له من بعده أي لا يقدر أحد على فتح ما أمسك **وهو العزيز** أي فيما أمسك
الحكيم (ق) عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر
كل صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء.
قدير لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى
والبخت أي لا ينفع البخوت والغنى حظه وغناه لأنهما منك إنما ينفعه الإخلاص والعمل

الصالح

بها عنه قوله تعالى وجل يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم قيل الخطاب لأهل مكة
ونعمة الله عليهم إسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم هل من خالق غير الله أي
لا خالق إلا الله وهو استفهام توبيخ وتقرير يرزقكم من السماء يعني المطر والأرض
يعني النبات لا إله إلا هو فأنى تؤفكون أي من أين يقع لكم الإفك والتكذيب بتوحيد
الله وإنكار البعث وأنتم مقرون بأن الله خالقكم ورازقكم وإن يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم وإلى الله ترجع الأمور أي فيجزي
المكذب من الكفار بتكذيبه قوله تعالى يا أيها الناس إن وعد الله حق يعني
وعد القيامة فلا تغرنكم الحياة الدنيا أي لا تخدعنكم الحياة الدنيا بلذاتها وما
فيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور أي لا يقل لكم
اعملوا ما شئتم فإن الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى
إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم
به من الكفر والمعاصي إنما يدعو حزبه أي أشياعه وأولياءه ليكونوا من أصحاب
السعير ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى الذين كفروا لهم عذاب شديد
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير قوله عز وجل أفمن زين
له سوء عمله قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب
الأهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون أموال المسلمين ودماءهم وليس
أصحاب الكبائر من الذنوب منهم لأنهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم
إياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله فرآه حسنا وفي الآية
حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق
حقا والباطل باطلا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل مجاز الآية
أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإن الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى [illegible]
وهلاكهم إن لم يؤمنوا إن الله عليم بما يصنعون فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم
والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا أي تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجيء به
فسقناه أي فنسوقه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور
أي مثل إحياء الموات نشور الأموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رزين العقيلي
قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت
بوادي أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى
وتلك آيته في خلقه قوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا قيل معناه
من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز

بطاعة الله وتعود عزته الى طاعة من له العزة اي فليطلب العزة من عند الله بطاعته
وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا به التعزز فبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله
وللمومنين اليه اي الى الله يصعد الكلم الطيب قيل هو قول لا اله الا الله
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر روى البغوي باسناده عن ابي
مسعود قال اذا حدثتكم بحديث انباتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد
مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله
الا اخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن ولا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا
لقائلهن حتى يحيي بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم
الطيب قلت الحديث موقوف على ابن مسعود في اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل
الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد اي يقبل الله الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه قال ابن عباس اي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الطيب ذكر الله والعمل الصالح
اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يود فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي
ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن
قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك لان الله تعالى يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وجاء في الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا وعملا الا بنية وقيل الهاء
في قوله يرفعه راجعة الى العمل الصالح اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح ولا يقبل عملا الا ان
يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص
وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال والذين يمكرون السيئات
اي يعملون السيئات يعني الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه
وسلم في دار الندوة وقيل هم اصحاب الرياء لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور اي
يبطل ويهلك في الاخرة قوله عز وجل والله خلقكم من تراب يعني ادم ثم من نطفة يعني
ذريته ثم جعلكم ازواجا يعني اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم ببعض وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر اي لا يطول عمر احد ولا ينقص من عمره اي
عمر اخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا
سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره
وقيل لا يطول عمر انسان ولا ينقص الا في كتاب قال كعب الاحبار حين حضر عمر الوفاة والله
لو دعا عمر ربه ان يوخر لاخر فقيل ان الله تعالى يقول فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
قال هذا اذا حضر الاجل واما قبل ذلك فيجوز ان يزاد وقرا هذه الاية ان ذلك في كتاب
يعني اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اي كتابة الاجال والاعمال على الله هين قوله تعالى
وما يستوي البحران يعني العذب والمالح ثم وصفهما فقال هذا عذب فرات اي طيب

بكسر

يكسر العطش سائغ شرابه اي سهل في الحلق يعني مريء. وهذا ملح اجاج اي شديد
الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر ومن كل يعني من البحرين تاكلون لحما طريا
يعني السمك وتستخرجون اي من الملح دون العذب حلية تلبسونها يعني اللؤلؤ
والمرجان وقيل تنسب اليهما لانه يكون في البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون
اللؤلؤ منهما وترى الفلك فيه مواخر اي جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا
من فضله اي بالتجارة ولعلكم تشكرون اي تشكرون الله على نعمه يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك
والذين تدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون من قطمير هو لفافة النواة
وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة ان تدعوهم يعني الاصنام لا يسمعوا
دعاءكم يعني انهم جماد ولو سمعوا اي على تقدير الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم
اي ما اجابوكم وقيل ما نفعوكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يتبرؤون منكم
ومن عبادتكم اياها ولا ينبئك مثل خبير يعني نفسه اي لا ينبئك احد مثلي لاني
عالم بالاشياء. قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله اي الى فضله واحسانه
والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم فقراء والله هو
الغني اي عن خلقه لا يحتاج اليهم الحميد اي المحمود في احسانه اليهم المستحق
بانعامه عليهم ان يحمدوه ان يشأ يذهبكم اي لا تخذكم انتم اجمع وكفى كم ببأسه
ويات بخلق جديد اي يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا وما ذلك على
الله بعزيز اي بممتنع ولا تزر وازرة وزر اخرى يعني ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل
الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه
وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذه الاية في الضالين
وتلك في المضلين انهم يحملون اثقال من يضلونه من الناس مع اثقال انفسهم
وذلك كله من كسبهم وان تدع مثقلة الى حملها معناه وان تدع نفس مثقلة
بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها لا يحمل منه شيء. ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو ذا
قرابة له كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيقول يا بني احمل
عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي انما تنذر الذين يخشون اي يخافون
ربهم بالغيب اي لم يروه والمعنى انما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب
واقاموا الصلاة ومن تزكى اي صلح وعمل خيرا فانما يتزكى لنفسه اي لها
ثوابه والى الله المصير وما يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم وقيل الاعمى
عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن ولا الظلمات ولا النور
يعني الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور

الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وما يستوي الاحياء ولا الاموات يعني المومنين والكفار
وقيل العلماء والجهال ان الله يسمع من يشاء يعني حتى يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من في
القبور يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور لانهم لم يجيبوا اذا دعوا ان انت الا نذير
اي ما انت الا منذر تخوفهم بالنار انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالثواب
لمن امن ونذيرا بالعقاب لمن كفر وان من امة اي ما من جماعة كثيرة فيما مضى الا خلا اي سلف
فيها نذير اي نبي منذر فان قلت كم من امد في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة
والسلام لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت اثار النذارة باقية لم يخل من نذير الى ان تندرس
وحين اندرست اثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واثار
نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم
جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج الدالة على نبوتهم وبالزبر اي الصحف وبالكتاب
المنير اي الواضح قيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر
تاكيدا ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير قوله عز وجل الم تر ان الله انزل من
السماء ماء يعني المطر فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها يعني اجناسها من الرمان والتفاح
والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعني الوانها في الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك
مما لا يحصر ولا يعد ومن الجبال جدد بيض وحمر يعني الخطط والطرائق في الجبال مختلف
الوانها يعني منها ما هو ابيض ومنها ما هو احمر ومنها ما هو اخضر وغرابيب سود
اي شديد السواد كما يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه اي خلق مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال
وتم الكلام ها هنا ثم ابتدا فقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال
ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظموه وقدروا
قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية وعن عائشة
قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه
الله فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اي لم يشدد فيه
قولها فتنزه اي تباعد عنه وكرهه قوم وعن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء
مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار
بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال الشعبي انما العالم من يخشى
الله عز وجل وقال مقاتل اشد الناس له خشية اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم

يخش الله

يخشى الله فليس بعالم ان الله عزيز اي في ملكه غفور اي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب
الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو احق ان يخشى ويتقى قوله عز وجل
ان الذين يتلون كتاب الله يعني يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به
واقاموا الصلاة اي ويقيمون الصلاة في اوقاتها وانفقوا مما رزقناهم اي في سبيل الله
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور اي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد
الله من الثواب ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال ابن عباس يعني سوى الثواب
مما لم تر عين ولم تسمع اذن انه غفور شكور قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر
اليسير من اعمالهم والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن هو الحق مصدقا
لما بين يديه اي من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب
اي اوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم اورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه
بمعنى نورثه الذين اصطفينا من عبادنا قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه
عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم اتباع
سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات روي عن اسامة بن زيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند وعن ابي
سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال ابو قلابة احد رواته فحدثت به
يحيى بن معين فجعل يتعجب منه اخرجه البغوي بسنده وروي بسنده عن ثابت
ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق الي جليسا صالحا
فقال ابو الدرداء لئن كنت صادقا لانا اسعد بك منك سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما
المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله
الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة واما

المقتصد من اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم فجعل نفسه
معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر بنعمة الله غير
الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم
هم اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من
الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته
وسيئاته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه
والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم
التالي للقرآن والمقتصد التالي له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه
وقيل الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة
ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم
الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا انه لا يتقرب
اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم
بالسابقين لئلا يأمن احد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات
الناس لان احوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل
في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته
ومجاهدته دخل في عداد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل
بالاضافة الى الظالمين والسابق اقل من القليل فلهذا اخرهم ومعنى سابق بالخيرات اي
بالاعمال الصالحة الى الجنة او الى رحمة الله **باذن الله** اي بامر الله وارادته **ذلك هو الفضل**
الكبير يعني ايراثهم الكتاب ثم اصطفاءهم ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى **جنات عدن يدخلونها**
يعني الاصناف الثلاثة **يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير**
تقدم تفسيره **وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن** قال ابن عباس حزن النار
وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وانهم لا يدرون ما
يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال يوم
القيامة وقيل هم الخبز والمعيشة في الدنيا وقيل اذهب عن اهل الجنة كل حزن ما كان منها
لمعاش او معاد روى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشرهم وكاني باهل لا اله الا الله
ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية **ان ربنا**
لغفور شكور يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال **الذي احلنا** اي
انزلنا **دار المقامة** اي الاقامة **من فضله** اي لا باعمالنا **لا يمسنا فيها نصب** اي
لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة **ولا يمسنا فيها لغوب** اي اعياء من التعب قوله عز وجل
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا اي فيستريحوا مما هم فيه ولا

يخفف

يخفف عنهم من عذابها اي من عذاب النار كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها اي
يصطرخون اي يستغيثون ويصيحون فيها يقولون ربنا اخرجنا اي من النار نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى توبيخا لهم اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل اربعون سنة وقال
ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي اعذر الله تعالى الى بني
ادم خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى امرئ اخر اجله
حتى بلغ ستين سنة ومعناه باسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي
ما بين الستين الى السبعين وجاءكم النذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالغني ان قاله
ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير
الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت فذوقوا
اي فيقال لهم ذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير اي ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله ان
الله عالم غيب السماوات والارض انه عليم بذات الصدور يعني انه علم ما كان وهو
اخفى ما يكون فقد علم غيب كل شيء في العالم قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض
اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة خلفت من قبلها من الامم ورايتم ما ينبغي ان
تعتبروا به وقيل جعلكم خلفاء في ارضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها
لتشكروه بالطاعة والتوحيد فمن كفر اي جحد هذه النعمة وغمطها فعليه كفره
اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي غضبا وقيل المقت اشد
البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي في الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله يعني الاصنام جعلتموها شركاء في زعمكم اروني ماذا خلقوا
من الارض يعني اي جزء استبدوا بخلقه من الارض ام لهم شرك في السماوات اي في خلق
السماوات ام اتيناهم كتابا فهم على بينات منه اي على حجة وبرهان من ذلك الكتاب
بل ان يعد الظالمون بعضهم يعني الرؤساء بعضا الا غرورا يعني قولهم هؤلاء الاصنام
شفعاؤنا عند الله قوله عز وجل ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا
اي لكي لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع ولانهما جديرتين بان تزولا وتهد لعظم
كلمة الشرك ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده اي ليس يمسكهما احد
سواه انه كان حليما غفورا اي غير معاجل بالعقوبة حيث امسكهما وكانتا قد
همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني كفار
مكة وذلك انهم لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى
اتتهم الرسل فكذبوهم فاقسموا بالله لو جاءنا رسول لنكونن اهدى دينا منهم
وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه

فانزل الله هذه الاية **واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم** يعني اليهود والنصارى **فلما جاءهم نذير** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **ما زادهم** اي مجيئه **الا نفورا** اي تباعدا عن الهدى **استكبارا في الارض** اي عتوا وتكبرا عن الايمان به **ومكر السيئ** يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يحيق المكر السيئ الا باهله** اي لا يحل ولا يحيط الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن اشرك **فهل ينظرون** اي ينتظرون **الا سنت الاولين** يعني ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار **فلن تجد لسنت الله تبديلا** اي تغييرا **ولن تجد لسنت الله تحويلا** اي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم **اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ومعناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم علامات هلاكهم **وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه** اي ليفوت عنه **من شيء في السماوات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا** اي من الجرائم **ما ترك على ظهرها** اي على ظهر الارض **من دابة** اي من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما هلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة **ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى** يعني يوم القيامة **فاذا جاء اجلهم فان الله بعباده بصيرا** قال ابن عباس يريد اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصير بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله اعلم

كمل الجزء الثالث من التفسير للشيخ الخازن
نفعنا الله ببركاته واباض علينا من سحائب
خيراته بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وآله واصحابه وذريته. امين
والحمد لله رب العالمين
انتهى

تفسير سورة يس

وهي مكية وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها
قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا على موتاكم يس أخرجه أبو داود رضي الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يس قال ابن عباس هو قسم وعنه أن معناه يا إنسان بلغة
طيء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم القرآن والقرآن الحكيم أي ذي
الحكمة لأنه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه إنك لمن المرسلين أي أقسم بالقرآن أن محمدا صلى الله
عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا على صراط مستقيم معناه وإنه
على صراط مستقيم وقيل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة تنزيل العزيز الرحيم
أي القرآن أنزل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم يعني لم تنذر آباؤهم لأنهم
في الفترة لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب
فهم غافلون أي عما يراد بهم من الإيمان والرشد لقد حق القول أي وجب العذاب على أكثرهم فهم لا
يؤمنون فيه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم القدر بذلك قوله عز وجل
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا نزلت في أبي جهل وأصحابه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله
عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق
الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه
وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى
نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شبه الفحل يخطر بذنبه
لو دنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل
أراد منعناهم عن الإيمان بموانع فجعل الأغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع
كالأغلال وقيل إنها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل إنها وصف على الحقيقة وهي ما سيفعل الله عز
وجل بهم في النار فهي إلى الأذقان جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لأن الغل يجمع اليد إلى العنق فهم
مقمحون أي رافعو رؤوسهم غاضو أبصارهم وقيل المراد أن الأغلال رفعت رؤوسهم فهم مرفوعو الرؤوس من
رفع الأغلال إياها وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا معناه منعناهم عن الإيمان بموانع فهم لا
يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى فأغشيناهم أي فأعميناهم فهم لا يبصرون يعني سبيل الهدى
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون يعني من أضله الله هذا الضلال لم ينفعه الإنذار إنما تنذر من اتبع الذكر
يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع القرآن أي عمل بما فيه وخشي الرحمن بالغيب أي خافه في السر فبشره
بمغفرة أي للذنوب وأجر كريم يعني الجنة قوله تعالى إنا نحن نحيي الموتى أي للبعث ونكتب ما قدموا أي من
الأعمال من خير وشر وآثارهم أي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة عن جرير بن عبد الله البجلي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من
غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده
من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم إلى المسجد عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه
قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية إنا نحن نحيي
الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آثاركم تكتب فلم تنتقلون
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب خ عن أنس قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا قوله

تجري بعضه نحو بعض اعمى او هو العضا من الارض الخالية التي لا تنبت شيئا. م عن جابر قال خلت البقاع حول
المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني انكم
تريدون انكم تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد اردنا ذلك فقال يا بني سلمة دياركم تكتب اثاركم
فقالوا ما يسرنا انا كنا تحولنا قوله يا بني سلمة اي يا بني سلمة وقوله دياركم اي الزموا دياركم. خ عن ابي موسى
الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم فابعدهم ممشى والذي
ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي ثم ينام قوله تعالى وكل شيء احصيناه اي
حفظناه وعددناه واثبتناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ قوله عز وجل واضرب لهم مثلا اي صف لهم
شبها مثل حالهم من قصة اصحاب القرية يعني انطاكية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه الصلاة
والسلام ذكر القصة قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الحواريين الى خ عيسى
اهل انطاكية فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمة له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ
لهما من انتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال ا
معكما اية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا
فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشى الخبر
في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان
من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من انتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم
جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون الهتنا
قالا نعم الذي اوجدك والهتك فقال لهما قوما حتى انظر في امركما فتتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما
وقال وهب بعث عيسى عليه الصلاة والسلام هذين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطال
مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وامر بهما فحبسا وجلد كل واحد
منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى راس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما
فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه
وانس به واكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين
دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان راى الملك
دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى هاهنا قالا الله الذي خلق
كل شيء وليس له شريك فقال شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون
وما ايتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما
زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا
مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان انت سالت الهك حتى يصنع مثل هذا
كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا
يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا انه على
ملتهم فقال الملك لهما ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت امنا به وبكما قالا الهنا
قادر على كل شيء. قال الملك ان هاهنا ميتا مات منذ سبعة ايام ابن دهقان وانا اخرته فلم ادفنه
حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجيء بالميت وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت
وقال اني ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما
انتم عليه فامنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء في
الثلاثة قال شمعون وهذا ان واشار برسوله اليه حسبه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان
قوله قد اثر في الملك اخبره بالحال فدعا فامن الملك وامن معه قوم وكفر اخرون وقيل بل كفر الملك واجمع
على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم
الى طاعة

الى اهل انطاكية المرسلين الى آخر قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما قال وهب اسمهما يحنا وبولس وقال
كعب صادق ومصدوق فعززنا بثالث اي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما اضاف الله
تعالى الارسال اليه لان عيسى انما بعثهم باذن الله عز وجل فقالوا يعني الرسل جميعا انا اليكم انا
اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء اي لم ير مثل سورة ان انتم الا تكذبون فادا
فيما تدعون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اي وان كذبتمونا وما علينا الا البلاغ المبين اي بالآيات
الدالة على صدقنا قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا ذلك
بشؤمكم لئن لم تنتهوا اي تسكتوا عنا لنرجمنكم لنقتلنكم وقيل بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا
طائركم معكم اي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني اصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم ٢
من الخير والشر اين ذكرتم يعني ان ذكرتم وعظتم بالله تطيرتم بنا بل انتم قوم مسرفون اي مجاوزون الحد في كفركم و
شرككم متماد ومن في غيكم قوله عز وجل وجاء من اقصا المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وقيل كان
قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصا باب من ابواب
المدينة وكان مومنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه
فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاء يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين وقيل كان في غار
يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال لهم اتسالون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل
على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي لا تخسرون
معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك
قالوا له وانت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومومن بآلهتهم فقال وما لي لا اعبد الذي
فطرني واليه ترجعون قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكانت
عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم اليق وقيل معناه واي شيء لي اذا لم اعبد خالقي
واليه ترجعون عند البعث فيجزيكم باعمالكم. أأتخذ من دونه آلهة اي لا اتخذ من دونه آلهة ان يردن
الرحمن بضر اي بسوء ومكروه لا تغن عني اي لا تدفع عني شفاعتهم شيئا اي لا شفاعة لها فتغني
عني ولا ينقذون اي من ذلك المكروه وقيل من العذاب اني اذا اي ان فعلت ذلك لفي ضلال مبين اي خطا ظاهر اني آمنت
بربكم فاسمعون اي فاسمعوا مني قوله قيل هو خطاب للرسل وقيل لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه
وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل
كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقبره بانطاكية فلما لقي الله
تعالى قيل ادخل الجنة فلما دخلها ورأى نعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين تمنى ان يعلم قومه ان الله تعالى غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل غضب الله
عز وجل له وعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن
آخرهم فذلك قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء يعني الملائكة وما كنا منزلين
اي ما كنا نفعل هذا بالامم اذا اهلكناهم كان ايسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى ان كانت
الا صيحة واحدة قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة فاذا
هم خامدون اي ميتون يا حسرة على العباد يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة
ان يلحق الانسان من الندم شيء يصير به حسيرا حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم
لما عاينوا العذاب حيث لم يومنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر
عليهم الملائكة اذ لم يومنوا بالرسل تمني لهم الحسرة فقال تعالى ما ياتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزئون قوله تعالى الم يروا اي الم يخبروا اهل مكة كم اهلكنا قبلهم من
القرون اي من الامم الخالية اهل كل قرن سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم اليهم لا يرجعون
اي لا يرجعون الى الدنيا افلا يعتبرون بهم وان كل لما جميع لدينا محضرون يعني اي جميع

ويقال في قول الله تعالى يا حسرة
على العباد يوم القيامة اذ لم
يومنوا بالرسل

الامم بعضهم وناس يوم القيامة . وآية لهم يعني تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى الارض الميتة احييناها
اي بالمطر واخرجنا منها اي من الارض حبا يعني الحنطة والشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اي من الحب
وجعلنا فيها اي في الارض جنات اي بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره اي من
الثمر الحاصل بالما وما عملته ايديهم اي من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وفي قراءة عملت بغير هاء وقيل ما
للنفي والمعنى ولم تعمله ايديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل العيون والانهار التي لم تعملها
يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة افلا يشكرون اي نعمة الله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها يعني
الاصناف كلها مما تنبت الارض اي من الثمار والحبوب ومن انفسهم اي الذكور والاناث ومما لا يعلمون يعني مما
خلق الله تعالى من الاشياء في البر والبحر من الدواب قوله عز وجل وآية لهم يعني تدلهم على قدرتنا
الليل نسلخ اي ننزع منه ونكشط منه النهار فاذا هم مظلمون يعني بالظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة
والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها اي
الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتى
تنتهي الى مستقر لها الذي لا تجاوزه ثم ترجع الى اول منازلها وهو انها تسير حتى تنتهي الى ابعد
مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية
هبوطها في الشتاء . وعن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية
الى يوم القيامة (خ) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو ذر قال سألت النبي صلى الله عليه
وسلم عن قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله
عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس اتدري اين تذهب الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال فانها
تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن
فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر
لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي اختلفوا في معناه
فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي وعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش
الى ان تطلع وقيل تجري الى وقت لها واجل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء
الدنيا واما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم ذلك اي الذي ذكر
من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه
تقدير العزيز اي الغالب بقدرته على كل مقدور العليم اي المحيط علما بكل شيء . قوله تعالى والقمر قدرناه منازل وهي
ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين
ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا كان في آخر منازله دق وتقوس فذلك قوله تعالى حتى عاد كالعرجون
القديم وهو العود الذي عليه العذق شماريخ الى منبته من النخلة والقديم الذي اتى عليه الحول فاذا
قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر عند انتهائه الى آخر منازله به لا الشمس ينبغي لها ان
تدرك القمر اي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى
ولا الليل سابق النهار اي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما في
سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه
قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما
نهار فاصل وكل في فلك يسبحون اي الشمس والقمر في فلك يسيرون قوله عز وجل وآية لهم انا حملنا
ذريتهم يعني اولادهم في الفلك المشحون اي المملوء وخلقنا لهم من مثله اي مثل الفلك ما يركبون اي
من الابل وهي سفائن البر وقيل اراد بالفلك المشحون سفينة نوح ومعنى الآية ان الله عز وجل حمل
آباءهم الاقدمين في اصلاب الرجال وكانوا في السفينة وكانوا ذريتهم ومنه قول العباس بل نطفة
تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم
وابلغ

وابلغ في التعجب من قرينه فعلى هذا القول يكون قوله من مثله اي مثل هذه الجملة ما يركبون اي من السفن
السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون
اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابي الا رحمة منا ومتاعا الى حين يعني الا ان
نرحمهم الله ونمتعهم الى انقضاء آجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال ابن عباس ما بين
ايديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم يعني
وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الآخرة لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء الرحمة
وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى وما تاتيهم من آية من آيات ربهم
اي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما
رزقكم الله اي مما اعطاكم الله نزلت في كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا للكفار انفقوا على المساكين
مما زعمتم انه لله تعالى من اموالكم وهو ما جعلوه لله من حرثهم وانعامهم قال الذين كفروا للذين آمنوا
انطعم اي انرزق من لو يشاء الله اطعمه اي رزقه وقيل كان العاص بن وائل السهمي اذا ساله المسكين قال
له اذهب الى ربك فهو اولى مني بك ويقول قد منعه الله افاطعمه انا ومعنى الآية انهم قالوا لو اراد الله ان
يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون
لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع
الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الغني لا استحقاقا وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلي
الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق
امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمؤمنين معناه
ما انتم الا في خطأ بين باتباعكم محمدا صلى الله عليه وسلم وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار
لما ردوا من جواب المؤمنين ويقولون متى هذا الوعد يعني يوم القيامة والبعث ان كنتم صادقين قال الله
تعالى ما ينظرون اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس يريد النفخة الاولى تاخذهم وهم يخصمون
اي في امر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وهم في متصرفاتهم فتاتيهم الساعة اعجل
ما كانوا عليه (ق) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد
نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن
لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته
الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا قال واول من يسمعه
رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بكسر اللام وفتحها الناقة القريبة العهد من النتاج
وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذا يلوط حوض ابله واصله من اللصوق وقوله اصغى ليتا
الليت صفحة العنق واصغى يعني امال عنقه ليسمع قوله تعالى فلا يستطيعون توصية اي لا يقدرون
على الايصاء فيعجلوا عن الوصية فما توا ولا الى اهلهم يرجعون يعني لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم لان الساعة
لا تمهلهم بشيء ونفخ في الصور هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة (ق) عن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون قيل اربعون يوما
قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء
فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم
القيامة فاذا هم من الاجداث اي القبور الى ربهم ينسلون اي يخرجون منها احياء قالوا يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا
بعد النفخة الثانية وعاينوا اهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وانواع عذابها صار عذاب
القبر في جنبها كالنوم قال مجاهد فقالوا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اقروا حين لا ينفعهم

الاخيار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة يعني النفخة الاخيرة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي للحساب فاليوم لا
تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل قال ابن عباس في
افتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة
من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب الاليم فكهون قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه
هم وازواجهم في ظلال يعني اكنان القصور على الارائك يعني السرر في الحجال متكئون اي ذوو اتكاء تحت
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون اي في الجنة يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعو اهل الجنة
ياتيهم سلام قولا من رب رحيم يعني يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا
رؤوسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل
سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون
اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم وقيل
تدخل الملائكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول
اسلموا السلامة الابدية وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي اعتزلوا وانفردوا اليوم من المؤمنين الصالحين
وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الابد لا يرى ولا يرى
فعلى هذا القول يمتاز بعضهم من بعض قوله عز وجل الم اعهد اليكم يا بني آدم اي الم آمركم واوصيكم
يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان يعني فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله انه لكم عدو مبين اي
ظاهر العداوة وان اعبدوني اي اطيعوني ووحدوني هذا صراط مستقيم اي لا صراط اقوم منه قوله تعالى
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا افلم تكونوا تعقلون يعني ما اتاهم من هلاك الامم الخالية بطاعة
ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون يعني بها في الدنيا اصلوها اي ادخلوها
اليوم بما كنتم تكفرون قوله عز وجل اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
معنى الاية ان الكفار يجحدون وينكرون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويحلفون والله ربنا ما كنا مشركين
فيختم الله على افواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاءهم التي كانت اعوانا لهم على المعاصي صارت
شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق
الايدي كلاما ونطق الارجل شهادة قلت ان اليد مباشرة للعمل والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره
شهادة بما راه وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن انس رضي الله عنه قال سال الناس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر
ليس في سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب
قالوا لا قال والذي نفسي بيده ما تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما قال فيلقى العبد ربه
فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول
بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول
اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب
فيقول افظننت انك ملاقي فيقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت
ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا اذا قال ثم يقال له الان نبعث شاهدنا عليك فيتفكر في نفسه من ذا
الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك
ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه قوله اي فل يعني يا فلان قوله واسودك
اي اجعلك سيدا قوله واذرك اي ادعك وانت ترأس اي تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم
وتربع ان تاخذ المرباع وهو ما ياخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروي ترتع
بتاءين

بنان اي تتخضم وتتبعضه من الريح قوله وذلك ليحصر من نفسه اي ليقيم الحجة عليه بشهادة اعضائه عليه م
عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم
من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز الا شاهدا مني قال فيقول كفى
بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله
ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل قوله لا اجيز اي لا اقبل شاهدا قوله بعدا
لكن وسحقا اي هلاكا قوله فعنكن كنت اناضل اي اجادل واخاصم قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي
اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس ولو نشاء لاعمينا اعينهم الظاهرة كما اعمينا قلوبهم
فاستبقوا الصراط اي فتبادروا الى الطريق فانى يبصرون اي كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم والمعنى لو نشاء لاضللناهم
عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعني لو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم
فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولو
نشاء لمسخناهم على مكانتهم يعني لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل جعلناهم حجارة لا ارواح فيها
فما استطاعوا مضيا اي لا يقدرون ان يذهبوا ولا يرجعون اي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع
ومن نعمره ننكسه في الخلق اي نرده الى ارذل العمر فنشبه الصبي في اول الخلق وقيل نضعفه بعد قوته وننقصه
بعد زيادته ونحو ذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد
وينتقل من حال الى حال الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته وعقله ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل
النهاية رجع ينتقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه في الخلق افلا يعقلون اي فيعتبرون ويعلمون ان
الذي قدر على تصريف احوال الناس قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له قيل ان كفار
قريش قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما يتسهل
له ذلك ولا يصح منه بحيث لو اراد نظم شعر لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة اثبت والشبهة
ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر رضي
الله تعالى عنه انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا اشهد انك رسول الله حديث مرسل وروي عن
عائشة رضي الله تعالى عنها قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل
بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بالاخبار من لم تزود اخرجه الترمذي وفي رواية لغيره ان عائشة
رضي الله عنها سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر ابغض
الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت اخي بني قيس طرفة ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم
تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال
اني لست بشاعر ولا ينبغي لي فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فعثر فدميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت اخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا عيش الا عيش
الاخره فاكرم الانصار والمهاجره وروي انه صلى الله عليه وسلم قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
قلت ما هو الا من كلام وقع اتفاقا من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كونه موزونا من غير قصد اليه
وان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون لا يدخل في
وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال
تعالى ان هو الا ذكر يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب
الشعر ولا يدخل في بحوره وقرآن مبين اي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته
الثواب والدرجات وفيه الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فاين بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين و
اقاويل الشعراء الكاذبة لينذر اي يا محمد وقرئ بالتاء اي القرآن من كان حيا يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر

كالميت الذي لا ينتفع بما يقال له فيتذكر ويحق القول أي ويجب حجة العذاب على الكافرين قوله عز وجل أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أي تولينا خلقه بإبداعنا له من غير إعانة أحد في إنشائه كقول القائل عملت هذا بيدي إذا تولى هو بنفسه ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملتا بقوتنا وقدرتنا وإنما قال ذلك لما في الحيوانات من بدائع الفطرة التي لا يقدر عليها إلا هو أنعاما إنما خص الأنعام بالذكر وإن كانت الأشياء كلها من خلق الله تعالى وإيجاده لأن النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم فهم لها مالكون أي ضابطون لها جعلناهم ملاكها إياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها مالكون قاهرون ومنه قول بعضهم أصبحت لا أملك السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا أي لا أضبط رأس البعير لم يخلق الأنعام وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم أي الإبل ومنها يأكلون أي الغنم ولهم فيها منافع ومشارب أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها ومشارب من ألبانها أفلا يشكرون أي رب هذه النعم واتخذوا من دون الله آلهة يعني الأصنام لعلهم ينصرون أي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط لا يستطيعون نصرهم قال ابن عباس لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون أي الكفار جند للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق لهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كأنهم جند محضرون في النار فلا يحزنك قولهم يعني قول كفار مكة في تكذيبك إنا نعلم ما يسرون أي في ضمائرهم من التكذيب وما يعلنون أي من عبادة الأصنام وقيل ما يعلنون بألسنتهم من الأذى قوله تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة أي من نطفة قذرة خسيسة فإذا هو خصيم مبين أي جدل بالباطل في الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في إنكار البعث ألا يتفكر في بدء خلقه وأنه من نطفة ويدع الخصومة نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في إنكار البعث وأتاه بعظم قد رم وبلي ففته بيده وقال أترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فأنزل الله تعالى هذه الآيات وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أي بدء أمره قال من يحيي العظام وهي رميم أي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في إنكار البعث بالعظم البالي حين فته بيده وتعجب ممن يقول إن الله تعالى يحييه ونسي أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة قل يحييها الذي أنشأها أول مرة أي خلقها أول مرة وابتدأ خلقها وهو بكل خلق أي من الابتداء والإعادة عليم أي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المبدأ والمعاد الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لأحدهما المرخ وللأخرى العفار فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار إلا العناب فإذا أنتم منه توقدون أي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى أي القادر على ذلك وهو الخلاق يعني يخلق خلقا بعد خلق العليم أي بجميع ما خلق إنما أمره إذا أراد شيئا أي إحداث شيء وتكوينه أن يقول له كن من غير توقف فيكون أي فيحدث ويوجد لا محالة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء أي هو مالك كل شيء والمتصرف فيه وإليه ترجعون أي تردون بعد الموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

تفسير سورة الصافات وهي مكية وهي مائة واثنان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والصافات صفا قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة م عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف لفظ أبي داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا يعني الملائكة

يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم الغزاة وهذا كله قسم اقسم الله عز وجل بهذه الاشياء. وقيل
فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى ان الهكم لواحد وذلك
ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما
اقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم
ثم وصف نفسه فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما يعني انه الاله القادر العالم المنزه
عن الشريك وقوله ورب المشارق قيل اراد والمغارب فاكتفى بذكر احدهما قال السدي المشارق ثلاثمائة
وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب
فان قلت قد قال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب
فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع
فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغرب الصيف ومغرب
الشتاء واراد بالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس
فهو مشرق وكل موضع غربت فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب انا زينا السماء الدنيا
يعني التي تلي الارض وهي ادنى السموات الى الارض بزينة الكواكب قال ابن عباس بضوء
الكواكب لان الضوء والنور من احسن الصفات واكملها ولو لم تخلق هذه الكواكب في السماء ل
كانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل
كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى السماء ورأى
هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح ازرق في غاية الزينة وحفظا من كل شيطان
مارد اي وحفظنا السماء من شيطان متمرد خارج يرمون بالشهب لا يسمعون الى الملإ الاعلى
يعني الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء
فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم من الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب
فمنعهم الله تعالى من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى ويقذفون اي يرمون بها من كل جانب اي
من آفاق السماء دحورا اي يبعدونهم عن مجالس الملائكة ولهم عذاب واصب اي دائم ثم
يخرجون ويخبلون الا من خطف الخطفة اي اختلس الكلمة من الملائكة فاتبعه اي لحقه
شهاب ثاقب اي كوكب مضيء قوي لا يخطئه بل يقتله او يحرقه او يخبله وقيل سمي النجم الذي
يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى
حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت
انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجاء نيل المقصود
كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وهو قوله عز وجل فاستفتهم اي سل اهل
مكة اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني من السموات والارض والجبال وهو استفهام بمعنى اي
هذه الاشياء اشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعني من قبلهم من هؤلاء من الامم ثم ذكر مما خلقوا
فقال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني آدم من طين جيد حر لاصق يعلق باليد وقيل من
طين منتن بل عجبت قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من
الآدميين لان التعجب من الناس محمول على انكار الشيء وتعظيمه والتعجب من الله تعالى محمول على
تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل
قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست
له صبوة وفي حديث آخر عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته لكم قوله من الال الاول
اشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء. وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال
ان الله لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما

تقولون في بعث الناس. هذا انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون
من تعجبك وقيل عجب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين انزل وضلال بني آدم وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن
سخروا منه ولم يؤمنوا به فعجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت
ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون اي واذا وعظوا لا يتعظون وإذا رأوا آية قال ابن عباس
يعني انشقاق القمر يستسخرون اي يستهزئون وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخر
وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي بين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون
قل نعم وانتم داخرون اي صاغرون فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث
فإذا هم ينظرون يعني احياء وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يعني يوم الحساب والجزاء هذا يوم
الفصل اي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء الذي كنتم به تكذبون اي في الدنيا احشروا اي اجمعوا
الذين ظلموا اي اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم وأزواجهم اي اشباههم وامثالهم فكل طائفة مع
مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنى مع اهل الزنى وقيل ازواجهم اي قرناءهم من الشياطين يقرن
كل واحد مع شيطانه في سلسلة وقيل ازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله اي في
الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس
دلوهم الى طريق النار وقفوهم اي احبسوهم انهم مسؤولون قيل لما سيقوا الى النار حبسوا عند
الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروي عنه عن لا اله الا الله وروي عن
ابي برزة الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل
عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما
ابلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من داع الى شيء الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ ما لكم
لا تناصرون اي لا تنصرون خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل
حين قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس خاضعون و
قيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلاء منقادون لا حيلة لهم وأقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء
والاتباع يتساءلون اي يتخاصمون قالوا يعني الاتباع للرؤساء انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي من
قبل الدين فتضلوننا عنه وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الذي يدعونهم اليه
هو الحق والمعنى انكم تحلفون لنا فنصدقكم بايمانكم وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة والقهر
قالوا يعني الرؤساء للاتباع بل لم تكونوا مؤمنين اي لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على
الكفر وما كان لنا عليكم من سلطان اي من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا بل كنتم قوما طاغين اي
ضالين فحق علينا اي وجب علينا جميعا قول ربنا يعني كلمة العذاب وهي قوله تعالى لأملأن جهنم من
الجنة والناس اجمعين انا لذائقون يعني ان الضال والمضل جميعا في النار فأغويناكم اي فاضللناكم
عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه انا كنا غاوين اي ضالين قال الله تعالى فانهم يومئذ في العذاب
مشتركون يعني الرؤساء والاتباع انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء.
ثم بين تعالى انهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى انهم كانوا اذا قيل
لهم لا اله الا الله يستكبرون اي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ويقولون أئنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم بل جاء بالحق وصدق
المرسلين يعني انه اتى بما اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك انكم لذائقوا العذاب
الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا من الشرك والتكذيب الا اي لكن وهذا استثناء منقطع
عباد الله المخلصين اي الموحدين اولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه

يؤتون به

يرزقون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى
فواكه جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يوكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق
اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت للابد
فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال تعالى وهم مكرمون
اي بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى في جنات النعيم على سرر متقابلين يعني لا
يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى يطاف عليهم بكاس من معين كل اناء فيه شراب فهو كاس
واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كاسا قال الشاعر وكاس شربت على لذة ومعين
معين اي من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون بيضاء يعني ان خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لذة
للشاربين لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل في الدنيا يحصل منها انواع من الفساد
من السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الراس والبول والقيء والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد
شيء من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون اي لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا
ينفد شرابهم ثم وصف ازواجهم فقال تعالى وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين غاضات
العيون قاصرات اعينهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم عين اي حسان الاعين عظامها كانهن
بيض مكنون اي مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها
ابيض في صفرة ويقال هذا من احسن الوان النساء وهو ان تكون المراة بيضاء مشربة صفرة والعرب تشبه الواقع
المراة ببيض النعامة وتشبههن ببيض الخدور قوله عز وجل فاقبل بعضهم على بعض يعني اهل الجنة في الجنة
يتساءلون اي يسال بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا قال قائل منهم اي من اهل الجنة اني كان لي قرين اي
في الدنيا ينكر البعث قيل كان في دينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما
كافر اسمه يطروس والآخر مومن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما في سورة الكهف
في قوله واضرب لهم مثلا رجلين يقول ائنك لمن المصدقين اي بالبعث ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمدينون اي مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكار قال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون اي الى النار
وقيل يقول المومن لاخوانه من اهل الجنة هل انتم مطلعون اي لننظر كيف منزلة اخي في النار فيقول اهل الجنة
انت اعرف به منا فاطلع اي المومن قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار فراه في سواء
الجحيم اي في وسطه وسمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب قال تالله ان كدت لتردين
اي والله لقد كدت ان تهلكني وقيل لتغويني ومن اغوى انسانا فقد اراده واهلكه ولولا نعمة ربي
اي رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين اي معك في النار افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى
اي في الدنيا وما نحن بمعذبين قيل يقول هذا اهل الجنة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون ان
هذا لهو الفوز العظيم وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون
لتعجبهم بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين واخر
اعادوا الكلام لزيادة السرور وقيل يقوله المومن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله
تعالى لمثل هذا اي المنزل والنعيم الذي ذكر في قوله اولئك لهم رزق معلوم فليعمل العاملون هذا ترغيب
في ثواب الله تعالى وما عنده بما عنه قوله تعالى اذلك اي الذي ذكر لاهل الجنة من النعيم خير
نزلا اي رزقا ام شجرة الزقوم اي التي هي نزل اهل النار والزقوم ثمرة شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل
النار على تناولها فهم يتزقمونه على اشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة من اخبث الشجر انا جعلناها
فتنة للظالمين اي للكافرين وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى
لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة اهل اليمن فادخلهم
ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال
الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي في قعر النار واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها اي

ثمرها مستعير من طلع النخل **كأنه رؤوس الشياطين** قال ابن عباس هم الشياطين بأعيانهم شبهها بهم لقبحهم
عند الناس فإن قلت قد شبهها بشيء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه **قلت** إنه قد استقر في
النفوس قبح الشياطين وإن لم يشاهدوها فكأنه قيل إن أقبح الأشياء في الوهم والخيال رؤوس الشياطين
فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب إذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس
أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال * شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها
وقيل إن بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤوس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين
الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا **فإنهم لآكلون منها** أي من ثمرها **فمالئون منها البطون**
وذلك أنهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم **ثم إن لهم عليها لشوبا** أي خلطا ومزاجا **من حميم**
أي من ماء شديد الحرارة يقال إنهم إذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم
فصار شوبا لهم **ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم** وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم **إنهم
ألفوا آباءهم ضالين** أي وجدوهم **فهم على آثارهم يهرعون** أي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم
ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين أي من الأمم الخالية **ولقد أرسلنا فيهم منذرين** أي وأرسلنا فيهم
رسلا منذرين **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** أي الكافرين وكان عاقبتهم العذاب **إلا عباد
الله المخلصين** أي الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المخلصين
قوله عز وجل **ولقد نادانا نوح** أي دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه أن ينجيه من الغرق **فلنعم
المجيبون** أي نحن إذ دعانا فأجبناه وأهلكنا قومه **ونجيناه وأهله من الكرب العظيم** أي من الغم الذي
لحق قومه وهو الغرق **وجعلنا ذريته هم الباقين** يعني أن الناس كلهم من ذرية نوح قال ابن عباس
لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال سام وحام ويافث
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث
أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر
ويأجوج ومأجوج وما هنالك **وتركنا عليه في الآخرين** أي أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن
بعده من الأمم إلى يوم القيامة **سلام على نوح في العالمين** أي سلام عليه منا في العالمين وقيل
تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة **إنا كذلك نجزي المحسنين** أي جزاء له
بإحسانه الثناء الحسن في العالمين **إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين** يعني الكفار قوله
عز وجل **وإن من شيعته** أي من شيعة نوح **لإبراهيم** يعني أنه على دينه وملته ومنهاجه
إذ جاء ربه بقلب سليم أي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحسد يحب للناس
ما يحب لنفسه **إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون** استفهام توبيخ **أئفكا آلهة دون الله
تريدون** أي أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى **فما ظنكم برب
العالمين** يعني إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم **فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم** قال ابن عباس
كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك
أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع
فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى
عيدهم زعموا التبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لإبراهيم ألا تخرج معنا إلى عيدنا فنظر
في النجوم فقال إني سقيم قال ابن عباس أي مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل
مريض وقيل معناه مستسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة الأنبياء وقيل إنه
خرج معهم إلى عيدهم فلما كان في بعض الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم أشتكي رجلي **فتولوا عنه
مدبرين** أي إلى عيدهم فدخل إبراهيم عليه الصلاة والسلام على الأصنام فكسرها وهو قوله تعالى **فراغ**

أي مال

أي مال إلى آلهتهم ميلة في خفية فقال أي للأصنام استهزاء بها ألا تأكلون يعني الطعام الذي بين أيديها ما
لكم لا تنطقون فراغ أي مال عليهم ضربا باليمين أي يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى من الشمال في العمل و
قيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لأكيدن أصنامكم فأقبلوا إليه أي
إلى إبراهيم يزفون أي يسرعون وذلك أنهم أخبروا بصنع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه
ليأخذوه فقال لهم إبراهيم على وجه الحجاج أتعبدون ما تنحتون أي بأيديكم من الأصنام والله
خلقكم وما تعملون أي وعملكم وقيل وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام وفي الآية دليل على أن أعمال
العباد مخلوقة لله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم قيل إنهم بنوا له حائطا من الحجر طوله في
السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤوه من الحطب وأوقدوا فيه النار وطرحوه فيها
وهو قوله تعالى فأرادوا به كيدا أي شرا وهو أن يحرقوه فجعلناهم الأسفلين أي المقهورين حيث سلم الله
إبراهيم ورد كيدهم وقال يعني إبراهيم إني ذاهب إلى ربي سيهدين أي مهاجر إلى ربي والمعنى أهجر دار
الكفر قاله بعد خروجه من النار سيهدين إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو أرض الشام فلما قدم الأرض المقدسة
سأل ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين أي هب لي ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره
حليم في كبره وفيه بشارة أنه ابن يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى فلما بلغ
معه السعي قال ابن عباس يعني المشي معه إلى الجبل وعنه أنه لما شب حتى بلغ سعيه سعي
إبراهيم والمعنى أنه بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله وقيل العمل هو العمل لله تعالى وهو العبادة
قيل كان ابن ثلاثة عشر سنة وقيل سبع سنين قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك قيل
إنه لم ير في منامه أنه ذبحه وإنما أمر بذبحه وقيل بل رأى أنه يعالج ذبحه ولم ير إراقة دمه ورؤيا
الأنبياء حق إذا رأوا شيئا فعلوه واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه
على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق فقال قوم هو إسحاق وإليه ذهب من الصحابة عمر
وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير
ومسروق وعكرمة ومقاتل والزهري والسدي واختلفت الرواية عن ابن عباس فروي عنه أنه
إسحاق وروي عنه أنه إسماعيل ومن ذهب إلى أنه إسحاق كان قبل الفتنة وروي عن سعيد بن
المسيب قال رأى إبراهيم ذبح إسحاق في المنام وهو بالشام فسار به مسيرة شهر في غداة ثم
واحدة طويت له الأودية والجبال والقول الثاني أنه إسماعيل وإليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن جبير ع
وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواية
عطاء بن أبي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى إسماعيل وكلا القولين يروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب إلى أن الذبيح إسحاق بقوله تعالى فبشرناه
بغلام حليم فلما بلغ معه السعي أمر بذبح من بشر به وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق
كما قال الله تعالى في سورة هود فبشرناها بإسحاق وقوله وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين
عقب البشارة بعد قصة الذبح يدل على أنه تعالى إنما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد في قصة الذبح
فثبت بما ذكرناه أن أول الآية وآخرها يدل على أن إسحاق هو الذبيح ومما يدل عليه أيضا في كتاب يعقوب
إلى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله
واحتج من ذهب إلى أن الذبيح هو إسماعيل أن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة
الذبيح فقال تعالى وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين دل على أن الذبيح غيره وأيضا فإن الله تعالى
قال في سورة هود فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده
بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله وإسماعيل وإدريس وذا
الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله إنه كان صادق الوعد
لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به وقال الكلبي سأل عمر بن عبد العزيز

رجلان من علماء اليهود وكان اسلم وحسن اسلامه اي ابني ابراهيم امره الله تعالى بذبحه فقال اسماعيل ثم قال يا امير المومنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم هو الذي امر الله تعالى بذبحه ويزعمون انه اسحاق ابوهم ومن الدليل ايضا ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في ايدي بني اسماعيل الى ان احترق البيت في زمن الحجاج قال الشعبي رايت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش معلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وحش يعني يبس وقال الاصمعي سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحاق كان او اسماعيل فقال يا اصمعي اين ذهب عقلك متى كان اسحاق بمكة انما كان اسماعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه ذكر الاشارة الى الذبح قال العلماء بالسير والاخبار لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو اذا ذبيح لله فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب في امر الله تعالى بالذبح فقال لابنه انطلق نقرب قربانا الى الله عز وجل فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابت اين قربانك فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تومر وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسماعيل معه السعي واخذ بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته امر في المنام ان يذبحه وذلك انه راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في نفسه اي فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما امسى راى في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم عرفة وقيل راى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى اي من الراي على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره في امر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على امر الله تعالى وعزيمته على طاعته وليثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك في النوم دون اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطئة له ثم تاكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى في الدلالة ورؤيا الانبياء وحي حق قال يا ابت افعل ما تومر اي قال الغلام يا ابت افعل ما امرت به قال ابن اسحاق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب اخبره بما امر الله به قال افعل ما تومر ستجدني ان شاء الله من الصابرين اي على ذلك انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول ولا قوة الا بعصمة الله تعالى ... على طاعة الله الا بتوفيق الله فلما اسلما اي انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه وتله للجبين اي صرعه على الارض قال ابن عباس اضجعه على جنبه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه امي فتحزن واستحد شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرا عليها السلام مني وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام نعم العون انت يا بني على امر الله ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيئا ثم انه شحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع ان يقطع شيئا قيل ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه ... في الغورة ... عن الكلام

قالوا

قال الواقدي قال ابن عباس لما قال له يا ابت كبني لوجهي لئلا تنظر في وجهي فترحمني ولا تنظر انت في وجهي رحمتني وادركتك
رقة تحول بينك وبين امر الله تعالى واسلما امرهما الى الله تعالى ثم جرج منها بعجل ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروي عن كعب
الاحبار وابن اسحاق عن رجاله قالوا لما راى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان ان لم
افتتن عند هذا ال ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام فقال
لها اتدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطب من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به
الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك فقالت ان كان
ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر
ابيه فقال يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد
الا ان يذبحك قال ولم قال انه يزعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل
على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد
جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله
لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم والولد شيئا مما اراد وامتنعوا
منه بعون الله تعالى وروي عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض
له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان
فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم
مضى ابراهيم لامر الله تعالى وجواب لما قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وفديناه ونودي من الجبل ان يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا اي حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد
فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد راى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح
قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه وجهده واتى بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح بقطع الحلقوم
وهو استسلامهما لامر الله تعالى وانقياده بما امر به فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين يعني جزاء
الله بما صدقا ونجاهما عنه العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في
طاعتنا ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده وفديناه بذبح عظيم فنظر ابراهيم
فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح اقرن فقال يا ابراهيم ان هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر جبريل وكبر ابنه وكبر
الكبش وكبر ابراهيم واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان ذلك الذبح كبشا
رعى في الجنة اربعين خريفا ونقل عن ابن عباس ان الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابن آدم هابيل وحق ان يكون
عظيما لانه تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل في الثواب وقيل لضخامته وسمنه وقال الحسين
بن الفضل ما فدي اسماعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير وتركنا عليه في الآخرين اي تركنا عليه ثناء حسنا
فيمن بعده سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
اي بوجود اسحاق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسماعيل ومعناه انه بشره باسحاق بعد هذه القصة جزاء
لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحاق قال بشره بنبوة اسحاق وكذا روي عن ابن عباس
قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ وباركنا عليه يعني على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق اي بكون اكثر الانبياء
من نسله ومن ذريتهما محسن اي مؤمن وظالم لنفسه اي كافر مبين اي ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه
لا يلزم من كثرة فضائل الآباء فضيلة الابناء قوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهارون اي انعمنا عليهما بالنبوة
والرسالة ونجيناهما وقومهما يعني بني اسرائيل من الكرب العظيم يعني الرق الذي كانوا فيه من استعباد فرعون
اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق ونصرناهم يعني موسى وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين اي على القبط
وآتيناهما الكتاب يعني التوراة المستبين اي المستنير وهديناهما الصراط المستقيم اي دينه لانهما على من الحق

وتركنا عليهما في الاخرين اي الثناء الحسن سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا
المؤمنين قوله عز وجل وان الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك
هو في مصحفه وقال الاكثر انه غير ادريس وهو نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع
وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن يس بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ذكر الاشارة
الى القصة قال محمد بن اسحاق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه
الصلاة والسلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها
من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى
عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل بتجديد ما نسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما
فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث
اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه اجب وكان قد اضل قومه واجبرهم على عبادة الاصنام
وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه وكان اسمه بعلا وكانوا قد فتنوا
به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم
بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم
الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من امر الملك فانه آمن به وصدقه
فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه
اذا غاب فغضبت من رجل مؤمن جنينة كانت بجنب منزلها فقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس
الى الملك وقومه وامره ان يخبرهم ان الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما والى على نفسه انهما
ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول ان يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين
ملقاتين فيها ولا يتمتعان بها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما اوحى الله اليه في امره وامر امرأته والجنينة
فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعو اليه الا باطلا وهم
بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل
ولحق الياس بشواهق الجبال فكان ياوي الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا
مستخفيا ياكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما
طال الامر على الياس ومل الكمون في الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا اوحى الله تعالى اليه بعد
سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي
في ارضي وصفوتي من خلقي فسلني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتني وتلحقني
بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي اعري منك
الارض واهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني فاعطك قال الياس
ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرائيل قال الله عز وجل واي شيء تريد ان اعطيك قال تملكني خزائن السماء
سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم الا
ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي
من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولكني اعطيك ثارك ثلاث سنين اجعل خزائن المطر
بيدك قال الياس فباي شيء اعيش يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف
والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عز وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر
وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيثما كان وقد عرف ذلك قومه
ذلك قال ابن عباس اصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام قالت
نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملا جرابها دقيقا وملا

خوابيها

اليسع هو

فلما رأى ذلك المعشر منها قالوا من أين لك هذا قالت من رجل من حاله كذا وكذا فوصفته
بصفته فخرجوا وقالوا إنه لهو إلياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم إنه أوى إلى بيت امرأة من بني
اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع ابن اخطوب وبه ضر فآوته وأخفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به
واتبع اليسع إلياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب حيثما ذهب وكان إلياس قد كبر
وأسن واليسع غلام شاب ثم إن الله تعالى أوحى إلى إلياس إنك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن
لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون أن إلياس قال يا رب دعني
أكون أنا الذي أدعو لهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة
غيرك قيل له نعم فجاء إلياس إلى بني اسرائيل فقال لهم إنكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت
البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وإنكم على باطل فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك
فاخرجوا بأصنامكم فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم
ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به
فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا لإلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا إلياس ومعه
اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت
الآفاق ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر وأغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم
الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك إلياس دعا
ربه عز وجل أن يريحه منهم فقيل فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا فما جاءك
من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به فأقبل فرس من نار
وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يديه فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا إلياس
ما تأمرني فقذف إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني اسرائيل
وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب
وكساه الريش فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عز وجل على آجاب الملك
وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجاب وامرأته أزبيل في
الجنينة التي اغتصبتها امرأة الملك من مزدكي المومن فلم تزل جيفتهما ملقاتين في تلك الجنينة
حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا إلى بني اسرائيل
وأوحى إليه وأيده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن
فارقهم اليسع روى السدي عن يحيى بن عبد العزيز بن أبي داود قال إلياس والخضر يصومان رمضان
ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل إن إلياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك
قوله تعالى وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا أي أتعبدون بعلا وهو صنم كان
لهم يعبدونه ومنه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة أهل اليمن وتذرون أي وتتركون عبادة
أحسن الخالقين فلا تعبدونه الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون أي في النار إلا عباد
الله المخلصين أي من قومه الذين آمنوا به فإنهم نجوا من العذاب وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل
ياسين قرئ آل ياسين بالفتح قيل آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن لأن ياسين من
أسماء القرآن وفيه بعد وقرئ إلياسين بالوصل ومعناه إلياس وأتباعه من المؤمنين إنا كذلك نجزي
المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين قوله تعالى وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا
في الغابرين أي الباقين في العذاب ثم دمرنا أي أهلكنا الآخرين وإنكم أي يا أهل مكة لتمرون عليهم
أي على آثارهم ومنازلهم مصبحين أي في وقت الصباح وبالليل أي وبالليل في أسفاركم أفلا تعقلون أي
فتعتبرون قوله عز وجل وإن يونس لمن المرسلين أي من جملة رسل الله تعالى إذ أبق أي هرب
إلى الفلك المشحون أي المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فخرج عنهم فكان كالمستور

منهم بنفسه الى البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاح ههنا عبد ابق من سيده
فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا فتقع على يونس فقال انا الآبق وزج نفسه في الماء
وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب واراد ان يركب
معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبينها وذهب الى مركب وجاءت موجة اخرى
فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ الاصغر فبقي فريدا فجاء مركب فركب فيه فقعد
ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركدت فقال الملاح ان فيكم عاصيا وان لم
يحصل وقوف السفينة ظاهرا من غير ريح ولا سبب كالذي فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه
فلان نغرق واحدا خير من ان يغرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله فساهم
اي فقارع فكان من المدحضين يعني من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة
يونس والانبياء فالتقمه الحوت اي ابتلعه وهو مليم اي اتى بما يلام عليه فلولا انه كان
من المسبحين اي من الذاكرين لله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين
وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا
صالحا ولكنه شكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء
يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع في الشدة في
بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين اي من
الذاكرين لله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين
قال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا ولكنه شكر الله تعالى له
ذلك قال الله تعالى للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقيل انه كان يسبح في بطن
الحوت وهو قوله ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
اي لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة قوله عز وجل فنبذناه اي طرحناه وانما اضاف
النبذ الى نفسه وكان الحوت هو النابذ لان افعال العباد مخلوقة لله تعالى بالعراء اي بالارض
الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل وهو سقيم اي عليل كالفرخ الممعوط وقيل
كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة قيل انه لبث في بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل
سبعة وقيل عشرين يوما وقيل اربعين يوما وقيل
التقمه ضحى ولفظه عشية وانبتنا عليه شجرة من يقطين يعني القرع قيل
كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل
انبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفي شجر القرع فائدة
وهي ان الذباب لا يجتمع عنده فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على
الارض لم يمكن ان يستظل بها وقيل كانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها
بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست
الشجرة واصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي فارسل الله تعالى اليه جبريل وقال
اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف من امتك قد اسلموا وتابوا وارسلناه الى مائة الف
قيل ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه ما اصابه والمعنى
وكنا ارسلناه الى مائة الف فلما خرج من بطن الحوت امر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل
كان ارساله قبل خروجه من بطن الحوت اليهم وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم آخرين
غير القوم الاول او يزيدون قال ابن عباس بل يزيدون معناه ويزيدون وقيل
معناه بل يزيدون وقيل او بمعنى الواو وقيل على اصلها والمعنى
او يزيدون في تقديركم اي اذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة الف او يزيدون فالشك
على تقديركم

على تقدير المخلوقين والثاني هو قول ابن عباس الاول واما الذي بالزيادة فقال ابن عباس كانوا
عشرين الفا و[illegible] ما روي عن ابي بن كعب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا فآمنوا
يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب فمتعناهم الى حين اي انقضاء
اجالهم قوله عز وجل فاستفتهم اي فسل يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ
الربك البنات ولهم البنون وذلك ان جهينة وبني سلمة ابن عبد الدار زعموا ان الملائكة
بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا
يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف ينسبونه للخالق ام خلقنا
الملائكة اناثا وهم شاهدون اي حاضرون خلقنا اياهم الا انهم من افكهم اي من
كذبهم ليقولون ولد الله اي في زعمهم وانهم لكاذبون اي فيما زعموا اصطفى
البنات اي في زعمكم على البنين وهو استفهام توبيخ وتقريع ما لكم كيف تحكمون اي بالبنات
لله ولكم البنين افلا تذكرون اي افلا تتعظون ام لكم سلطان مبين اي برهان بين على ان لله
ولدا فاتوا بكتابكم الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين في قولكم وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا قيل اراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار وقال
ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله قال ابو بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم اشركوا
الشياطين في عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الذين يقولون الخير من
الله والشر من الشيطان ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون يعني قائلي هذا القول
لمحضرون اي في النار سبحان الله عما يصفون نزه نفسه عما يقولون الا عباد
الله المخلصين هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون فانكم يعني يا اهل
مكة وما تعبدون اي من الاصنام ما انتم عليه اي ما تعبدون بفاتنين اي بمضلين احدا
الا من هو صال الجحيم اي الا من سبق له في علم الله تعالى الشقاوة وانه سيدخل النار
قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة وما منا الا له مقام معلوم يعني ان جبريل قال للنبي
صلى الله عليه وسلم وما منا يا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه
فيه وقال ابن عباس ما في السماوات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح
وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذي
نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه
الترمذي وهو طرف من حديث قيل الاطيط اصوات الاقتاب وقيل
اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد اثقلها حتى
اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وقيل
معنى الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات
مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا وانا لنحن الصافون يعني
الملائكة صفوا اقدامهم في عبادة الله تعالى كصفوف الناس في الصلاة
في الارض وانا لنحن المسبحون اي المصلون لله تعالى وقيل
المنزهون الله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم انهم
يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما
زعمت الكفار قوله عز وجل وان كانوا ليقولون يعني

كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو ان عندنا ذكرا من الاولين يعني كتابا
مثل كتاب الاولين لكنا عباد الله المخلصين اي لكنا نخلص العبادة له فكفروا
به اي فلما اتاهم الكتاب كفروا به فسوف يعلمون فيه تهديد لهم قوله
عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين يعني تقدم وعدنا للعباد بالنصر للمرسلين
بنصرهم انهم لهم المنصورون اي بالحجة البالغة وان جندنا اي حزب انبياء المؤمنين
لهم الغالبون اي لهم النصر في العاقبة فتول اي اعرض عنهم حتى حين قال
ابن عباس يعني الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى. امر
بالقتال وهذه الاية منسوخة باية القتال وقيل الى ان ياتيهم العذاب وابصرهم اي
اذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون اي ذلك حين لا ينفعهم ذلك قالوا متى هذا العذاب
قال الله عز وجل افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل يعني العذاب بساحتهم اي
عليهم وقيل بفنائهم وقيل بحضرتهم فساء صباح المنذرين اي فبئس صباح
الكافرين الذين انذروا العذاب وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا
خيبر فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء
صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تاكيدا لوعيد
العذاب فقال تعالى وتول عنهم حتى حين وقيل
الاية الاولى في احوال الدنيا وهذه ذكر احوال الامم في الاخرة فعلى
هذا القول يزول التكرار وابصر اي العذاب اذا نزل بهم فسوف
يبصرون ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحان ربك رب
العزة اي الغلبة والقوة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه
القادر على جميع الحوادث عما يصفون اي عن اتخاذ
الشركاء والاولاد والزوجات وسلام على المرسلين
اي الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع وفي ذكره تنبيه
البشر ان يكونوا كما سلم في نفسه مكملة
اخبره انه نبيهم عليهم الصلاة
والسلام وسلامه جرم يجب
على احد [illegible] قبر انهم والاء مستمرة
بهم والحمد لله رب العالمين
اي على [illegible] عليه ونعمه
الانبياء وقيل الحمد لله من ذلك
ذلك [illegible] المومنين ان يقولوا وان يحلفوا به
ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه
قال من احب ان يكتال بالمكيال
الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر
كلامه اذا قام من مجلسه سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين والله سبحانه
وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة ص

كمل الربع الثالث من التسعين للشيخ الخارزني رحمه الله ونفعنا
ببركاته . امين ويتلوه الربع الرابع انتهى

101

~~69~~

كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو أن عندنا ذكرا من الأولين يعني كتابا
مثل كتاب الأولين لكنا عباد الله المخلصين أي لأخلصنا العبادة له فكفروا
به أي بالقرآن الكتاب لما جاءهم به محمد فسوف يعلمون فيه تهديد لهم قوله
عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين يعني تقدم وعدنا للعباد بنصر المرسلين
بقوله إنهم لهم المنصورون أي بالحجة البالغة وإن جندنا أي حزب أنبياء المؤمنين
لهم الغالبون أي لهم النصرة في العاقبة فتول أي أعرض عنهم حتى حين قال
ابن عباس يعني الموت وقيل إلى يوم بدر وقيل حتى. أمرك
بالقتال وعلى هذا الآية منسوخة بآية القتال وقيل إلى أن يأتيهم العذاب وأبصرهم أي
إذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون أي ذلك بحين ذلك قالوا متى هذا العذاب
قال الله عز وجل أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل يعني العذاب بساحتهم أي
عليهم وقيل بحضرتهم وقيل بفنائهم فساء صباح المنذرين أي فبئس صباح
الكافرين الذين أنذروا العذاب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا
خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء
صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكره ما تقدم تأكيدا لوعد
العذاب فقال تعالى وتول عنهم حتى حين وقيل
المراد من الآية الأولى أحوال القوم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى
هذا القولين ولا تكرار وأبصر أي العذاب إذا نزل بهم فسوف
يبصرون ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحان ربك رب
العزة أي الغلبة والقوة وفيه إشارة إلى كمال القدرة وأنه
القادر على جميع الحوادث عما يصفون أي عن اتخاذ
الشريك والولد والصاحبة وسلام على المرسلين
أي الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لأن أعلى مراتب
البشر أن يكونوا كاملين في أنفسهم مكملين
لغيرهم وهم الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام فسلم الله عليهم بحسب
على الخلق الثناء عليهم وإنه يستحق الثناء
بمراتبهم والحمد لله رب العالمين
أي على هلاك الأعداء ونصر
الأنبياء وقيل الحمد لله على ما ذكر
تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به
ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي
ابن أبي طالب كرم الله وجهه
قال من أحب أن يكتال بالمكيال
الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر
كلامه إذا قام من مجلسه سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين والله سبحانه
وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة ص